

٨٤٩ / ١١

الشمعون

أصله وتسلسله وآدابه

أرجو من قراء الكتاب
الصلاه من اجلي انا الشقي
الغبي

ترجمه عن العبرانية

دكتور شمعون مويال

تقديم

دكتورة ليلى ابراهيم ابوالمجد

تقديم ومراجعة

دكتور رشاد عبد الشامي

الدار الثقافية للنشر

التَّامُودَا

أصله وتسلسله وآدابه

مكتبة
كلية القديسين ار صولس والابا طرس
سيرة ١٦١
الرقم المسام ٤٤٨٤٩ / ٤٤٨
التم الخامس : ٤٠٤٨ / ٧
تاريخ الورود : ٤٠٠٨ / ٤٠٠٨

ترجمه عن العبرانية

دكتور شمعون مويال

تقديم

دكتورة ليلى ابراهيم أبوالمجد

تقديم ومراجعة

دكتور رشاد عبد الله الشامي

الدار الثقافية للنشر

مقدمة

لترجمة التلمود معى قصة!

ونظرة على مصادر الفكر الدينى اليهودى

عندما التحقت للدراسة فى قسم اللغات الشرقية (شعبة اللغة العبرية وآدابها) بكلية الآداب جامعة عين شمس فى بداية الستينيات من القرن العشرين، كنا ندرس نصوصا عبرية من التوراة، وكنا نعرف بشكل نظرى، أن هناك مصدرا آخر من مصادر التراث الدينى اليهودى يقدسه اليهود، ليس بمقدار تقديس العهد القديم، وإنما يسبقون عليه من القداسة ما يفوق قدسية النص التوراتى.

وعندما كنا نسأل أستاذتنا، فى ذلك الوقت، ألا توجد ترجمة للتلمود بالعربية؟، كانوا يردون بالنفى. وقد شغلنى هذا الأمر منذ هذه الفترة المبكرة. لماذا لا توجد ترجمة عربية للتلمود، ولماذا لم يحاول علماء المسلمين عبر العصور، وقد أجاد بعضهم العبرية (أو العبرانية) كما كانوا يسمونها، ترجمة هذا المصدر الهام من مصادر التراث الدينى اليهودى؟ وكنت لا أجد إجابة على هذا السؤال، لا لدى أحد، ولا فى كتب التفاسير الإسلامية، أو لدى من اعتنوا بدراسة الأديان من علماء المسلمين. وبعد ذلك إنشغلت ببحثى للماجستير فى الأدب العبرى الحديث عن شاعر القومية اليهودية (الصهيونية) حليم نحماني بياليك، والتي كانت أول رسالة بالعربية تخوض فى هذا المجال فى فترة الستينيات. وأثناء عملى فى هذا البحث والذى استلزم منى دراسة أحوال اليهود فى شرق أوروبا خلال القرن التاسع عشر، وحيث كان الدين هو العامل المهيمن والمسيطر والموجه لحياة اليهود،

AL-Talmood

عنوان الكتاب: التلمود - أصله وتسلسله وآدابه

ترجمه عن العبرانية : د. شمعون مويال

Dr. Abdallah Al- Shamee

إعداد وتقديم: د. عبد الله الشامى ود. ليلى أبوالمجد

Dr. Laila Abo Almajed

14 x 21 cm. 208 p.

21 × 14 سم. 208 ص.

ISBN: 977 - 334 -097 - 1

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 2004/2430

اسم الناشر: الدار الثقافية للنشر

الطبعة الأولى

1425 هـ / 2004 م

كافة حقوق النشر والطبع محفوظة للناشر

الدار الثقافية للنشر - القاهرة

134 ص ب بانوراما اكتوبر 11811 - تليفاكس 4035694 - 4172769

Email: nassar@hotmail.com

اكتشفت أن اليهودية الربانية أو اليهودية التلمودية أو الأرثوذكسية (حسب المصلح السائد الآن)، (وهى سليله جماعة الفريسيين التى ظهرت خلال الحقبة اليونانية من تاريخ اليهود فى فلسطين)، هذه اليهودية، هى المسيطرة بفكرها التلمودى على واقع اليهود فى شرق أوروبا. ومن هنا، فإن نظام التعليم الدينى اليهودى (وهو النظام الوحيد الذى كان موجودا للتعليم) يبدأ بما يسمى "الحيدر" (ما يقابل الكتاب عند المسلمين) ثم بما يسمى "بيت همدراس" (المدراس)، ثم ينتهى بما عرف بإسم "اليشيفا" أى الأكاديمية التلمودية العليا، والذى كانت تحتل دراسات العهد القديم جزءاً ضئيلاً من مناهجه، بينما تحتل الدراسات التلمودية (المشنا والجمارا والمدراشيم) الجزء الأكبر من هذه المناهج. وهنا ثار السؤال فى ذهنى مرة أخرى، وخاصة عندما كنت أقوم بتحليل أشعار الشاعر اليهودى موضوع البحث، حيث كنت أكتشف أن أثر هذه الدراسات التلمودية التى درسها فى صباه كان واضحاً فى أشعاره، ولكننى لم أكن قادراً على إثبات ذلك بالاحالة، لأن المكتبات فى مصر كانت تخلو تماماً من أى نسخة للتلمود بأية لغة، سواء عبرية، أو بأى لغة أخرى، فما بالك بالعربية.

وبعد حصولى على الماجستير فى الأدب العبرى الحديث عام ١٩٦٩، قيسمت لى الظروف منحة لجمع مادة بحث الدكتوراه عن المفكر الصهيونى رائد تيار الصهيونية الروحية، والمشهور باسم "آحد هاعام" وكان ذلك فى عام ١٩٧٢، وكانت مازالت الفكرة الخاصة بضرورة وجود ترجمة عربية للتلمود تلح على.

وهناك التقيت فى إحدى المناسبات بالرحوم الأستاذ توفيق عويضة، وكان يشغل منصب رئيس المجلس الاعلى للشئون الإسلامية، وكان شخصية نافذة وقوية فى ذلك الوقت. وتناقشت فى فكرة أن يتولى المجلس مشروع ترجمة التلمود للعربية، حتى ولو استغرق عشر أو حتى خمس عشرة سنة، لأنه مشروع ضخم فى حاجة لتمويل ولتجنيد طاقات علمية متخصصة ومصادر ومراجع وقواميس لغوية... إلخ. وتحمس (رحمه الله) للفكرة وطلب منى أن أقابله عند عودتى لمصر لمناقشة التفاصيل، وحدث بالفعل وكان اللقاء فى عام ١٩٧٣ مقرونا بخطة تفصيلية للمشروع بكل أبعاده العلمية والمادية. ولكن لأسباب لم أعلمها لم يتم الاتصال بى ورحل عويضة عن منصبه.

ولكننى لم أياس وقدمت المشروع عدة مرات للجهات المعنية فى الأزهر الشريف، وفى أحيان أخرى لبعض دور النشر العربية، التى أبدت تحمسا فى البداية، ثم إذ بهذا الحماس يتبدد فجأة لأسباب لا أعلمها.

ومرت سنوات وأتيحت لى فرصة الإعارة فى جامعة الأمير عبدالقادر الإسلامية بقسطنطينية بالجزائر عام ١٩٨٥، لتدريس اللغة العبرية ومقارنة الأديان لطلاب الدراسات العليا بكلية أصول الدين. وفى هذه الفترة قرأت ودرست وتمعنت فى كتب العلماء المسلمين الذين أرسوا قواعد علم مقارنة الأديان والملل، وأهمها:

- ١- "البدء والتاريخ" للمقدسى.
- ٢- "درك البغية فى وصف الأديان والعبادات" للمسجى.
- ٣- "جمل المقالات" لأبى الحسن الأشعرى.
- ٤- "المقالات فى أصول الديانات" للمسعودى.

٥- "الملل والنحل" لأبي المنصور البغدادي

٦- "الفصل في الملل والأهواء والنحل" لأبي حزم الأندلسي.

٧- "الملل والنحل" للشهرستاني.

٨- "تحقيق ما للهند من مقوله مقبولة في العقل أو مرزولة" لأبو الريحان البيروني.

٩- "اعتقادات المسلمين والمشركين" للفخر الرازي.

وقد قلبت هذه الكتب سعيًا وراء بغيتي العلمية التدريسية، من ناحية، ووراء استقصاء ما إذا كان العلماء المسلمون، ومن بينهم المترجمين، قد قاموا بترجمة التلمود أو الاطلاع عليه مترجمًا على أيدي يهود عرب إلى العربية، وخاصة أنني اكتشفت أن الكثير مما يعرف "بالإسرائيليات"، إنما مصدره هو ما ورد في التلمود، وليس أسفار العهد القديم فقط.

وقد توصلت إلى عدد من النتائج من خلال ما ورد في هذه الكتب وغيرها عن وجود ترجمات للكتب المقدسة (اليهودية والمسيحية) والتلمود إلى العربية:

١- كان رجال الدين من اليهود والمسيحيين قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، يقرأون كتبهم بالعبرية ويفسرونه للعامة منهم بالعربية، بما يشير إلى معرفة العرب والمسلمين لبعض معاني هذه الكتب من مخالطتهم لأهل الكتاب.

٢- كان المسلمون في عصر الرسول وعصر الخلفاء على علم بوجود التلمود، الذي يضم أقوال الأئمة اليهود، وعلى علم

بأنه احتل مكانة الصدارة لديهم، بدلا من التوراة. فقد روى ابن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم وفضله" بأسانيده التي ذكرها، قال: "عن جابر بن عبد الله بن يسار قال" سمعت عليا يقول: "أعزم على كل من كان عنده كتاب إلا رجع محله، فإنما هلك الناس حيث اتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم". وعن عمر بن الخطاب أنه قال: "إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوما (يقصد اليهود) كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أنسى كتاب الله بشيء أبدا". ولذلك حرص أئمة الصحابة على أن يخلوا الطريق للقرآن الكريم فتحيل مكانته الأولى في القلوب، وحرصوا على ألا يزاحمه في موضع الصدارة شيء. (الشيخ محمد الغزالي - فقه السيرة - دار نشر الشهاب - باثنة - الجزائر، ص ٣٩).

٣ - نقل بعض أهل الكتاب (اليهود والمسيحيون) ممن أسلموا شفاهة، ما ورد في كتبهم إلى المسلمين وفقا لمقتضيات الحال.

٤ - أجمعت كتب علماء المسلمين، أن العهد القديم وكذا العهد الجديد، لم ينقلا إلى العربية إلا بعد عصر الخلفاء الراشدين.

٥ - وردت إشارات بعد عصر الخلفاء الراشدين، في بعض كتب علماء المسلمين والمفسرين، من التوراة والأنجيل، بما يشير إلى أنها أخذت من نسخة مترجمة للعربية كانت متداولة في حينها بينهم.

٦ - وردت إشارة لمترجم عربى، هو أحمد بن عبد الله بن سلام، فى عصر هارون الرشيد، إلى أنه ترجم صدر الصحف والتوراة والأنجيل وكتب الأنبياء من اللغة العبرانية واليونانية والصابئة إلى العربية.

٧ - لم ترد أية إشارة، على الإطلاق، لوجود ترجمة عربية للتلמוד..

والاستنتاج الذى نخرج به من هذه النتائج، هو أن اليهود فى البلاد العربية، كانوا حريصين، على إخفاء التلمود، وعدم إطلاع المسلمين عليه، وكانوا يتداولون بعض ما ورد فيه مع خاصة علماء المسلمين شفاهة، عندما كانوا يستفسرون منهم عما ورد فى كتبهم، حول هذه القصة أو تلك من قضايا وإشكاليات تفسير القرآن، وهو ما يفسر سبب وجود "الإسرائيليات" فى بعض التفاسير الإسلامية للقرآن الكريم.

والمعروف أن التلمود (سواء البابلى، الذى دون فى بابل، أو الفلسطيني الذى دون فى فلسطين)، لم يكن متاحا لغير حاخامات اليهود لدراسته وتدريسه، إلى أن بدأ عصر الطباعة فى أوروبا فى القرن السادس عشر، فبدأت ترجمات التلمود البابلى، تحديدًا، فى الظهور بترجمات إنجليزية وفرنسية، مع حذف العديد من الفقرات التى تسئ إلى المسيح عليه السلام وإلى السيلة العذراء والتى يمكن أن تصدم الجمهور المسيحى، من النص المترجم، وكذلك النصوص ذات الأبعاد العنصرية التى تميز بين اليهود (شعب الله المختار) البشر، وبقية شعوب العالم (الجوييم) الحيوانات، وتباعا صدرت طبعات عديدة للتلמוד بلغات أوروبية أخرى، وخاصة بعد حركة التنوير اليهودى

(المسكالا) فى القرن الثامن عشر واندماج اليهود تباعا فى المجتمعات الأوروبية، كواحد من أهم إنجازات هذه الحركة، التى رأت أن التلمود تحديداً، كان هو المسئول عن عزلة اليهود عن سائر البشر، فى المجتمعات التى يعيش فيها اليهود.

ومع بداية الصراع العربى الإسرائيلى، اعتبارا من خمسينيات القرن العشرين، كانت مصر تحديداً، فى إطار الحرب الإعلامية بينها وبين إسرائيل، تلجأ إلى كافة الوسائل لإثبات عنصرية دولة إسرائيل. وكان هذا التوجه فى حاجة إلى إثبات هذه العنصرية، ليس وفقا للمعطيات الواقعية فى المجتمع الإسرائيلى فحسب، بل استنادا إلى تقصى جذور هذه العنصرية فى أهم مصدر دينى لدى اليهودية الربانية والمؤسسية الدينية فى إسرائيل، وهو التلمود. وقد اكتفينا فى هذا الأمر بترجمة ما كتبه دوائر المعارف الإنجليزية عن التلمود، بما تحويه من إشارات إلى النصوص ذات الصبغة العنصرية، ولم يهدنا التفكير، لا فى حينه، وحتى الآن، إلى البدء فى محاولة نقل التلمود برمته إلى العربية، ليكون مصدرا أساسيا للدراسات حول ما تحويه مجلداته الضخمة من أفكار دينية وتشريعات ورصد الحياة اليهودية فى مرحلة تدوينه.

وخلال هذه السنوات، منذ مطلع الخمسينيات، كانت أقسام الدراسات العبرية فى كل من جامعتى عين شمس والقاهرة، قد بدأت عهدا (الذى بدأ متزامنا مع الصراع العربى الإسرائيلى)، بالسعى نحو استثمار تدريس العبرية قديمها وحديثها والثقافة اليهودية والأدب العبرى فى مرحلة ما بعد اللسانس، لخدمة الدراسات النحوية المقارنة

لغات السامية، ثم قامت بنقله لدراسة تاريخية ودينية لأسفار العهد القديم خلال الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، ثم بدأت بقسم اللغة العبرية بجامعة عين شمس منذ مطلع التسعينيات حالة من الاهتمام بالدراسات التلمودية، تم استهلالها بدراسة الجانب "الهجادي" (القصص والحكايات) لتمتد بعد ذلك لدراسة أجزاء المشناه الستة، والمشار إليها في متن هذا الكتاب.

ولأن فكرة ترجمة التلمود إلى العربية كانت دائما من بين شواغلي، فعندما وقعت في يدي بالصدفة، نسخة كتاب مما خلفه يهود مصر لخدمة التراث اليهودي واحتياجات الطائفة الإسرائيلية فيها، عكفت على قراءتها وتأملها. وكانت نسخة الكتاب تحمل عنوان: "التلمود..أصله وتسلسله وآدابه" ترجمه عن العبرانية وشرحه: الدكتور شمعون يوسف مويال، صادر في مصر عام ٥٧٦٩ (للكليقة)، أي وفقا للتقويم العبري يوافق عام ١٩٠٩ ميلادية.

وكان من الممكن لهذه "اللقية"، أن تظل حبيسة جدران الدراسة العلمية بقسم اللغة العبرية وآدابها بآداب عين شمس يتداولها طلاب الدراسات العليا المتخصصين في الدراسات التلمودية، لولا الحماس الذي أبداه الأستاذ فتحي نصار صاحب الدار الثقافية، لنشر هذا المتن، عندما أطلعت عليه رغبة منه في أن يتوفر لكل من يهتم بأمر دراسة الديانة والثقافة الدينية اليهودية، من أبناء العربية.

وحرصا مني على تقديم هذه الترجمة بصورة علمية للقارئ العربي عهدت بها إلى الدكتورة ليلي أبو المجد أستاذ الدراسات التلمودية

المساعد بجامعة عين شمس حيث قامت بكتابة مقدمة علمية عن هذا النص من واقع خبرتها الأكاديمية في هذا المجال.

وفيما يلي عدة ملاحظات إرتأيت أن أسجلها، سواء من خلال الانطباعات التي خلفتها الترجمة ومغازيها في نفسي، أو من خلال ما رأيت أن أثبته بشأن النص نفسه:

(١) أن الحضارة الإسلامية، على امتداد تاريخها، كانت تعامل اليهود الذين يعيشون في كنفها بتسامح لم يحظوا بمثله، في أي مكان في العالم، على امتداد تاريخهم. وليس أدل على هذا، أنهم هم أنفسهم، يطلقون على تلك الحقبة التي عاشوها في الأندلس في رعاية الحضارة والثقافة الإسلامية، اسم "الفترة الذهبية" (طور هازاهاب)، خلال القرون من التاسع الميلادي وحتى دخول الفرنجة للأندلس، وكانت مصر في تلك الفترة ملاذا لأهم وأبرز فقائهم، وهو ابى موسى بن ميمون، المعروف اختصارا باسم "هرامبام" والذي كان طبيبا خاصا للناصر صلاح الدين، وألف كتبه المعروفة في الفلسفة والفقه والشريعة اليهودية في مصر. حتى قيل عنه "من موسى إلى موسى لم يظهر موسى" ويقصدون، "أنه من موسى النبي إلى موسى بن ميمون، لم يظهر فقيه وشرع مثله".

(٢) إن الإسلام قد أمرنا كمسلمين، باحترام وتوفير الأنبياء المرسلين وكتبهم، كجزء متمم لإيمان المسلم. كما أمرنا الإسلام بالسعي نحو المعرفة والإطلاع، وخاصة بالنسبة للأديان السماوية، دون تعصب: "ولكل جعلنا شريعة ومنهاجا"، ولذا، فنحن

كمسلمين، نحترم اليهودية كدين ولا نعاديها، ولنبيها موسى، مكانة خاصة في الإسلام، أوضححتها آيات كثيرة في القرآن الكريم، وإذا كان بعض غلاة اليهود، قد زاغوا بها عن إطارها الذي أوحى به الله لنبيه موسى، فربما كان هذا أدعى لفهم هذا التطور وملابساته الدينية والتاريخية، حتى يمكننا التعامل معهم بفهم وإدراك ووعي وعن بيئة وقرائن علمية.

(٣) أن العالم الذي نعيش فيه اليوم، تمتلئ ساجته، بقوى كثيرة من غلاة المتشددين، من المسيحيين في الغرب وأمريكا ومن المتشددين اليهود، بل ومن قوى إسلامية متعصبة، لها أهداف سياسية يلفها الغموض حيناً، وتفصح عن نفسها صراحة، في أغلب الأحيان، وتسعى لتأجيج الفتن بين الأديان، بعيداً عن روح التسامح والود والمحبة التي، اتفقت الأديان السماوية جميعاً على أنها ركائز أساسية لدعوتها، وحثت المؤمنين بها على التمسك بها. وربما كانت الدعوة التي تحاول قطع الطريق على هؤلاء المتعصبين، هي تلك التي تبنتها هيئات دولية تحت مسمى "تقريب الأديان" بحثاً عن المشترك الإيجابي فيما بينها، وسعياً نحو فهم الآخر، بصورة صحيحة، بعيداً عن دعاوى المغالين والمتشددين والمتعصبين وكارهي السلام والتسامح. وأعتقد في هذا الإطار، أن التعرف على جوهر الأديان، ومنابعها وتراثها الديني، هي مسألة جوهرية ينبغي على رجال الدين، أن يتسلحوا بها، حتى يكون الحوار بينهم مبنياً على الفهم الدقيق والعميق كل للآخر، كمدخل لتحقيق الهدف المرجو من هذه المحاولة النبيلة.

(٤) انقسم اليهود خلال الحقتين، اليونانية والرومانية، في فلسطين، إلى فرق عديدة، أهمها: "الصدوقيون"، والفريسيون أو "الكتبة"، و"الاسينيين"، و"القنائيم" (المتعصبون)، و"الإبيونيين" وغيرهم. ولم تبق من هذه الفرق، سوى فرقة الفريسيين، التي ظلت حاملة للواء اليهودية، وسيطرت على الحياة الدينية اليهودية، منذ خراب الهيكل الثاني عام ٧٠م وحتى الآن، حيث عرفت فيما بعد، باسم "اليهودية الربانية" أو "اليهودية التلمودية"، لأنهم كانوا يعلمون من شأن "التوراة الشفهية" (التلمود)، ثم عرفوا في العصر الحديث باسم "اليهودية الارثوذكسية"، إشارة إلى تشددهم في تطبيق أحكام الشريعة اليهودية، استناداً إلى أحكام أحبار التلمود، كما جمعها يوسف كارو في القرن السادس عشر في كتابه المعروف "شولحان عاروخ" أي "المائدة المنضوذة" لدى يهود الغرب، وكما جمعها موسى بن ميمون في شروحه على التلمود المعروفة باسم "مثنى التوراة" لدى يهود المشرق الإسلامي.

(٥) في القرن التاسع الميلادي ظهرت فرقة يهودية جديدة، في ظل الحضارة والثقافة الإسلامية، في بغداد، ابتدعها عنان بن داود، عرفت باسم "العنانية"، نسبة إليه، كما عرفت باسم "القرائين" لأنهم أعلنوا أنهم لا يؤمنون سوى بأسفار موسى الخمسة (التوراة)، ولا يؤمنون بالتلمود وما ورد فيه على لسان طبقات الاحبار اليهود. وقد تمخض الأمر عن حالة من العداء الشديد بين "التلموديين" و"القرائين"، لدرجة أن "التلموديين" كفروهم ومنعوا الاختلاط بهم أو الزواج منهم.

ولكن "التلموديين" ظلوا يشكلون الغالبية العظمى من يهود العالم غربه وشرقه.

(٦) من هنا، تأتي أهمية التلمود، كمصدر رئيسى للديانة اليهودية لدى الجمهور الأعظم من اليهود، وباعتبار أنهم يضعونه فى مكانة من القداسة تعلو مكانة التوراة وأسفار العهد القديم، وباعتبار أنه المرجع الأساسى للشرعية اليهودية. وقد حرص اليهود، منذ أن انتهوا من تدوينه، على ألا يطلع عليه أحد من غير اليهود، ولا حتى عامة اليهود أنفسهم، ولذا لم يسعوا إلى ترجمته إلى أية لغة من لغات البشر. وحتى حين تمت ترجمته مع نشأة الطباعة فى أوروبا، فى القرن السادس عشر، فإن من ترجموه، كما أشارت بعض المصادر، كانوا من المسيحيين الذين تهودوا، وحرصوا على حذف كافة العبارات القاسية والبذيئة التى يحتويها، والتى تكشف عن الروح العنصرية السائدة فيه وكراهية غير اليهود والأديان غير اليهودية، وخاصة المسيحية. وقد أشرنا فى الصفحات السابقة إلى أنه لم يتم العثور على أى نص تلمودى مترجم للعربية، على امتداد تاريخ اليهود فى البلاد العربية والإسلامية، حتى الآن.

(٧) وبناء على ما أشرنا إليه فى النقطة السابقة، يمكننا أن ندرك، أن وجود ترجمة عربية لجزء من التلمود، حتى ولو كان هناك خلاف حول مدى نسبته إلى التلمود، من عدمه، يعتبر بمثابة خروج على قاعدة مقدسة إستنها اليهود عبر العصور بالنسبة لهذا الأثر الدينى، بل يعد بمثابة تمرد مقصود عليها. ومن هنا، يمكننا أن

نفهم سبب تلك المعارضة والحرب التى تعرض لها الدكتور شمعون مويال، من بعض رجال الدين اليهودى فى مصر لدى إقدامه على هذا العمل، والتى أشار إليها فى مقدمته. حيث أن النص التلمودى الذى كان متاحا حتى حينه، هو شروح شموئيل هنا جيد حفيد موسى بن ميمون، على المشنا، وهو بلغة عربية ولكن بحروف عبرية، حتى لا يقرأه غير اليهود.

(٨) الدكتور شمعون ؛ صاحب ترجمة ذلك الجزء المسمى "بيرقى آبوت" (فصول الأباء) توطئة لترجمة باقى أجزاء التلمود، يعترف، بأنه ليس صاحب هذه المبادرة، بل جورجى زيدان، مؤسس دار الهلال، الذى تنازل له عن مشروعه.

(٩) يعترف المترجم، بأنه حظى بدعم معنوى وعلمى من رؤوس الطائفة اليهودية بمصر، وعلى رأسهم: ربي هارون مندل كوهين الرئيس الدينى الأعظم لطائفة الإسرائيليين الأوروبيين بمصر، والعلامة ربي مسعود حاي بن شمعون، وربى الياهو حزان، حلخام باشى الطائفة الإسرائيلية بالثغر السكندرى، والخواجة موسى جيعان التلمودى الشهير، والكاتب الأديب يهودا كوهين. كما حظى بدعم مادى لأخراج هذا المشروع، من أعيان ووجهاء اليهود فى ذلك الحين، أمثال: موزيك قطاوى، رئيس المجلس الملى، وفيلكس سوارس، والبارون دى منشه، ومناحيم ومخلوف كوهين، من أعيان المنصورة. وفى هذا ما يشير إلى أنه حشد لمشروعه هذا دعما وتأييدا كبيرا من كبار الطائفة اليهودية فى المجال الدينى، ومن أعيان الطائفة الأثرياء.

(١٠) المترجم لم يقدم فى عمله هذا، ترجمة "الفصول الآباء" فحسب، بل استهل عمله بتقديم كيفية تسلسل الأحكام والتعاليم والتقاليد الموسوية، من جيل إلى آخر حتى ختام التلمود، وأهم الرجال فى كل جيل من أجيال علماء التلمود والمأثور من أقوالهم وتعاليمهم وحكمهم، وهو ما ينشر لأول مرة بالعربية مع تعريف شامل بكل أجزاء المشنا، وقد أفرد لهذه الأمور، زهاء ٥٠ صفحة.

(١١) اتبع المترجم فى ترجمته وشروحه على الترجمة، منهج القدامى من المفسرين والشرح اليهود، فكان يورد نص المشنا، ثم يقوم بتقطيعه إلى جمل وفقرات قصيرة، ويقوم بالتعليق عليها وشرحها وتأصيل هذا الشرح، بتفاصيل من التاريخ اليهودى القديم حيناً، ومن أصول الديانة اليهودية، حيناً آخر، أو بحكاية بعض القصص المتواردة، عن صاحب المشنا، وكان بذلك يقدم للقارئ وجبة دسمة من المعلومات والأثارة بل، والطرافة أحياناً، تكشف النقاب عن واقع الحياة الدينية والتاريخية لبنى إسرائيل خلال الحقبين اليونانية والرومانية. وبالإضافة إلى هذا، فإن المترجم كان حريصاً على كتابة الحواشى والتعليقات والاحالات الهامة، ليكمل بها شرحه، فى ذيل الصفحة.

(١٢) كشفت الترجمة، عن أن المترجم متقن للغة العربية إتقاناً كبيراً، إتقانه لعبرية التلمود المتبلة باللغة الأرامية. ومعنى هذا، أن المترجم كان يعيش الواقع الثقافى العربى فى مصر بكل مكوناته وله إطلاع واسع على الدين الإسلامى.

وعند هذا الحد من قصتى مع ترجمة التلمود إلى العربية، وملاحظاتى حول ترجمة دكتور شمعون يوسف مويال، لذلك الجزء المسمى "فصول الآباء" للعربية، عام ١٩٠٩، وجدت أنه لتوفير القارئ غير المتخصص، لدى إطلاعه على محتوى هذا الكتاب، ينبغى أن أقدم له فى عجالة وبشكل مكثف، ما يجعله يقف على ماهية اليهودية ومصادرها العقيدية والتشريعية وأهم إبداعات الفكر الدينى اليهودى أو (الإسرائيلى)، كما يسميه مترجم النص الوارد فى هذا الكتاب.

أدب العهد القديم: الأسطورة والتشريع

تقوم الديانة والثقافة اليهودية على أساطير مقدسة وقصص بالغة القدم. وتتحدث الأساطير العبرية عن بداية الكون، وخلق العالم والإنسان وظهور العبرانيين وتجلي الإله لإبراهيم الأب الأول لبنى إسرائيل، ومنح القانون الإلهى المدعو "توراة" لموسى على جبل سيناء.. وقد تم فى مرحلة لاحقة جمع المصادر الأسطورية اليهودية مع أسس الشريعة الخاصة بالرب فى كتاب التوراة الذى يتكون من خمسة أسفار وهى: التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية. وكان ربط القانون بالقصص الأسطورية القديم من بين الظواهر الخاصة باليهود، إذ لا نجد مثل هذه الظاهرة فى الأدب الأسطورى القديم. ونلاحظ فى التوراة من الناحية الأدبية أن تلك الأجزاء المتعلقة بالشريعة ترتبط على نحو وثيق بالقصص الأسطورى ويتسم النص التورانى بقدرة فائقة على السبك النصى بين ما هو أسطورى قصصى، وبين ما هو دينى وتشريعى. وتشكل الأسطورة أحد أسس المعتقد الإسرائيلى والفكر الدينى اليهودى، اللذان تطورا عبر مئات وآلاف

السنين ، والمذان كانت لهما تجليات مختلفة. ويشكل التشريع التوراني أساس التشريع الذي يتضمن بين جنباته القانون وأنماط الحياة اليهودية. كما أن الشريعة اليهودية مرت بكثير من التحولات فامتد نطاقها بمضى الوقت.

وتمثل التوراة ، كما هو معروف ، الجزء الأول من العهد القديم الذي يتكون من ثلاثة أجزاء هي: التوراة ، الأنبياء والمكتوبات. ويضم الجزء الثاني أسفار الأنبياء الأوائل ، وتتناول هذه الأسفار تاريخ شعب إسرائيل منذ احتلاله لأرض كنعان تحت قيادة يهوشع بن نون ، كما تناول أيضاً البدايات الأولى للفكرة القومية تحت قيادة القضاة الذين كانوا قادة سياسيين وعسكريين للقبائل المختلفة ، وتطرق أيضاً إلى توحيد قبائل بني إسرائيل وتأسيس شاول للملكة التي تزايدت قوتها في عهد داوود ، وتأسيس سليمان للهيكل في القدس.

وقد أسدل الستار على هذه الفترة مع احتلال نبوخذ نصر ملك بابل لفلسطين. في القرن السادس ق. م . وكان من بين نتائج الاحتلال دمار الهيكل وترحيل سكان منطقة يهودا إلى بابل ، ويتناول الجزء الثالث من العهد القديم والذي يعرف باسم "الأنبياء المتأخرين" خمس عشرة نبوءة ، يعود تاريخها إلى نهاية فترة الهيكل الأول ، وفترة السبي البابلي ، ويعود بعضها إلى فترة العودة إلى فلسطين في بداية فترة الهيكل الثاني. ويضم الجزء الرابع والذي يدعى "المكتوبات" تلك الأسفار المتعلقة بالحكمة والأمثال والقصص والتاريخ.

وتعد التوراة أكثر أجزاء العهد القديم قداسة ، على اعتبار أن موسى هو الذي تلقاها من الرب مباشرة ، ويرى أتباع التقاليد

اليهودية أن سائر أسفار العهد القديم مقدسة إذ أن مؤلفيها تحدثوا باسم الروح القدس .. وقد تمت كتابة هذه الأسفار على مدى ألف عام ، غير أن بعض أجزاء سفر التكوين وضعت منذ ما يربو على ثلاثة آلاف عام ، كما وضعت بعض أسفار العهد القديم منذ ألفي عام. ويتضح لنا من هذا ، أن العهد القديم يعود تاريخه إلى فترات متباينة. ومن ثم ، فإننا نجد فيه مستويات لغوية شديدة التباين ، ويعبر العهد القديم عن تطور الفكر الإسرائيلي واللغة العبرية طيلة هذه القرون. وتبرز في كثير من مواضع العهد القديم نزعة توفيق الكتابات المقدسة مع نزعة مفادها أن مشيئة الرب هي العامل المحدد لحركة العالم والإنسان ، وتاريخ شعب إسرائيل.

ويجب أن نضع في اعتبارنا ، أن أسفار العهد القديم جمعت ودونت عبر مراحل طويلة ، فالتوراة أو أجزاء منها جمعت خلال نهاية فترة الهيكل الأول أو في بداية فترة الهيكل الثاني. أما سائر أسفار العهد القديم فقد وضعت خلال فترة الهيكل الثاني ، أي منذ القرن الثاني قبل الميلاد ، أي بعد مضي قرون طوال على كتابة كثير من أسفار العهد القديم ، ومن هنا نجد أن هذه الفترة قد شهدت جدلاً بشأن مدى قداسة بعض الأسفار مثل سفرى "نشيد الإنشاد" و"الجامعة" نظراً لطابعهما الدنيوى والفلسفى. وفى إطار الجدل المتعلق بقداسة بعض الأسفار لم يتم ضم بعض الأسفار إلى العهد القديم ، وكان من بينها "سفر حروب الرب" و"سفر تاريخ ملوك يهودا وإسرائيل".

وقد شهدت فترة الهيكل الثاني ، التي تم فيها التوصل إلى الصياغة النهائية للعهد القديم تدوين بعض الأسفار الدينية مثل سفر

المكابيين الذى يتكون من أربعة أجزاء تنطرق إلى حروب الحشمونائيين من منظور دينى تاريخى، وسفر أمثال بن سيرا الذى يضم كثيراً من مقولات الحكماء.. وسفر "حكمة سليمان" و"طوبيت" و"يهوديت". ولم تصل إلينا الأصول العبرية لهذه الأعمال، ولم يصل إلينا سوى ترجماتها الآرامية واليونانية، وكما يبدو، فقد كتبت بعض هذه الأعمال فى صورتها الأصلية بهذه اللغات. وتعرف هذه الأسفار باسم "الأسفار الخارجية" (الابوكريفا).

وقد شهدت هذه الفترة كتابة بعض الأعمال التاريخية باللغة اليونانية، مثل تلك الخاصة بالمؤرخ يوسف بن متياهو المعروف باسم يوسيفوس، وبالفيلسوف فيلون السكندرى. وكان الخطاب فى هذه الأعمال موجهاً إلى يهود الشتات الذين لم يعرفوا العبرية أو الآرامية، ولغير اليهود الذين تحدثوا اليونانية. وقد تناول يوسف بن متياهو فى كتابه الأحداث القديمة لليهود وتاريخ الشعب اليهودى منذ خلق العالم حتى عصره، واعتمد فى هذا العمل على تفسيره لقصص العهد القديم. وقد تطرق فى كتابه "حرب اليهود مع الرومان" إلى التمرد اليهودى الأول الذى أعقبه خراب القدس والهيكل عام ٧٠ ميلادية. ويشكل هذان العملان مصدراً أساسياً للمعلومات عن فترة الهيكل الثانى. أما فيلون فقد وضع أساس فهم اليهودية فى ضوء الفلسفة اليونانية، ومن ثم فإن معظم أعماله تتمركز حول تفسير التوراة، غير أن هذه الأعمال لا تستند إلى نص العهد القديم فحسب، وإنما إلى الفلسفة اليونانية.

وقد شهدت فلسطين فى ذات الفترة ظهور "العهد الجديد" .. وبالرغم من أن نص العهد الجديد وصل مكتوباً باليونانية، إلا أن

التحليل اللغوى لهذا النص يدعم تلك الفرضية التى مفادها أنه وضع باللغة العبرية. ويشكل "العهد الجديد" أساس الديانة المسيحية. وقد رفض حاخامات اليهود هذا الكتاب وحرّموا قراءته.

الشرية الشفهية : التشريع والقصص

تشكل أسفار العهد القديم وأسفار التوراة، على وجه الخصوص، محور عدد لا حصر له من النصوص التى عكف أصحابها، إما على تفسيرها أو على مواعمتها مع الواقع. وقد ترتب على القداسة التى أحاطت بأسفار العهد القديم عدم إحداث أى تغيير فيها. وقام النشاط التفسيرى على فرضية مؤداها أن نص العهد القديم ينطوى على دلالات عميقة لا يمكن الوصول إليها أو سبر أغوارها من خلال تفسير ألفاظ النص، وأنه من الواجب تجاوز عالم المفردات والسعى لفهم روح النص. وقد أسس المفسرون أسس المعتقد الدينى على أساس الأساطير الواردة فى العهد القديم، كما أسسوا الشريعة على أساس الشريعة المنسوبة للرب فى أسفار التوراة. ومما لاشك فيه أن التلمود الذى يتكون من المشنا والجمارا، يمثل أهم هذه النصوص التفسيرية. ويعرف التلمود باسم "الشرية الشفهية" لتمييزه عن أسفار العهد القديم التى تعرف باسم "الشرية المكتوبة". وتفيد التقاليد اليهودية، أن أبواب التلمود تكشف ما غمض فى العهد القديم، ومن، ثم فإن التلمود يعد كتاباً مقدساً. ويُعد التلمود كتاباً فى التشريع يقوم على تطوير شرائع العهد القديم. ويتضمن التلمود مجادلات فقهاء اليهود فى تفسير نص العهد القديم على نحو كيف هذا النص لكل الأزمنة والأمكنة. وقد تراكت هذه الشروح

والتفسير عبر قرون طوال وتم تنقلها من جيل إلى جيل حتى تم تدوينها في عام ٢٠٠ بعد الميلاد، وتم وضعها في ست أجزاء تعرف باسم المشنا. ويعرف الجزء الأول باسم "الزراعات"، ويتناول كافة القضايا المتعلقة بفلاحة الأرض، والجزء الثاني باسم "موعيد" أى "الأعياد"، ويتناول قضايا الأعياد والتقويم اليهودي. أما الجزء الثالث فيعرف باسم "ناشيم" أى "النساء"، ويتناول قضايا الأحوال الشخصية والعلاقات الأسرية. ويعرف الجزء الرابع باسم "نزيقين" أى "الجنایات"، ويتناول هذا الجزء القانون الدينى ويتناول علاقات الأفراد ببعضهم البعض. أما الجزء الخامس فيعرف باسم "قيدوشيم" أى "المقدسات" ويتناول قضايا العبادة وبخاصة فى الهيكل. ويتناول الجزء السادس والأخير الذى يعرف باسم "الطهارة" القضايا الخاصة بالنجاسة وكيفية التطهر. وينقسم كل جزء من هذه الأجزاء سالفه الذكر إلى عدة فصول، كل فصل منها يسمى "مسيخيت".

وتفيد التقاليد اليهودية أن الحاخام "يهودا هناسى" هو الذى جمع ورتب أجزاء المشنا، ويعرف فقهاء المشنا باسم "التنائيم"، الذين كان معظمهم من فقهاء اليهود المقيمين فى فلسطين.

وبعد جمع المشنا، انتقلت بؤرة اهتمام اليهود من تفسير أسفار العهد القديم، إلى تفسير المشنا، التى اكتسبت قداسة لا تقل عن قداسة أسفار العهد القديم. وقد وضع المفسرون نصب أعينهم مهمة تفسير ما غمض من قوانين، ومع مجئ القرن الخامس الميلادى تم جمع كل هذه التفسيرات والشروح فى كتاب واحد، وهو "التلمود البابلى" الذى اكتسب قداسة ضخمة مثل تلك التى نسبت إلى المشنا.

وقد وضعت معظم أجزاء المشنا باللغة العبرية فى فلسطين، غير أنه مع تدهور الأوضاع الاقتصادية فى فلسطين خلال القرن الثانى الميلادى هاجرت أعداد كبيرة من يهود فلسطين وحاحمات المشنا إلى بابل. وقد أصبح فقهاء اليهود فى بابل هم قادة اليهود، وتحولت مراكزهم التعليمية إلى مراكز للتشريع والفتوى فى كل العالم اليهودي. ونظراً لأن اللغة الآرامية كانت هى اللغة الرسمية فى بابل فى تلك الفترة فقد كانت هذه اللغة هى لغة "التلمود البابلى".

وفى الوقت الذى انتج فيه يهود بابل "التلمود البابلى" فقد تواصل النتاج التلمودى فى فلسطين حتى القرن السادس الميلادى، ويعرف هذا النتاج باسم "التلمود الأورشليمى"، غير أنه أقل حجماً وقيمة من التلمود البابلى.

وقد أصبح "التلمود البابلى" مصدراً رئيسياً للتشريع اليهودي. ولا يتضمن التلمود التشريع فحسب وإنما يتضمن جلد الفقهاء بشأن الشريعة. ونلاحظ أن التلمود لا يحسم فى كثير من الحالات، القضايا التى هى محل جدل ويترك الساحة أمام كثير من المناقشات. ويتضمن كثيراً من المجادلات بشأن العديد من القضايا التى تبدو حالياً عديمة الجدوى، ومع هذا فتتضمن هذه المجادلات أسس العقيدة اليهودية، كما أنها تتضمن تفسيرات عديدة لكثير من الأساطير الواردة ذكرها فى العهد القديم، ولأفكار الأنبياء.

ويتضمن النص التلمودى الكثير من القصص التى تفسر الأساطير التوراتية والشريعة من خلال الرمز والمثل، كما أن هذه القصص تتحدث عن أعمال فقهاء المشنا، فضلاً عن أنها تتضمن

الكثير من أقوالهم المأثورة . وتفردت هذه القصص فى سرد الأساطير عن أنبياء العهد القديم.

ونظراً لأن التلمود لم يحسم كافة المسائل الفقهية ، فقد استمر النشاط التفسيري للشريعة عبر قرون طوال ، ومن أهم هذه الأعمال كتاب "مثنى التوراة" للحاخام موسى بن ميمون ، وكتاب "شولحان عاروخ" (المائدة المنضوذة)، الذى وضعه الحاخام يوسف كارو فى القرن السادس عشر والذى يعد مصدراً رئيسياً فى التشريع.

أثر الفلسفة اليونانية على الفكر الدينى اليهودى:

كانت قضية مكونات العقيدة واحدة من أهم القضايا التى شغلت اليهود، خاصة بعد تلك المواجهة التى وقعت بين العقيدة اليهودية والفلسفة اليونانية ، أو بعد تلك المواجهة التى وقعت لاحقاً فيما بينها وبين الفلسفتين المسيحية والإسلامية ، اللتين نشأتا فى بداية العصور الوسطى ، واللتين اعتمدتا فى نشأتهما على الفكر اليونانى . وقد واجه المعتقد الدينى اليهودى ، القائم على الأسطورة ، عدداً لا حصر له من المشكلات والمعضلات فى ظل عصر التفلسف. وكان من بين نتائج التفلسف ، أنه تم الكشف عن الكثير من المتناقضات فى العهد القديم ، وبخاصة بين الإصحاحين الأول والثانى من سفر التكوين ، كما أن هذا السفر يسقط كثيراً من الصفات الحسية على الإله، فى حين أن مواضع أخرى من العهد القديم تثبت أنه لا شبيه للإله. وقد تم فى ذلك العصر الكشف عن كثير من المتناقضات التى لم تستقم مع الفكر المنطقى والفلسفى.

وقد استلزم هذا الوضع التوصل إلى إجابات فلسفية لا تتناقض مع أسس العقيدة ، وقد أثمرت الجهود التى بذلت فى هذا المجال عن تطور الفكر اليهودى. وتجلّى هذا التطور فى أكثر من اتجاه، فبينما سعى الاتجاه الأول إلى التوفيق بين المعتقد الدينى والتفكير الفلسفى فقد بزغ اتجاه آخر تمثل فى نشأة حركة التصوف التى أنتجت أدباً أسطورياً سعى إلى تقديم إجابات غيبية أسطورية على الكثير من القضايا المتولدة عن نص العهد القديم. وتعود نشأة هذه الاتجاهات إلى نهايات فترة الهيكل الثانى ، وقد تواصلت هذه الاتجاهات عبر قرون طوال ، وكانت هذه الاتجاهات تعبر جميعها عن طبيعة التحولات الفكرية التى كانت تنشأ فى أوساط اليهود بتأثير المجتمعات التى كانوا يقيمون فيها.

وقد نشأت الفلسفة اليهودية فى نهاية فترة الهيكل الثانى، أى فى ظل الفترة الهيلينستية، وقد نشأت هذه الفلسفة نتيجة لتأثر اليهود بالفلسفة اليونانية. وكان يوسف بن متياهو وفيلون السكندرى من أوائل المتفلسفين اليهود، غير أن الفكر اليهودى الفلسفى لم يتطور إلا فى القرن العاشر، ونذكر من أهم فلاسفة اليهود فى العصر الوسيط كلاً من: الحاخام "سعديا جاؤون" الذى وضع كتاب "الأمانات والمعتقدات"، وذهب فى هذا العمل إلى أنه ليس هناك أى تناقض بين العقل والوحى. وكان من أهم مفكرى القرن الحادى عشر الحاخام "بن بقوة" الذى وضع كتاب "فرائض القلوب". وقد سعى فى هذا الكتاب إلى تعضيد الجانب الإيمانى الروحانى فى الفكر اليهودى. ووصل التفلسف اليهودى إلى أقصى درجات نضجه فى كتاب "دلالة الحائرين" للحاخام اليهودى موسى بن ميمون. وأكد فى عمله هذا

على أن الإله لا يدرك إلا بالعقل ، وأن الصفات الحسية للإله تضرب في النص الديني على نحو المثل والرمز. وذهب بن ميمون إلى أن الإله يتدخل في قوانين الطبيعة فقط، وأن الإنسان يتسم بحرية الإرادة. أما الحاخام يهودا هاليفي، فقد سعى في كتاب "الكوزاري" إلى الفصل بين عالمي الفلسفة والدين، فرأى أن عالم الفلسفة يصلح ، للمشتغلين بالمنطق والرياضيات فقط، في حين أن عالم الدين هو الذي يمنح الإنسان السعادة . أما الحاخام "ليفى بن جرشوم" فقد سعى في كتاب "حروب الإله" إلى طرح بعض المبررات المنطقية للمعتقدات الدينية. وبالرغم من كل هذا النشاط الفلسفي، إلا أن معظم الأعمال سالفة الذكر تغطي فيها نزعة إبراز تفرد الديانة اليهودية ، وأفضليتها مقارنة بسائر الديانات ، وبالفلسفة اليونانية.

وقد تواصل التفسير الفلسفي للمعتقدات اليهودية في العصر الحديث، وكان "نحمان كروكمال" من أبرز ممثلي هذا الاتجاه في القرن التاسع عشر، حيث طرح في كتابه "دليل الحائرين في عصرنا" نظرية لتفسير التاريخ اليهودي. مفادها أن الرب هو مصدر العقل والأخلاق، وأن اليهودي هو الرسول الذي بعثه الرب لتحقيق العدل والسلام.

التصوف اليهودي : القبالة

يمثل التصوف اليهودي كما يظهر في كتاب "القبالة" النهج الغيبي في تفسير العهد القديم ، وقد نشأ هذا الاتجاه المتصوف في نهايات فترة الهيكل الثاني ، غير أنه لم يتطور إلا في القرنين الثاني والثالث الميلاديين ، إذ تأثر خلال هذين القرنين بكثير من التصورات الغيبية ، ولكن حركة التصوف اليهودي لم تصل إلى ذروتها إلا خلال

الفترة الممتدة من القرن الثاني عشر حتى القرن الخامس عشر. وتفسر هذه الحركة المعتقد الديني على أسس أسطورية وقصصية تعتمد على الأساطير الواردة في التلمود . وتتمحور هذه الأساطير حول قضايا الألوهية والكون ومصير اليهود.

ويعد كتاب "الزوهار" (الضياء)، هو النص المركزي لحركة التصوف اليهودي ، وينسب هذا الكتاب إلى الحاخام "شمعون بر يوحاي" الذي عاش في فلسطين خلال القرن الأول الميلادي ، غير أن الباحثين يرون أن مؤلف هذا الكتاب هو "موشيه دي ليون" الذي عاش في الأندلس خلال القرن الثالث عشر . وقد اكتسب هذا الكتاب قدراً كبيراً من القداسة في أوساط . اليهود بعد مضي بضعة قرون على نشره ، وأصبحت قداسته لا تقل عن قداسة التلمود. وهذا الكتاب مقسم وفقاً لتقسيم أسفار التوراة، ويتضمن كثيراً من القصص الصوفى الذي يتمحور حول عملية الخلق، والعلاقات القائمة بين القوى الإلهية المختلفة ، وبنية العالم ، وعملية الخلاص.

وقد سبق ظهور كتاب "الزوهار" الكثير من الكتب الصوفية وبخاصة في القرن الثاني الميلادي، وقد نسبت هذه الكتب إما إلى شخصيات تاريخية أو أسطورية ، وتصف هذه الكتب العوالم العليا وبنية السماء والعرش. وتُنسب هذه الكتب إلى الحاخام عكيفا والحاخام يشمعيل .. أما كتاب "يصيرا" (الخلق)، الذي يعود تاريخه إما إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادي والذي يصف فعل الخلق، فإنه ينسب إلى إبراهيم أبو الأنبياء . ويصف كتاب "الملاك رازيئيل" جيوش السماء، ويحصى الملائكة ، وينسب هذا الكتاب إلى آدم. وقد

صدر في القرن الثاني عشر "الكتاب البين" ، ويتضمن أسس فكر التصوف، ويصف مشهد الرب.

وقد صدرت عدة كتب صوفية بعد كتاب "الزواهر" وطرحت عدة نظريات في التصوف كان من أهمها تلك الخاصة بالصوفي "موشيه كوردوفيرو" الذي عاش في القرن السادس عشر ، وقد وصف في كتابه "براديس" (الفردوس) الوجود ، ورأى أن الوجود يعد سلسلة منتظمة تتسلسل من الرب إلى الوجود . وكان من أهم متصوفى ذلك العصر أيضاً الحاخام "إسحاق أشكينازي لوريا" . وقد طرح هذا الحاخام رؤية مفادها أنه يتعين على الشعب اليهودي إصلاح الهياكل التي تحطمت خلال عملية الخلق ، وأن تحقيق الخلاص للروح القدس لا يتحقق إلا من خلال جمع شظايا الروح القدس المتفرقة ، وإعادة جمعها في منظومة واحدة من خلال الالتزام بالوصايا. ووفقاً لهذه الرؤية، فإن الخلاص لا يتحقق من خلال الرب وإنما يتحقق من خلال الشعب الذي يتعين عليه تحقيق الخلاص للروح القدس.

وقد ظهرت في مرحلة لاحقة الحركة المسيحانية التي تزعمها الحاخام "شبتاي تسفى" ، وقد زعزعت هذه الحركة العالم اليهودي في القرن السابع عشر، كما ظهرت في منتصف القرن الثامن عشر الحركة الحسيدية التي تعد في حقيقتها حركة صوفية. وقد استمدت الحركة الحسيدية الكثير من أفكارها من فكر الحاخام "لوريا"، غير أنها طرحت مفهوم "الصديق" (بكسر الصاد) الذي يعد وسيطاً بين المرء والرب. قد ظهرت في ذات الفترة الكثير من كتب التصوف كان من بينها كتب "موشيه حاييم لوتساتو" الذي رأى أنه المسيح المخلص.

ويمكننا على نحو عام القول بأن حركة القبلاه سعت إلى كشف الأسرار الإلهية، وتفهم ماهية الإله والخلق ، وغائية وجود شعب إسرائيل. ورأت هذه الحركة أنه من الممكن الإجابة على كل هذه التساؤلات من خلال الغوص داخل نص العهد القديم ، والوقوف على أسرار حروفه.

وعند الحديث عن هذه الحركة يجب أن ننتبه إلى تيار التصوف العملى الذى رأى أتباعه أنه من الممكن التأثير على القوى العليا من أجل شفاء المرضى، وتحقيق النجاح وكل ما يستعصى تحقيقه. ويعكف قادة هذا التيار على كتابة التعاويذ والأدعية التي يؤمنون أنه من الممكن تحقيق المعجزات من خلالها، وهكذا فقد تحولت حركة التصوف إلى حركة تقوم على السحر والشعوذة ، أما الحركة الحسيدية فنسبت الكثير من المعجزات والأفعال الخارقة لقادتها، وزعمت أنه بمقدور هؤلاء القادة منح الخير الإلهي.

التفسير:

حظى العهد القديم منذ انتهاء تدوينه بعدد لا حصر له من التفسيرات والشروح والتعليقات سواء اللغوية أو الفقهية . ويعد تفسير "ربى شلومو يتسحاق" الذي يعرف اختصاراً باسم "راشى" ، من أكثر هذه التفسيرات شيوعاً. واكتسب هذا التفسير قدراً كبيراً من الشهرة نظراً لوضوح أسلوبه ، فضلاً عن إلمامه بالدلالات اللغوية للعهد القديم، وبشروح من سبقوه من مفسرين، ويعد تفسير الحاخام "أفراهام بن عزرا" الذي عاش في الأندلس خلال القرن الثاني عشر من أكثر هذه التفسيرات شيوعاً وانتشاراً لاعتماده على المنطق ومعرفته

الوثيقة باللغة العبرية وقواعدها. وقد شهد القرن السادس عشر جمع كل تفاسير الهد القديم، وتم نشرها في مجلد ضخيم بعنوان شروح العهد القديم.

ومع ظهور حركة التنوير اليهودية في القرن الثامن عشر نشأ في أوساط اليهود علم نقد العهد القديم القائم على نتائج الاكتشافات الأثرية، وعلم اللغة الحديث، ولازال هذا النهج النقدي في دراسة العهد القديم متبعاً في كثير من المؤسسات الأكاديمية، سواء في إسرائيل أو خارجها.

تسمية اليهود بالإسرائيليين:

من التسميات الأكثر رواجاً في التوراة وفي كتابات لاحقة، حتى اليوم، للإشارة لليهود تسميات: إسرائيل، بنى إسرائيل، الأمة الإسرائيلية، أو شعب إسرائيل، كما يشار للديانة اليهودية على أنها "ديانة إسرائيل". وحسب ما ورد، في التوراة، فقد أعطى اسم "إسرائيل" ليعقوب. حفيد أبراهام العبراني، حيث ورد في التوراة: "لأنك ناضلت (قاتلت) مع الله. وقد شاهد يعقوب في رجل صورة الإله، وسمى ذلك المكان "وجه الله": "لأننى رأيت الله وجهاً لوجه"، وأصبح أبناء يعقوب الإثنا عشر آباء الاثنى عشر سبطاً، التى تكون منها شعب إسرائيل. وكان لإبراهام أيضاً، فيما عدا إسحاق، أبناء أصبحوا آباء لشعوب أخرى: إسماعيل بن أبراهام وهاجر، وهو أبو الشعوب العربية، وكان الأول بينهم، ويتنسب شعب إسرائيل إلى إسحاق ابن أبراهام وسارة. وكان لإسحاق أيضاً، فيما عدا يعقوب ابن آخر هو "عيسو" أبو الأدوميين. وقد شكل أبناء يعقوب وحدهم شعباً واحداً سمي على اسمه "شعب إسرائيل".

ولقد عرفت الأراضي التى استقر عليها شعب إسرائيل بأنها "أرض كنعان"، بينما يندر ذكر تسمية "أرض إسرائيل"، غير أنها في العموم تنسب إلى مملكة إسرائيل، أو إلى أجزاء من الأراضي الواقعة خارج أرض يهودا، كما ورد في سفر حزقيال: "يهودا وأرض إسرائيل هما مجال تجوالك". وقد ورد ذلك في سفر صموئيل، ولكن التسمية "أرض إسرائيل" تنسب في سفر الملوك بوضوح لمملكة إسرائيل، ووردت كذلك في سفر حزقيال وفي سفر أخبار الأيام. وقد استقر الاسم الرئيسى لهذه البلاد كلها على أنها "ايرتس يسرائيل" (أرض إسرائيل)، فيما عدا في فترة المشنا والتلمود، وقد أطلقت على هذه التسمية في الأدب اليهودي المتأخر حتى يومنا هذا.

كذلك، فإن شرائع الدين اليهودى سُميت باسم "توراة إسرائيل"، في مرحلة متأخرة فقط، وفي قراءة أخرى تسمى "توراة موسى" وأحيانا "توراة يهوه". وسمى الإله باسم "رب إسرائيل"، وهى التسمية التى أطلقها لأول مرة يعقوب نفسه (التكوين ٢٠)، واستخدمت بعد ذلك كأكثر التسميات رواجاً للرب.

وفى أيامنا هذه ساد اسم "إسرائيل" باعتباره الاسم الرسمى للدولة التى تأسست على جزء من فلسطين عام ١٩٤٨، وهذا التعبير المأخوذ عن التسمية القديمة للشعب اليهودى، أدى إلى عدم وضوح وإلى تشويش المعنى القديم لاسم إسرائيل، الذى اكتسب منذ ذلك الحين مدلولاً مدنياً يُنسب للدولة وليس للشعب أو للأرض. وبناءً على ذلك يمكن أن نتحدث اليوم أيضاً عن إسرائيليين ليسوا يهودا أو عرب مواطنين فى دولة إسرائيل، على سبيل المثال.

وختاماً لهذه المقدمة، أرجو أن تكون قد أوصلت للقارئ ما قصدت إليه، وهو إدراك أهمية ترجمة التلمود للعربية بكامله، ثم إيقاف القارئ على مفردات الديانة والشريعة اليهودية، حتى يتمكن من فهم النص الذي يحويه هذا الكتاب.

القاهرة في أول مارس ٢٠٠٤

دكتور رشاد عبد الله الشامي

أستاذ الدراسات العبرية

كلية الآداب جامعة عين شمس

مقدمة تحليلية للكتاب

فوجئت ذات يوم، وأنا في الكلية، بأستاذي الدكتور رشاد الشامي، يدفع إليّ بكتاب مصور وهو يقول لي: هذه ترجمة لجزء من التلمود، وهي من التراث الديني ليهود مصر في بدايات القرن العشرين، وعليك أن تقومى بقرائتها وكتابة دراسة تحليلية عنها على اعتبار أن ذلك يدخل في صميم تخصصك في الدراسات التلمودية، وبالفعل فقد عكفت على قراءة هذه الترجمة، وكانت نتيجة التأمل والفحص ما يلي:

الكتاب من القطع المتوسط ويقع في طبعته الأصلية في مائة وسبع وأربعين صفحة من القطع الصغير، وقد طبع في مطبعة العرب وعلى نفقتها سنة ٥٧٦٩ للخليفة (التقويم العبري)، الموافق عام ١٩٠٩ ميلادية.

ويمثل هذا الكتاب الجزء الأول من مشروع كان ينوي المترجم القيام به، حيث جاء في نهاية الكتاب صفحة (١٤٧)^(١): "انتهى الجزء الأول من التلمود والحمد لله أولاً وأخيراً".

وهذا الكتاب يكتسب أهمية لعدة أسباب:

(١) أرقام الصفحات المشار إليها في المقدمة، هي أرقام صفحات الكتاب الأصلي (المراجع).

١- أن الكتاب يحمل عنواناً دعائياً براقاً، فمعلومات القارئ عن التلمود قليلة جداً، وبالتالي فعنوان الكتاب يوحى بأنه يتضمن كل ما يهم القارئ ويريد معرفته عن التلمود.

٢- نحن نتفق مع المترجم فيما دعى إليه من ضرورة وأهمية ترجمة كتاب "المشنا" Mishna وكتاب " التلمود Talmud إلى اللغة العربية.

٣- يبدو وأنه كان للمترجم هدفاً غير الذى أعلنه فى ديباجة الكتاب، وهو: "رغبة المترجم فى خدمة الناطقين بالضاد وتفانيه فى رفع سوء التفاهم بينهم وبين أقدم عناصرهم عهداً، ألا وهو العنصر الإسرائيلى..." ، وهو ما دفعنا إلى عرض هذا الكتاب وتوضيح هدف المترجم غير المعلن من هذه الترجمة، وتشجيعاً لأبناء العربية ممن يجيدون اللغة العبرية، وشحذاً لهممهم، لترجمة التراث الدينى اليهودى إلى اللغة العربية ، حتى نقطع الطريق على ذوى الهوى والغرض من المترجمين الأجانب.

يبدأ هذا الكتاب بديباجة ومقدمة لهذه الترجمة تقع فى ستين صفحة، أما مضمون الكتاب فهو ترجمة " لثلاثة فصول " فقط من "باب واحد" من أبواب "المشنا" هو "باب الآباء"، وجاءت ترجمة الفصلين الأول والثانى فى ست وخمسين صفحة، ثم قطع الترجمة بتعريف لكتاب "الزاهر" Zohar وهو كتاب يختلف عن "المشنا" وعن "التلمود" ولا ينتمى إليهما.

ويعنى اسم "زاهر" النور أو الضياء ، وقد ورد التعريف فى ثلاث صفحات، استكمل بعدها ترجمة الفصل الثالث من باب "الآباء" فى المشنا.

وقبل أن نعرض مضمون الترجمة ، نجد لزماً علينا أن نعرف القارئ بكتاب "المشنا" وكتاب "التلمود" نظراً لأن المترجم قد تعمد الخلط، فى ديباجة الكتاب، بين "المشنا" وبين التلمود" فجاء فى صفحة (٣): "التلمود عبارة عن التقاليد والتعاليم الشفاهية التى ألقاها موسى النبى على أمته أثناء تدوين التوراة فتلقتها الخلف عن السلف بالحفظ إلى أن دونها ربى (الربانى) يهودا هناسى ومن جاء بعده..." ، أى أن المترجم ينسب التلمود إلى موسى عليه السلام، وهذا خطأ مقصود.

فكلمة "مشنا" تعنى "تشريع" وتطلق كتسمية على كتاب "المشنا" كله الذى يقع فى صورته المطبوعة الحالية فى ستة مجلدات من القطع المتوسط ، ويضم التشريعات والأحكام التى وضعها مشرعو بنى إسرائيل منذ السبى البابلى ٥٨٦ ق.م، وقاموا عن طريق تلك التشريعات بتطوير شريعة موسى عليه السلام ، بما يتفق مع المستجدات التى طرأت على حياة بنى إسرائيل وانتقالهم من حياة البداوة والرعى إلى الحياة المدنية، حيث عاشوا على هامش الحضارات الشرقية القديمة (الآشورية ، البابلية ، الفارسية) ثم الحضارة الإغريقية ، وقد إضطر المشرعون اليهود إلى مخالفة شريعة موسى عليه السلام فى كثير من تشريعاتهم لكى يتمكنوا من مسايرة المستحدثات فى كل حضارة من تلك الحضارات التى عاشوا على هامشها، وأطلقوا على

تشريعاتهم تلك اسم dat yehudiit ، أى الدين اليهودى، أما شيعة موسى عليه السلام فاطلقوا عليها اسم dat Moshe أى دين موسى. وينسب تحرير كتاب "المشنا" إلى الربانى يهودا هناسى فى مستهل القرن الثالث الميلادى، أى أن الربانى يهودا هناسى هو من رتب أبواب وفصول "المشنا" وليس "التلمود"، ويهودا هناسى لم يتلق شريعته عن موسى عليه السلام ، والدليل على أن المترجم تعمد الخلط بين "المشنا" و"التلمود" أنه عاد وصحح هذا التعريف وفصل بينهما فى صفحة (٢٨) من المقدمة.

أما كلمة "تلمود" فتعنى تعليم، وتطلق كتسمية على كتاب التلمود الذى يقع فى نسخه المطبوعة الحالية فى عشرين مجلداً أو أكثر من القطع الكبير، ويضم تشريعات "المشنا" التى تعد "متناً"، والشرح الذى قام به معلموا بنى إسرائيل على هذا المتن ويسمى جماراً "gemara" فمنهما معاً يتكون التلمود.

ونظراً لأن الشرح والتفسير (الجمارا) قد بدأ فى بابل وفلسطين فى الفترة من القرن الثالث الميلادى إلى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى، فقد تكون تلمودين أحدهما بابلى والآخر فلسطينى، أو أورشليمى، والتلمود البابلى يفضل الأورشليمى بميزتين :

أ - فقد استمر العمل فيه فترة زمنية أطول من الأورشليمى الذى انتهى العمل فيه بعد طرد اليهود من فلسطين، وهجر المعلمين لمدارسهم الدينية فى القرون الأولى للميلاد..

ب - تم تجميع التلمود البابلى بطريقة أكثر دقة وإلتزاماً من الأورشليمى.

وإذا ذكر اسم "تلمود" مجرداً فيقصد به التلمود البابلى.

وتصر معظم المصادر والمراجع اليهودية على أن الشروح التى تمت على متن التلمود قد انتهت فى أوائل القرن السادس الميلادى، وذلك لإبعاد أى احتمال لوجود تأثيرات إسلامية فى التلمود الذى وضع فى بيئة شرقية أصبحت إسلامية منذ القرن السادس الميلادى، على الرغم من أن أقدم نص مكتوب للتلمود، وهو مخطوطة أكسفورد، التى تحتوى على أبواب متفرقة من التلمود البابلى ترجع إلى عام ١١٢٣م.

ونرى أن عملية جمع الشروح والتفسيرات التى قامت على متن التلمود وتحريرها وتنقيتها وتعديلها قد استمرت حتى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى ، إلى أن تظهر مخطوطات للتلمود ترجع إلى تاريخ قبل هذا، تثبت عدم صحة ما نقول.

ومن الأدلة التى استندنا عليها فى رأينا هذا أن : "الجمارا" عبارة عن تسجيل حى للمناقشات التى دارت بين علماء اليهود فى مدارسهم الدينية، وعلى حين نجد التلمود الفلسطينى أو "الجمارا" فى فلسطين قد توقفت بطرد اليهود من فلسطين ، وخراب المدارس الدينية فيها، فإن المدارس الدينية فى بابل قد استمرت فى ظل الحضارة الإسلامية التى تفاعل معها اليهود ونهلوا منها، وعندما بدأت تلك المدارس ينتابها الضعف لأسباب داخلية يهودية، من بينها هجرة العلماء اليهود إلى الأندلس، وهى قلعة من قلاع الحضارة العربية الإسلامية فى هذا الطرف القصوى من القارة الأوربية، وهاجر العلماء اليهود من العراق إلى المدارس الدينية اليهودية التى أخذت تنافس هى الأخرى المدارس الدينية العراقية منذ القرن العاشر الميلادى،

وراح اليهود يتوافدون على الأندلس من كل حذب وصوب، وأخذوا يحاكون العرب فى كل المجالات حتى استحقت هذه الفترة عن جدارة أن تسمى "بالعصر الذهبى" للأدب والثقافة العبرية.

لذلك فنحن نرى أن الأسباب التى دعت إلى توقف العمل فى التلمود الفلسطينى، لم تجتمع فى العراق لكى تمنع أو تحول دون إستكمال العمل فى التلمود البابلى، والذي يعد هو الأساس فى عصرنا الحالى، ومن الأدلة التى تؤيد رأينا فى هذا الصدد، أن صفحات التلمود المطبوعة والمتداولة حالياً كلها وبدون استثناء عبارة عن تصوير عن أول طبعة كاملة للتلمود والتى ظهرت فى فينسيا (البندقية) ١٥٢٠م والتى أصدرها دانيال بومبرج، وهى تحمل نفس الترقيم، وتحتوى على التفاسير الأساسية التى لا تخلو منها صفحة من صفحات التلمود أى شروح "ربى شلومو بريتشحاق" (١٤٠١ - ١١٠٥) والذي يعرف إختصاراً باسم "راشى" وشروح "أصحاب الأضافات".

فصفحة التلمود فى طبعة دانيال بومبرج وفى كل الطبوعات الموجودة حالياً تتكون من:

أ - عمود داخلى فى وسط الصفحة يضم "المشنا"، أى المتن ويليه مباشرة دون أى فاصل "الجمارا" أى الشرح والتعليق.

ب - عمود يحتل الهامش الداخلى من الصفحة أى الملاصق لكعب الكتاب، يتضمن شروح للربانى بريتشحاق "راشى" ويتناول بالشرح المشنا والجمارا معاً.

ج - عمود يحتل الهامش الخارجى من الصفحة، عبارة عن إضافات قام بها أحفاد "راشى" وتلامذته فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر فى المانيا وفرنسا، وقد استدرکوا فيها بعض ما قام به "راشى" من شروح أو أكملوا بعض ما فات، أى أنها إضافات إلى شروح "راشى" وليست شروحاً مستقلة بحد ذاتها.

ومعنى ذلك أنه منذ أقدم طبعة للتلمود وحتى أحدث طبعة، لا تخلو الصفحة من شروح "راشى" ولا من الإضافات التى أضيفت إليها والتى ترجع إلى الفترة من القرن الحادى عشر إلى القرن الثالث عشر، ولا تختلف الطبعات إلا فى التفاسير التى يتنافس أصحاب المطابع فى إضافتها إلى التلمود فى نهاية الأبواب وبعضها قديم وبعضها يرجع إلى العصر الحديث.

فكيف يمكن بعد ذلك أن نردد أن التلمود قد تم الإنتهاء من تدوينه أو تحريره أوائل القرن السادس الميلادى؟!!

والكتاب الذى نعرضه، هو ترجمة لثلاثة فصول من باب واحد من أبواب "المشنا" يسمى باب "الأباء" ويقصد بهم مشرعو بنى إسرائيل وقضاتهم الذين وضعوا كتاب "المشنا"، وهذا الباب لا يعد ضمن أبواب التلمود، لأن اسم تلمود، كما ذكرنا، يطلق على "نص المشنا" وما عليه من شرح وتعليق "جمارا" فمنهما معا يتكون التلمود، "وباب الآباء" لم يرد عليه "جمارا"، سواء فى التلمود البابلى أو فى التلمود الأورشليمى، فهو إذن باب من أبواب المشنا، وليس باباً من أبواب التلمود، ولا يجوز إطلاق اسم "تلمود" إذن، على ترجمة "لفصول الآباء"، فالمشنا عبارة عن تشريعات وأحكام، أما "فصول

الآباء"، فهي في معظمها عبارة عن حكم وأقوال مأثورة بعضها فلسفي، كما أنها تتضمن ثناء على الشريعة، والإعلاء من قدر دارسيها، وتعظيم ثوابهم في الآخرة.

أي أن فصول الآباء التي وقع اختيار المترجم عليها لتكون "باكورة عمله العظيم الشأن..."، كما جاء في ديباجة الكتاب، لا تنتمي للتلמוד اسمًا، ولا تنتمي للمشنا مضمونًا ومادة.

ولقد وردت "فصول الآباء" في طبعات التلمود بدون "جمارا"، وجاء في الهامش الداخلي من الصفحة شروح راشي عليها، وفي الهامش الخارجي شروح موسى بن ميمون، وهي التي يستعين بها المترجم في شرح الترجمة.

ونرجح بناء على ما سبق، وبناء على الدلائل والشواهد التي سنعرضها لاحقًا، أن باب "فصول الآباء" قد تمت إضافته إلى المشنا، وذلك في عصر "الجماءونيم"، أي "المعظمين من الحاخامات" في الفترة من القرن السابع الميلادي إلى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، وبالتحديد بعد ظهور عنان بن داود (أواخر القرن الثامن الميلادي) في العراق وزعامته للحركة القرائية، فقد كان عنان تلميذًا للمعتزلة ومتأثرًا بموقفهم من الحديث النبوي، وتخرجهم من إعتباره مصدرًا أساسيًا للتشريع الإسلامي، وكانت حججهم في ذلك أن كتاب الله، القرآن، يستغني بنفسه عن التكملة بشيء آخر، حيث جاء فيه: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) الأنعام (٣٨).

لذلك رفض عنان بن داود المرويات الشفهية "المشنا والتلمود"، وجعل المرجع الأول والأخير هو النص المكتوب المسمى "المقرا"

وأصبح أتباعه يسمون لهذا السبب القرائين، خصوصًا وأن مرويات التلمود لا ترتفع أبدًا بسند متصل إلى موسى عليه السلام أو من جاء بعده من الأنبياء، وأنها تتناقض فيما بينها تناقضًا صارخًا، وكذلك فيما بينها وبين التوراة، أي شريعة موسى عليه السلام.

وقد تصدت اليهودية الربانية المؤمنة بالمشنا والتلمود "الشريعة الشفهية" للحركة القرائية التي كانت تمثل خطورة شديدة، نظرًا إلى تبخر زعيمها عنان بن داود في التلمود وكثرة رجوعه إلى نصوصه بغرض تنفيذها وهدمها. لذلك حاولت اليهودية الربانية جاهدة وضع سند يصل تلك "الشريعة الشفهية" بموسى عليه السلام، إلى أن وضعوا "فصول الآباء" التي أستهلوها بالفقرة: "موسى تلقى التوراة من سيناء وسلمها ليشوع، ويشوع للشيوخ، والشيوخ للأنبياء، والأنبياء سلموها لرجال الكنيسة الكبرى".

ويأتى في الشرح المصاحب للترجمة، أن المقصود بالتوراة في نص المشنا هنا هو "الشريعة المكتوبة والشريعة الشفهية"، أي أن "فصول الآباء" أضيفت إلى المشنا لكي توجد سندًا متصلًا من رواة الشريعة الشفهية مرفوعًا إلى موسى عليه السلام للرد على القرائين من جهة وللدفاع عن اليهودية الربانية من جهة ثانية، ومما يؤيد رأينا الأدلة الشواهد التالية:

١ - أن "فصول الآباء" لا تنتمي لنسيج المشنا كما ذكرنا.

٢ - أن "فصول الآباء" لم يرد عليها "جمارا"، أي شرح وتعليق، سواء في التلمود البابلي أو في التلمود الأورشليمي، وهذا يعني أنها لم تكن موجودة في "نص المشنا" الذي قام "الأمورائيم"، أي الرواة

وهم علماء التلمود الذين قاموا بشرح تشريعات المشنا والتعليق عليها ويعرف عملهم باسم الجمارا ، وقد امتد عصرهم إلى القرن السادس الميلادي وقاموا بشرح جميع فصول المشنا وأبوابها.

٣ - أن الهدف من باب "فصول الآباء" ، كما جاء في المراجع العبرية ، هو التأكيد على سلسلة التلقى للشرعية الشفهية من موسى عليه السلام إلى رجال الكنيسة الكبرى ثم العلماء الأزواج من بعدهم إلى الجيل الذي أعقب خراب الهيكل (٧٠م) ، أي أن الهدف هو نسبة تشريعات "المشنا" إلى موسى عليه السلام.

٤ - إن الحكم والأقوال المأثورة التي ينسبونها إلى علماء الشريعة الشفهية، ليست من قولهم ، أي أنهم ليسوا أول قائلها ، فمن الأمثال الواردة في فصول الآباء "والتي ينسبونها إلى بعض العلماء ما هو مأخوذ من سفر الأمثال ، ومنها أقوال مأثورة شائعة في آداب الشرق الأدنى القديم، ولذلك فنحن نقدم هذه الترجمة على الرغم من تحفظنا عليها لكي نفسح المجال أمام الدارسين لكي يتناولوها بالبحث ويقارنوها بأصولها الشرقية التي إنتزعت منها إنتزاعاً.

٥ - إن وضع هذا الباب وإقحامه في "سيدر نزيقين" ، أي كتاب الجنايات " وهو الجزء الذي يتضمن قانون العقوبات في "المشنا" ، كما يتضمن تشكيل هيئة القضاة التي تصدر هذه الأحكام والعقوبات ، والتي تفصل في النزاعات، لم يكن عبثاً ، ولم يأت من باب الصدفة ، فنظراً لأن القضاة كانوا من علماء الشريعة ، فقد أراد من وضع فصول الآباء في هذا الإطار أن يضيف عليهم من الصفات التي تجعلهم جديرين بأن يكونوا قضاة ، وعلى رأسها: "الحكمة" ، كما أراد

من جهة أخرى أن يثبت تلقيهم هذه الشريعة وتلك الأحكام من موسى عليه السلام، أي أراد أن يقول أن تلك الأحكام منزلة ، وبالتالي يجب احترامها والإمتثال لها، ومن جهة ثالثة أراد أن يعلى من قدر ومكانة القضاة، علماء الشريعة ، وأن يخفف من التأثير السلبي لباب "هورايوت" ، وهو الباب الذي يلي "فصول الآباء" في كتاب "المشنا" ، فباب "هورايوت" يعنى التعليمات أو التوجيهات ويقصد بها التعليمات الموجهة إلى الكاهن الأكبر أو إلى "السנהدرين" أي هيئة القضاة التي كانت تفصل في النزاعات في عصر المشنا ، إذا أصدروا حكماً أحلوا به حراماً ، عن طريق الخطأ ، فكيف يتصرفون، وما يجب عليهم عمله في هذه الحالة ، وما يجب على عامة الشعب الذين أخطأوا بدورهم عن طريق تنفيذ هذا الحكم الخاطئ الذي صدر عن هيئة القضاة.

وقد استرعى إنتباهي أن الأستاذ شمعون مويال المترجم، لم يذكر هذا الباب "هورايوت" ضمن أبواب "سيدر نزيقين" في المقدمة ص ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ولم يشر إليه مطلقاً، مما زاد من شكوكنا حول هدفه من تقديم هذه الترجمة!!

٦ - هناك شواهد كثيرة على وجود اختلافات في مكان هذا الباب وترتيبه بين أبواب المشنا، ففي الطبقات الأولى للتلمود طبع باب "فصول الآباء" في نهاية "سيدر نزيقين" ، أما في مخطوط ميونيخ للتلمود فجاء باب "فصول الآباء" ، في نهاية التلمود كله، كما توجد اختلافات في النصوص المختلفة لهذا الباب.

٧ - هناك مادة قديمة تشبه إلى حد كبير في نسيجها باب "فصول الآباء" ، ويبدو لي أنها المصدر الذي أستلهم منه واضعوا باب

"فصول الآباء" فكرتهم ومادتهم وهو؛ "آفوت راف ناتان" أى "آباء راف ناتان" وقد أطلق عليه القدماء اسم "مشنا رابى ناتان"، فقد اعتبروه من ملحقات كتاب "المشنا"؛ كما أطلق عليه البعض اسم "برايتا" أى "نصوص برانية"، أى نصوص غير معترف بها، نظراً لأن يهودا هناسى، لم يدخلها ضمن كتاب المشنا، وأطلق عليه البعض اسم "مدارش" أى تفسير، بالنظر إلى مضمونه، وهو يضم مادة قديمة تختلف قليلاً عن مادة المشنا كما يضم عناصر متأخرة، وقد تم طبع "آفوت راف ناتان" فى التلمود البابلى بعد باب "فصول الآباء"، وقد رجع إليها "راشى" فى شرحه على باب "فصول الآباء".

٨ - إن هذا الباب كان يعرف باسم "آفوت" فقط أى "باب الآباء"، ولم يعرف باسم "فصول الآباء" إلا فى القرن الحادى عشر والثانى عشر، وبعد إدراج هذا الباب فى كتب صلوات الأيام العادية، وكتب صلوات الأعياد (السدوريم والحزوريم) فأصبحت تعرف باسم "فصول الآباء" لتقسيمها عند القراءة فى المعابد إلى فصول.

٩ - أن "فصول الآباء" الستة لم توضع دفعة واحدة، وأرجح أن الفصل الأول والثانى قد وضعاً أولاً، فهما يتناولان علماء الشريعة الذين تلقوا الشريعة عن موسى عليه السلام وفق التسلسل والترتيب الزمنى انتهاء بتلامذة يوحنا بن زكاى، وذلك للرد على القرائن وإثبات أن سلسلة السند مرفوعة إلى موسى عليه السلام دون إنقطاع، وبعد ذلك تمت إضافة بقية الفصول، فقد جاء فى بعض المراجع العبرية أن الفصل الخامس لا ينتمى إلى: فصول الآباء "وإنما عبارة عن مروييات (أجاده) تدور حول الأرقام والأعداد وقد أستلت من أدب مشهور يضم هذا النوع من الحكايات، وقد جاءت بعض نماذج منه فى "آفوت راف ناتان" أيضاً.

وقد ذكرت بعض المراجع، أن الفصل السادس من فصول الآباء قد أضيف بعد عصر راف عمرا م جاءون (ترأس أكاديمية سورا عام ٨٥٨م)، أى منتصف القرن التاسع فى العراق، ويدور هذا الفصل حول تمجيد الشريعة والثناء على دارسيها، ويبدأ بـ: "شرع الحكماء بلغة المشنا..". مما يدل على أن هذه الجملة قد جاءت على لسان "الجاءونيم" الذين وضعوا هذا الفصل.

١٠ - أن قيام الأستاذ شمعون مويال بترجمة الفصل الأول والثانى فقط من "فصول الآباء" وشروح موسى بن ميمون عليهما ثم الجىء بتعريف طويل لكتاب "الزوهـر" يقع فى ثلاث صفحات، يقطع به الترجمة ويصرف ذهن القارئ عن إنقطاع الترتيب الزمنى لعلماء الشريعة والذى سار عليه فى الفصل الأول والثانى، والذى أوقعه فى حرج شديد على ما يبدو جعله يأتى بهذا التعريف المطول ويتوقف عن إتمام الترجمة ويكتفى بتسليط الضوء على الفصلين اللذين يتفقان مع ما يريد أن يقوله أو ما يهدف إليه من وراء هذه الترجمة وهو:

أ - يهدف الأستاذ شمعون مويال من وراء هذه الترجمة أن يوصل للمتلقى العربى سنة ١٩٠٩م، والذى كان يجهل اللغة العبرية، ما يريد بنو إسرائيل أن يصلنا ويترسخ فى أذهاننا عن التلمود، لذلك عمد إلى الخلط بين المشنا وبين التلمود فى ديباجة الكتاب كما ذكرنا.

ب - لقد أراد المترجم أن ينسب التلمود إلى موسى عليه السلام، وهذا هو سبب الخلط بين المشنا والتلمود فى ديباجة الكتاب، فعلى حين وضعت "فصول الآباء" لكى تقيم سنداً من موسى عليه السلام إلى يهودا هناسى محرر المشنا، فإن ترجمة الأستاذ شمعون مويال وضعت

لكى توجد سنداً من موسى عليه السلام إلى علماء التلمود ، ويلح الأستاذ شمعون مويال المترجم على هذه الفكرة ويصف الكيفية التى لقن بها موسى عليه السلام التوراة المكتوبة والشفاهية لمعاصريه معتمداً على ما جاء فى شرح موسى بن ميمون ، وكأن موسى بن ميمون كان معاصراً لموسى عليه السلام أو كأن الشريعة المكتوبة أو الشفاهية عدة أوراق وليست عدة مجلدات.

ج - بدافع من حرص المترجم على إقناع القارئ بفكرة أن استلام وتلقى الشريعة من جيل إلى جيل قد تم بلا إنقطاع شفاهاً على مدى ما يقرب من ألف وثمانمائة عام ، يسمح لنفسه أن يصف هؤلاء المتلقين بأنهم خالفوا أوامر الشريعة ذاتها، وقاموا بتدوينها وهو ما نهوا عنه، وحرمة النص الدينى، فيقول ص (٩٧) من المقدمة: "وأن بعض التلامذة كان بدون شيئاً من محفوظاته وشروح أستاذه فى درج صغير كان يحفظه لنفسه خفية عن أستاذه" ..

د - أن الهدف الحقيقى لشمعون مويال من هذه الترجمة هو أن يقدم خدمة لدينه ورغبة فى تضليل الناطقين بالضاد وصرفهم عن حقيقة الدين اليهودى (المشنا والتلمود) فى الوقت الذى كان يرفع فيه المستشرقون منذ مطلع القرن العشرين معاولهم لهدم الإسلام والتطاول على نبيه واتهامه بأنه قد استمد أقواله من اليهودية.

د. ليلى إبراهيم أبوالمجد

أستاذ الدراسات التلمودية المساعد
كلية الآداب - جامعة عين شمس

ديباجة الكتاب

هذه باكورة عملى العظيم الشأن، أقدمها للناطقين بالضاد وأنا معترف بعجزى وقصورى فعسى أن تشفع بى عندهم رغبتى فى خدمتهم، وتفانى فى رفع سوء التفاهم بينهم وبين اقدم عناصرهم عهداً، ألا وهو العنصر الإسرائيلى - منبع الانبياء والمرشدين - الذى اتشرف بانتمائى إليه فيتجاوزون عن تطاولى إلى ما قصر عنه أولى الهمم العالية والكفاءة التامة والمعارف الكافية، تهيئاً من ضخامة حجمه وتعدد مجلداته وتعدد لغته.

وقد صُدرت مجلدات التلمود البابلى بهذا المجلد المعروف باسم "يرقى أبوت" أى "اسفار الآباء"؛ لأنه وأن كان غير معدود ضمن التلمود البابلى، الذى أوقفت عمرى وسنى صباى لتعريبه، فهو مندمج به ولا غنى عن مطالعته، لمن أراد أن يعرف كيف تسلسل التلمود إلى أن دون على هيئته الحاضرة.

أما التلمود، فهو عبارة عن التقاليد والتعاليم الشفاهية التى ألقاها موسى النبى على أمته أثناء تدوين التوراة، فتلقاها الخلف عن السلف بالحفظ ، إلى أن دونها ربى يهودا هناسى ومن جاء بعده، كما سترى فى المقدمة التالية.

وأما المجلد الذى ننشره الآن، فهو عبارة عن كيفية تسلسل الأحكام والتعاليم والتقاليد الموسوية، من جيل إلى آخر، إلى ختام التلمود، وهو يذكر أهم الرجال فى كل جيل من أجيال علماء التلمود ويورد المأثور

من أقوال كل منهم وتعاليمه وحكمه، فهو إذاً توطئة لمعرفة أخلاق المتشرعين الذين سينقل التلمود آراءهم الشرعية والقضائية ومجادلاتهم وحوادثهم.

ولقد اصطلح الإسرائيليون على تسمية " أسفار موسى الخمسة " باسم " التوراة المكتوبة " وتسمية التلمود باسم " التوراة الشفهية " أو المنقولة، وعلى اعتبار أن لفظة التوراة مجردة عن كل قيد للدلالة على العلم؛ لأن التلمود يحتوى ليس فقط على العبادات، بل على القوانين المدنية والسياسية والحربية وعلى كل ما كان يعرفه الأئمة من العلوم الفلسفية والطبيعية والطبية والصحية والفلكية، فهو إذاً مجموع معارف وعلوم أبناء تلك الأزمان.

وسيأتى بعد هذا المجلد، مقدمة كافية تحتوى على كل ما لا بد من معرفته لفهم دقائق التلمود ومغامزه واستيعاب آراء التلموديين، ثم مختصر القوانين المدنية والدينية وسنستمر على التعريب والنشر إلى أن يتم الكتاب بأجمعه إذا أُتيح لنا الأجل لاتمامه.

ومما يجدر بنا الإشارة إليه، هو أن المشنة لم تذيّل كلها " بالجيمارة " (أنظر تفسير هذين اللفظتين فيما يلى) فى زمان ومكان واحد، ولهذا وجد تلمودان: أحدهما المعروف بالأورشليمى وهو الأقصر، وقد نقل إلى أكثر لغات أوروبا، وثانيهما وأهمهما، هو التلمود الكبير المعروف بالبابلّى، الذى يحتوى على ما ينوف عن الثلاثين مجلداً.

ولنا وطيد الأمل بأننا أدينا بعلمنا هذا خدمة جليلة لكافة الشرقيين، فإن توفّقنا لاتقانها فذلك غاية المنى، وإلا فحسبنا أننا نشطنا إليها من سيجى بعدنا.

ويسرنى أن أعترف هنا، بفضل حضرة الأستاذ العامل والعلامة الفاضل ربي هارون مندل كوهن الرئيس الدينى الأعظم لطائفة الإسرائيليين الأوروبيين بمصر الذى ساعدنى بعلمه الغزير وأمدنى بأرائه الصائبة، فله منى الشكر العظيم.

وبفضل حضرة الكاتب المجيد والتاريخى المدقق جرجى أفندى زيدان، لأنه صاحب مشروع ترجمة التلمود فى الأصل، وقد تنازل لى عن مشروعه تفضلاً منه.

وبفضل حضرة الأستاذ العامل والعلامة الفاضل ربي مسعود حاي بن شمعون لتسهيله سبل البحث على، بما أهدانى إليه من الكتب المفيدة النادرة.

وأرجو نياقة الحبر الجليل والعلامة الخطير الكافير ربي الياهو حزّان، حاحام باشى الطائفة الإسرائيلية بالشجر الإسكندرى، أن يقبل شعائر إمتنانى لما أبداه لى من التشييط والتشجيع والمساعدة.

وأقدم شعائر الوداد وعبارات الشكر القلبى لحضرة الفاضل والعالم الكامل الخواجه موسى جيعان، التلمودى الشهير، ولحضرة الكاتب الأديب البارع الخواجه يهودا كوهن لاتحافهما إياى بترجمتهما لمتن هذا الكتاب التى لم تزل بالخط.

وماذا عسائى أن أقول فى مدح السراة الأملجد والوجهاء الامائل، وفى مقدمتهم سعادة مويّز بك قطاوى رئيس المجلس الملى بمصر، وسعادة المسيو فليكس سوارس محسنا الكبير وسعادة البارون دى منشه رئيس المجلس الملى بالشجر الاسكندرى، والخواجهات مناحيم ومخلوف كوهين من أعيان المنصورة الذين أمدوا المشروع بالمال حتى تمكنت من إخراجهم من حيز التصور إلى حيز العمل، فليكن اسم المحسنين مباركا من الآن وإلى الأبد.

المقدمة

قبل الشروع في ترجمة هذا المجلد رأينا من الواجب إيضاحاً لما سيرد أن نبين تسلسل التوراة الشفاهية من موسى إلى ربي يهودا هناسي مدون المشنة.

فموسى سلم التوراة المدونة والتوراة الشفاهية لخليفته يشوع بن نون ولالعازر بن هارون الحبر الأعظم ولينحاس بن العازار بن هارون^(١) ولباقى الشيوخ السبعين الذين جرى انتخابهم من أسباط بنى إسرائيل^(٢)، والذين تألف منهم السنهدرين^(٣) الأول تحت رئاسة موسى ثم تحت رئاسة يشوع.

وبعد وفاة موسى، بقيت تقاليدته وتعاليمه الشفاهية متداولة بين أولئك العلماء^(٤) وبين نفس عامة الشعب المعاصر لهم، إلى أن سلمها

(١) انظر فيما يلى علاقة شخصية بنحاس بن العازار بشخصية إيليا النبي.

(٢) توراة سفر عدد ص ١١ ع ١٦. (الرمز "ص" يشير إلى الإصحاح والرمز "ع" إلى الفقرة - المراجع).

(٣) السنهدورين أو السنهدريم هو المجلس الدينى الأعلى والمحكمة القضائية الكبرى.

(٤) وإليك بيان كيفية تلقين موسى للتوراة المكتوبة والشفاهية لمعاصريه نقلاً عن مقدمة "هارامبام" (رَبى موشيه بن ميمون) لمجلد "زيراعيم" من المشنا: (إعلم أن كل من الوصايا والنواهي التى تلقاها موسى، قد تلقى معه تفسيره فكان عند تلقيه الأمر الألهى يدخل إلى خيمة الميعاد فيتبعه هارون فيعلمه الوصية الإلهية وتفسيرها، ثم يدخل العازار وإيتامار ولداه فيعلمهما موسى ما علمه

يشوع لمن جاء بعده بالتلقين الشفاهى وهذا سلمها إلى خلفه وخلفه إلى خلفه، إلى أن وصلت لرَبى يهودا هناسي.

ويقسم هؤلاء المستلمون إلى أربعة فرق: الفرقة الأولى، المعروفة بفرقة القضاة، والفرقة الثانية وهى فرقة الأنبياء، والفرقة الثالثة وهى الكنيسة الكبرى، والفرقة الرابعة وهى فرقة التنايم^(١) وآخرهم ربى يهودا هناسي، أى الرئيس ويعرف أيضاً برينو هقادوش أى سيدنا الاقدس وبربى^(٢) أى سيدى. وهو الذى دون أقوال الحفاظ فى ستة مجلدات سماها "شيشه سيدريه مشنه" أى "كتب المشنه"، الستة فأجمع عليها علماء زمانه بلا استثناء ولا معارضة.

وتتألف كل فرقة من تلك الفرق الأربعة من إثنى عشرة أجيال، وقد استلم كل جيل منهم من الجيل الذى تقدمه بلا انقطاع. ونحن نذكر فقط الرؤساء المستلمين، بقطع النظر عن العلماء والتلامذة الذين كانوا يتلقون التعاليم وشروحها من أساتذتهم فى كل جيل شفاهاً دون أن يجوز لهم تدوينها كتابة، لأن ذلك كان محرماً عليهم، إلا أن بعض التلامذة كان يدون شيئاً من محفوظاته وشروح أستاذه فى درج

لوالدهما، ثم يدخل الشيوخ فيعلمهم ما علمهما إياه، ثم يدخل نفر من العامة فيلقى عليهم نفس الدرس، ثم يخرج موسى فيراجع هارون نفس الدرس، للجميع ثم يخرج هارون ويراجع ولداه نفس الدرس ثم يخرجان فيعيد الشيوخ ذلك الدرس، للعامة فيكون كل منهم قد سمعه أربع مرات.

(١) العلماء المذكورة آراؤهم فى المشنة.

(٢) قال هارامبام: إن كبار علماء المشنة كانوا يسمون باسمهم بلا لقب سابق، مثل هليل وشملى ويليهم العلماء الملقبون برينو وربان، ثم العلماء الملقبون بربى وأبا، مثل ربان جمليشيل وربينوها قادوش وبربى مثيروأبا شاوول.

صغير كان يحفظه لنفسه خفية عن أستاذه إلى أن كثرت تلك الأدراج المعروفة باسم "المجلات" المخبوءة وتضاربت فتوحدت كلها بالمشنى وأهمل منها كل من لم تكن موافقة لها.

فرقة القضاة

هؤلاء هم القضاة العظام الذين حكموا إسرائيل بعد يشوع بن نون^(١). وقد كان مع بعضهم قضاة وشيوخ آخرون لم نذكرهم، لعدم دخولهم في حلقات الاستلام والاسناد.

١- عثنائيل بن قناز

وهو أخو كاليب بن يفونه لأمه وينتسب إلى سبط يهوذا. حكم بنى إسرائيل مدة أربعين سنة بعد أن خلصهم من نيركوشان رشعائيم^(٢) ملك آرام وكان ذلك في سنة ٢٥١٦ للخلقة بحسب التقويم العبراني.

وقد كان مع هذا القاضي في السبعة عشرة سنة الأولى من سنى حكمه أخوه كاليب بن يفونه والداد وميداد المذكورين في الاصحاح الحادى عشر من سفر العدد. وكان الحبر الأعظم العازار بن هارون ثم

(١) لم يرد ذكر يشوع بن نون في الفقرة (٤) من ذيل الصحيفة الأولى المنقولة عن هارامبام مع أنه المستلم للشرعية بعد موسى، لأن يشوع كان ملازماً لحيمة الاجتماع، كما ورد في التوراة، وكما سنرى فيما يلى.

(٢) قضاة ص ٣ ع ١٠.

بنحاس ابنه ويقال أن الحرب بن أسباط بنى إسرائيل وسبط بنيامين جرى فى زمانه^(١) وأن ألف عيلة من سبط بنيامين رفضوا الاشتراك فى هذه الحرب الأهلية وهاجروا لبلاد رومانيا، ويقال لمدينة وورمس، التى فى جرمانيا وانقطع خبرهم.

٢- اهود بن جيرا

وينتسب إلى سبط بنيامين، حكم بنى إسرائيل مدة ثمانين سنة، بعد أن قتل عجلون ملك موآب، كما هو مفصل فى سفر القضاة^(٢) ونصر قومه على المؤابيين، الذين سادوا البلاد فى آخر عهد سلفه، وكان ذلك فى سنة ٢٥٥٦ للخلقة، وكان الكاهن الأعظم فى زمانه شجار بن عنات، وهو الذى نصر إسرائيل على المغيرين من الفلسطينيين^(٣).

٣- باراق بن أيبينوع

وهو من سبط نفتالى، حكم بالاشتراك مع النبية دبورا امرأة لبيدوت، وهما اللذان انتصرا على سيسره قائد جيوش يابين ملك كنعان، وكان ذلك فى سنة ٢٦٣٦ للخلقة. وقد حكما مدة أربعين سنة، ولهما نشيد بديع مدون فى سفر القضاة^(٤). وقد زعم بعض الأئمة أن

(١) هو حرب الجبعة الواردة فى التوراة.

(٢) قضاة ص ٣ ع ١٥ وما يليه.

(٣) قضاة ص ٣ ع ٣١. ويقصد بالفلسطينيين شعوب بحر إيجه، التى تعرف باسم "البليست"، والتى احتلت فى القرن ١٢ ق. م سواحل أرض كنعان وأعطت اسمها لهذه المنطقة ثم لأرض كنعان فعرفت باسم "فلسطين" (المراجع).

(٤) الاصحاح الخامس.

النبية دبورا كانت زوجة باراق ابن أبنوعم نفسه، لا زوجة لبيدوت ، كما يتبادر للذهن لأول وهلة، لأن لفظه "لبيدوت" ليست اسم علم لرجل، بل هي جمع "لبيد" أى "المشعل". وقد لقت دبورا بهذا اللقب، لأنها كانت حريصة على تهيئة المشاعل والفتائل اللازمة لخيمة الاجتماع، فسامها معاصروها باسم "إيشيت لبيدوت" أى "سيدة المشاعل".

٤- جدعون بن بواش

وهو من سبط منسى، ويعرف أيضاً ببيرى باعل، أى خضم الباعل^(١)، لأنه كسر الأصنام التى كانت فى بيت أبيه. وقد حكم إسرائيل مدة أربعين سنة. بعد أن انتصر على المديانيين واجلاهم عن اليهودية^(٢) التى كانوا محتلين فيها بجيش عظيم ، وكان ذلك فى سنة ٢٦٧٦ للخلقة. ومن غرائب ما يروى عن حروب جدعون وانتصاراته، أنه تمكن بأنفار قليلة من تهزيم الجيوش الجرارة، وذلك بحسن انتخابه لأعوانه وسداد تدابير الحربية.

(١) تعنى هذه اللفظة معنى الزوج وقد لقب بها كثير من معبودات الوثنيين الساميين مثل باعل ببعور وباعل صيفون وباعل زيبوب وباعل نيخو.
(٢) يستخدم المترجم مصطلح "اليهودية" وهو لا يقصد بها الديانة اليهودية، بل المنطقة الجنوبية من أرض كنعان التى عرفت باسم "يهودا" نسبة إلى يهودا بن يعقوب، والتى قامت فيها "مملكة يهودا" بعد إنقسام مملكة سليمان (المراجع).

ويندمج تحت حكم جدعون ، حكم أبيمالك ابن جاريته الذى قتل كافة إخوانه ليستتب له الملك ، ولكنه لم يملك طويلاً ، بل مات قتيلاً بيد امرأة رجته بمغزلها^(١) فى مدينة تبيص.

٥- تولاع بن فوآه

أو تولاع بن بوآه وينتسب إلى سبط يساكر. وقد حكم مدة ثلاثة وعشرين عاماً ، وكان ذلك سنة ٢٧١٩ للخلقة ، وكانت ولايته فى جبل إفرائيم فى مدينة شامير^(٢).

٦- يئير الجلعاى

نسبة إلى جلعاد ، وهو من سبط منسى . وقد حكم مدة اثنتى عشرة سنة ، وذلك من سنة ٢٧٤٢ للخلقة. ولم يرد فى التوراة شىء عن أعماله وحروبه، وعقب وفاته حصلت فترة دامت نحو ١٧ سنة خلت فيها الأمة من الحكام السياسيين، فبقيت التوراة المنقولة فى أثنائها فى عهد الحفاظ من الكهنة الذين من ذرية بنحاس بن العازار بن هارون وقيل فى عهد بنحاس نفسه، الذى يقال عنه أنه نفس إيليا الجلعاى النبى الشهير، الذى لم يت بل صعد حياً فى مركبة نارية إلى السماء، كما ورد فى سفر الملوك الأول ، جزاء غيرته الدينية فى أثناء مسألة عبادة بعل فعور، كما ورد فى التوراة^(٣) وهو ماراييلياس الحى عند

(١) قصة ص ٩ ع ٥٣.

(٢) قصة ص ١٠ ع ١ و ٢.

(٣) عدد ص ٢٥ ع ٧.

المسيحيين، والخضر عند الإسلام. ويقال أن الحرب الأهلية مع سبط بنيامين وقعت في هذه الفترة وليس في زمن عثنائيل بن قناز.

٧. بفتح الجلعادي

وهو من سبط منسى أيضا، حكم إسرائيل مدة ست سنوات، بعد أن انتصر على جيوش بنى عمون واكتسحهم عن حدود اليهودية، وكان ذلك سنة ٢٧٨١ للخليقة. وقد ورد عنه في التوراة أنه قتل إبنته الوحيدة بيده وفاءً لنذره^(١). وله حديث طويل ورد في التلمود، سيذكر في موضعه. وقد اعترض عليه كثيرا لقتله إبنته، لعدم جواز الضحية البشرية في الشريعة اليهودية.

٨. ابصان البيت لحمى

وهو من سبط يهوذا، حكم إسرائيل مدة سبع سنوات، وكان ذلك في منتصف سنة ٢٧٨٧ للخليقة. وفي عهده حدثت المجاعة الكبرى، التي اضطرت أبيمالك زوج نعومي وولديه محلون وكليون إلى مهاجرة الأوطان والسكنى في أرض موآب، حيث زوج ولديه من فتاتين موآبيتين، وهما عربة وراعوث، كما هو مذكور بالسفر المسمى بسفر راعوث. وقد زعم بعضهم أن ابصان هذا، هو نفس بوعز المذكور في ذلك السفر، والذي تزوج براعوث بعد ترملها ومجيئها مع حماتها إلى أرض إسرائيل، فولدت له أولادًا ولد من نسلهم داود الملك.

(١) قضاة ص ١١ ع ٣٤.

٩. ايلون الزبلوني

وهو من سبط زبلون. حكم إسرائيل مدة عشرة سنوات، وكان ذلك سنة ٢٧٩٣ للخليقة وتوفي في إيالون من املاك زبلون

١٠. عبدون بن هيل

هو عبدون البرعتوني، نسبة إلى برعتون من مدن جبل إفرايم، وينتسب إلى سبط افرايم حكم إسرائيل مدة ثمان سنوات، وكان ذلك في سنة ٢٨٠٣ للخليقة، وقد امتاز بكثرة الذرية والركائب^(١).

١١. شمشون بن منوح الداني

هو شمشون الجبار، الذي ضرب المثل بشلة بأسه، وينتسب إلى سبط دان. حكم إسرائيل مدة عشرين سنة، بعد أن تغلب على الفلسطينيين، واشتهر في حروبه معهم وانتصاراته عليهم ووفاته في أسرهم بخيانة خليلته دليلا.

وكان بدء حكمه في سنة ٢٨١١ للخليقة. ومن لطائف ما يروى عن شجاعته، أن الفلسطينيين هادنوا الإسرائيليين عشرين سنة بعد وفاته، لأنهم كانوا يحاذرون من أن يكون شمشون قد استخلف بعده ولدًا يضارعه في الشجاعة وشلة البأس.

(١) قضاة ١٢ ع ١٤.

(٢) ورد في التوراة حديث غريب لميلاد هذا القاضي، فقد بشرت الملائكة أمه العاقر بميلاده وأوصتها بنذره لله وامتناعه عن المسكر وعن كل ما يمتنع عنه المنذرون لله (انظر قضاة ص ١٣ وما يليه).

١٢- عيلي الكاهن الأعظم

وهو من سبط لاوى، ويتصل نسبه بإيثامار ثانى نجلى هارون، وبه آلت "الحبرية العظمى" بطريق الإرث لذرية إيثامار، حتى تولاهما أبياتار وخلفه صادوق، فعادت "الحبرية العظمى" لنسل إلعازار.

وقد حكم عيلي إسرائيل مدة أربعين سنة، الأولى منها داخلة فى حساب حكم شمشون الجبار، لأن هذا الحاكم بقى فى اثنائها فى أسر الفلسطينيين، إلى أن قتل مع من قتل منهم تحت ردم هيكلمهم، الذى خربه بقوة ساعديه، كما هو مذكور فى حديثه فى سفر القضاة فكان بدء حكم عيلي إذاً فى سنة ٢٨٣٠ للخليفة.

وفى أواخر عهد هذا الحاكم، حكم أولاده باسمه لتقدمه فى السن، فأساؤا التصرف حتى نفر منهم الشعب وفقد الثقة بهم، وحينئذ تقوت شوكة الفلسطينيين على إسرائيل فافتتحوا الكثير من مدنه وضايقوه مضايقة شديدة بغاراتهم وانتصاراتهم المتوالية. ولم يكن لرجاله قائد ماهر ليقودهم إلى الانتصار والفوز، كما كان يفعل شمشون. وفى ذلك الوقت أيضاً ابتداء ذكر صموئيل النبى، أن ينتشر فى بلاد اليهودية وأخذت الأمة تحترمه كنبى وعالم، إلا أنه لم يستلم الزعامة، إلا بعد وفاة أستاذه عيلي الكاهن.

وانتهت حروب الفلسطينيين مرة بانهزام الإسرائيليين، ووقع تابوت العهد الذى كان معهم فى قبضة أعدائهم، فغنمه الفلسطينيون مع ما غنموه، وبلغ ذلك الخبر عيلي، على حين فجأه، فسقط من كرسيه ومات لساعته. وكان ذلك فى عام ٢٨٣٦ للخليفة.

فرقة الأنبياء

لأنبياء بنى إسرائيل مراتب: منها مرتبة (حوزيه)، أى البصير، وهى الأعظم، ويتلوها مرتبة (روئية)^(١)، أى الرائي، وبعدهما مرتبة (نبى) المأخوذة من لفظة (نبي سفاتايم)، أى "نطق الشفتين"، وهذا اللقب الأخير جامع، ومعناه القوال أو المقوال، مثال ذلك: جاد البصير وعيدو الرائي وصموئيل النبى.

وكان لأكثر هؤلاء الأنبياء أسفار مدونة تحتوى على نبواتهم وأعمالهم، إلا أن أغلبها فقد كما فقدت تأليف سليمان، التى وضعها فى العلوم الطبيعية، كما تشير إلى ذلك التوراة، فلم يبق من أسفار الأنبياء، سوى ما أثبت منها فى التوراة التى بين أيدينا اليوم.

وكانت علامة النبوة، فقدان كل الحواس أثناء نزول الوحي ما عدا النطق، فكان النبى يسرد أقواله ويتلو نبوته وهو غائب عن الوجود كالليت. ولكنه كان فى غير وقت نزول الوحي عليه، عاقلاً سالم الإدراك قائماً بكافة الواجبات الدينية والمدنية، التى تفرضها التوراة على كل ذكر إسرائيلى وطنى حر النسب، ومتجنباً كافة النواهي والمحرمات الشرعية.

(١) وقيل، بل أن الروئية والنبى مترادفان لا يفضل أحدهما عن الآخر.

فمتى قام النبي بكافة هذه الشروط^(١) ، وكانت نبوته لا تخالف التوراة المدونة ولا التوراة المنقولة بشيء من الأشياء احترمت أقواله وعد في مصاف الأنبياء ، وإلا رفضت نبوته وحوكم أو عُذ مجنوناً، كما جرى ذلك غير مرة في تاريخ بني إسرائيل.

وإليك بيان الأئمة من هذه الفرقة.

(١) إليك شروط الأنبياء كما دونها هارامباوم : إذا قل نبي أتاني وحى من أحد الكواكب أو من أحد الأصنام يأمرني بعبادته، يقتل ، وكذلك إذا ادعى أن الله أوحى إليه بمثل هذه العبادة ، وفي هاتين الدعوتين لا يسمع لمدعى النبوة برهان، ولا تطلب منه آية. وإذا جاء نبي وأدعى بنزول الوحي عليه من الله وصلح على التوراة، ولكنه أضاف إليها وصية جديدة، زعم نزولها عليه بالوحي أو أمر بإبطال أحد أحكام التوراة، يقتل. وإذا جاء نبي وأقر على ما في التوراة وسلك بموجب أوامرها ونواهيها تطلب منه الآيات المثبتة لكرامته، ومتى ثبتت عُذ نبياً، وإلا حكم عليه بالقتل أو بالجنون.

١- صموئيل

هو صموئيل بن القانا بن يروحام بن اليهوين توحوبن صوف بن سبط لاوى، وكانت عائلته تسكن في الرامة من مدن جبل إفرايم واسم أمه حنة، التي كانت عاقراً ، فنذرت أن تكرس بكربتها للهيكل، إذا رزقت أولاداً، فولد لها صموئيل ففرحت به فرحاً عظيماً ونظمت قصيدتها المشهورة التي لم يزل الإسرائيليون يترغمون بها في فاتحة صلواتهم إلى يومنا هذا ، ولما فطمت إبنها جاءت به إلى شيلوه وسلمته إلى عيلي الكاهن، وحديثه مدون في سفرى صموئيل الأول والثانى.

وفى أيام صموئيل، طلب الشعب أن ينتخب له ملك ليسوسه ، فانتخب لهم صموئيل شاوول^(١) بن قيش من سبط بنيامين، لما توسمه فيه من الشجاعة والشهامة، ولما رآه على وجهه من ملامح الهيبة ولعلو قامته فمسحه ملكاً على إسرائيل وسلمه السلطة المدنية وحفظ لنفسه السلطة الروحية.

وقد استلم صموئيل التوراة المنقولة من عيلي الكاهن سنة ٢٨٧١ ، وبقيت فى عهده إلى سنة وفاته فى الثالثة والخمسين من عمره وذلك فى سنة ٢٨٨٤.

ولما خالف الملك شاوول الوصية بعد واقعة العمالقة الشهيرة التي احضر فيها أجاج ملك العمالقة اسيراً عوضاً عن أن يقتله ساعة

(١) صموئيل ١ ص ٩ ع ١٥.

وقوعه في قبضته، كما أوصاه صموئيل غضب عليه هذا النبي وتوعده بالعقاب الآجل ثم هجم على أجاج وقتله بيده^(١).

وعلى أثر ذلك، ذهب صموئيل إلى بيت يسي من سبط يهوذا ومسح داوود أصغر أولاده ملكاً على إسرائيل^(٢) في حال حياة شاوول، ثم حكم كلاهما في آن واحد إلى أن توفي شاوول أثناء حربه مع الفلسطينيين وخلفه ابنه إيشبوشث^(٣) الذي لم يدم له الملك طويلاً فانفرد به داوود وحده، كما هو مدون في سفر الملوك وبقي الملك في عائلة داود إلى أيام سبي بابل.

ومما يروى عن صموئيل النبي، أنه كان عفيف النفس نقى الكفين طاهر الذيل يتجول في البلاد للتعليم والإرشاد واصلاح ذات البين بين العائلات وبين الأفراد، دون أن يتنازل للانتفاع من أحد أو يقبل ضيافة أحد حتى ضرب به المثل في النزاهة.

وفي هذا العهد، كان أحيا بن احيطوب هو المتولى للحبرية العظمى في هيكل شيلوه.

٢- جاد وناتان

بعد وفاة صموئيل استلم الإمامة كل من جاد البصير وناتان النبي، الذين وجدا في أيام داود وأيام ابنه سليمان. وكانت الحبرية العظمى

(١) صموئيل ١ ص ١٥ ع ٣٣.

(٢) صموئيل ص ١٦ ع ١٣.

(٣) صموئيل ٢ ص ٢ ع ٨.

في عهدة ابيتار إلى أيام ملك سليمان الذي تبوأ العرش سنة ٢٩٢٤ والذي تم بناء الهيكل في اورشليم على يده وذلك سنة ٢٩٣٥. واستلم الحبرية العظمى فيه صادوق الكاهن وحديث ناتان مع داوود بشأن زوجة أوريا الحثي المذكورة في سفر الملوك تدل على مبلغ نفوذ الأنبياء على الملوك في ذلك العهد.

٣- احيا الشيلوني

وهو احيا الشيلوني النبي، من سبط لاوي، استلم منهما في أواخر أيام سليمان وذلك سنة ٢٩٦٢ للخلقة. وكان مع احيا الشيلوني عدّ والبصير وشماريا النبي، وبعد استلام المذكورين الإمامة بسنتين. توفي سليمان وخلفه ابنه رحبعام الذي حكم سبعة عشر سنة وفي عهده انقسمت المملكة إلى جزئين جزء أطاع يربعام بن نباط فألف مملكة إسرائيل. وكان الكاهن الأعظم في ذلك الوقت أحيماص أو أحيماعاص.

وفي أيام هؤلاء الأئمة الأنبياء، توفي يربعام وخلفه ابنه أبيا الذي ملك نحواً من ثلاث سنوات. وكان الكاهن الأعظم حينئذ عازاريا الكاهن، وهو غير عازاريا بن عودد النبي الآتي ذكره.

٤- ايليا

هو الياهو التشبي أو الجلعاذي الكاهن من سبط لاوي، على الرأي الأغلب، لأن منهم من يقول: إنه من سبط جاد ومنهم من يقول أنه من سبط بنيامين وقد قيل أنه نفس بنحاس بن العازار بن هارون.

كما ورد . استلم هذا النبي الإمامة ممن تقدمه واشترك معه في سلطته الروحية ، كل من عازاريا بن عودد النبي وحنانيا الرائي وهو وعوبديا جيزيثيل ونخاياهو بن يملا ، ول بعضهم أسفار واردة في التوراة ، وكان زمن هذا الاستلام مرافقاً لسنة جلوس آسا بن إيبا ملك يهوذا ، أى فى سنة ٢٩٨٣ للخلقة ، فملك مدة ٤١ سنة وخلفه ابنه يهوشافاط ، فحكم ٢٣ سنة ، وكان الحبر الأعظم يهورام ثم يهواحاز .

فى ذلك الزمن ، حدثت المجاعة الكبرى فى السامرة ، التى دامت ثلاث سنوات ووقعت حوادث آحأب ملك إسرائيل مع إيليا ، المذكورة فى سفر الملوك الأول .

ويروى عن إيليا ، أنه كان كثير التقشف فى مأكله وملبسه ، وهو البشير الذى ينتظر الإسرائيليون قدومه قبل مجئ المسيح (أنظر فى سفر ملأخى فى العديدين الأخيرين من الاصحاح الأخير) .

٥- اليشع

هو إلياشع بن شافاط من سبط جاد ، استلم الإمامة من إيليا بعد صعوده إلى السماء فى المركبة النارية كما هو مذكور فى سفر الملوك الأول . وكان بدء إمامته سنة ٣٠٤٣ للخلقة ، وفى زمانه حدثت قصة شفاء نعمان الابرص القائد الآرامى وانتصار ملك إسرائيل على جيش ابن هيداد ملك آرام ، الذى حاصر السامرة ، فحصلت فيها مجاعة كبرى ، وقصة إحياء ابن الشونامية ، الذى يقال عنه أنه نفس حبقوق النبي صاحب السفر الوارد باسمه فى التوراة وقصة امرأة النبي الذى حصلت البركة فى بيتها بأمره .

وكان معه يونا بن أمتاي ، المذكور فى ترجمة التوراة العربية تحت اسم يونان ، والمذكور فى القرآن تحت اسم يونس ، الذى ابتلعه الحوت كما هو مذكور فى السفر المسمى باسمه فى التوراة ، ثم زخريا بن يهويا داغ الكاهن ، الذى صار فيما بعد حبراً أعظم ، كما سترى .

وكان الملك فى زمانه يهورام بن يهوشافاط ، الذى حكم من سنة ٣٩٤٧ إلى سنة ٣٠٥٥ ثم خلفه ابنه احزيا من سنة ٣٠٥٥ إلى ٣٠٥٦ ، ثم خلفته امه عثاليا فحكمت ست سنوات بعد أن قتلت كل ذرية زوجها الايهواش أو يئوآش ، الذى خلفها وهو ابن ست سنوات ، إثر الثورة التى أقامها يهويا داغ الحبر الأعظم عليها ، فاسفرت عن قتلها ورجوع الملك لبيت داوود .

أما الأحبار العظام ، الذين تولوا فى ذلك العهد ، فهم يهوشع ثم يهوياداع ، الذى نصب يهواش ملكاً وهو ابن ست سنوات ، ثم زكريا ابنه الذى جمع بين الإمامة والحبرية العظمى ولكنه قتل فى الهيكل بأمر يهواش ، الذى نسى فضله وفضل أبيه يهوياداع عليه والإسرائيليون يعتقدون ، أن خراب بيت المقدس الأول ، إنما كان لتكفير هذه الجريمة الكبرى الوارد ذكرها فى مراثى ارميا .

٦- هوشع

هو هوشع بن بثري النبي ، من سبط راوبين خلف المذكورين سنة ٣٠٩٠ للخلقة . وكان معه آموص وكان الحبر الأعظم صدقياهو . وقد ورد فى كتاب (شَلْشِيلِت هاقابلَه) ، أى سلسلة الاستلام ، أن هوشع هذا مات فى بابل وأوصى إخوانه الإسرائيليين ، الذين كانوا هناك أن

يدفنوه فى الأرض المقدسة، ولكن نظراً لبعد الشقة وكثرة المشقة وعظم الأخطار، التى كان لا بدّ لهم أن يتعرضوا لها، إذا قاموا بوصيته، عاد فأوصاهم أن يضعوا جثته بعد الوفاة فى تابوت ويربطوه على جمل يطلقونه حرّاً فيسير الجمل من تلقاء ذاته، فيكون الدفن حيث يبرك ذلك الجمل. وهكذا صار. إذ بعد الوفاة سار الجمل الحامل نعش المتوفى، إلى أن وصل إلى الجليل الأعلى، أى إلى مدينة صفد، فبرك فى القرافة التى لا تزال فى سفح الجبل هناك إلى اليوم فجاء بعض سكان المدينة ووجدوا النعش وفتحوه فأروا جثة النبی هوشع وإلى جانبها ورقة مكتوب فيها من هو وما هى وصيته، فدفنوه بالاحتفال والاحترام اللائقين. ولا يزال قبره فى قرافة صفد إلى الآن، والناس تتبرك من زيارته، كما تتبرك من زيارة الاضرحة الكثيرة الموجودة فى ضواحي ذلك البلد المقدس عند الإسرائيليين.

وكان الملك فى زمانه يواش بن آحزيا ثم ابنه إمصيا بن يواش.

٧. عاموس

هو عاموس النبی من سبط اشير وصاحب سفر عاموس. استلم الإمامة سنة ٣١١٠، وكان فى أيام ملك إمصيا بن يواش، الذى انتصر على الأدوميين فى موقعة (مى ميلح) سنة ٣١١٢ وفى أيام ابنه الملك عوزيا الذى تبوأ تحت الملك فى حياة أبيه. وقد ذكر هذا الملك فى الاصحاح الخامس عشر من الملوك الثانى باسم عازاريا بن إمصيا، وهو الذى أصيب بالبرص.

وكان الكاهن الأعظم، يوثيل الكاهن، ثم يوثام، ثم أوريا.

٨. إشعيا

هو إشعيا هو بن آموص الملقب بملك الأنبياء لفصاحته وقوة كلامه، وهو من سبط يهوذا بل ومن سلالة الملك لان أباه آموص هو أخو إمصيا الملك، الذى مر بك ذكره. وقد استلم الإمامة سنة ٣١٤٠، ولكنه ابتداء فى النبوة على عهد عاموس وقد عمر طويلاً، لأنه تنبأ على أربعة من ملوك يهوذا، الذين عاصروه وهم عوزيا ابن عمه ويوثام وآحاز وحزقيا. وقد تزوج هذا الملك من ابنته، كما ورد فى سفر الملوك.

وقد كان هذا النبی صارم اللهجة مُر الكلام، ولكنه كان وطنياً شديد الوطنية، كما يظهر ذلك جلياً لمن أنعم النظر فى أقواله المتناهية فى الفصاحة.

وكان الكاهن الأعظم فى زمانه هوشعيا هو.

٩. ميخا المورشتى

هو ميخايا هو النبی من بلدة موريشا من بلاد سبط يهوذا. ولم يذكر نسبه جلياً فى الكتب التى طالعناها، ولكننا نرجح أنه من سبط يهوذا، وهو صاحب السفر المعروف باسمه فى التوراة. وقد ابتداء فى النبوة منذ أيام سلفه إشعيا فتنبأ أمام الملك يوثام والملك آحاز والملك حزقيا، ولكنه لم يستلم الإمامة إلا فى سنة ٣١٦٠. وكان الخبر الأعظم حينئذ شالوم الكاهن. وفى زمانه سبى آشور بنى جاد وبنى رأوبين ونصف سبط منسى، الذين كانوا فى عبر الأردن بعد غزوة الملك شلمنصر

ملك آشور، الذى اغار على مملكة إسرائيل فى أيام ملكها بيقاح بن رماليهاو، وذلك فى سنة ٣١٨٧. وقد تم خراب مملكة إسرائيل فى أيام الملك هوشع خلف بيقاح بن رماليهاو.

١٠- يوثيل

هو يوثيل بن فتوئيل النبى (وهو غير يوثيل الكاهن الذى مرّ بك أنه كان حبراً أعظم فى أيام عاموس)، ولم يذكر نسبه جلياً فى الكتب التى أمامنا ، ولكنه ورد فى التلمود أنه من سلالة صموئيل النبى، أى من سبط افرايم ، وقد استلم الإمامة سنة ٣١٩٠ للخلقة، ولكنه تنبأ قبل ذلك أمام آحاز وحزقيا ملكى يهوذا وله سفر فى التوراة باسمه ، وكان معه أيضاً النبى ناحوم الالقوشى، صاحب السفر المسمى باسمه والنبى حباقوق صاحب سفر حباقوق، وقد قيل عن هذا الأخير أنه ابن المرأة الشونامية^(١) التى كانت تخدم اليسع النبى وكانت عاقراً فدعا لها اليسع فرزقت بحباقوق فمات، فاستجارت بالنبى اليسع فأحيه لها. ولكن هذا القول ضعيف لا ينطبق على الحقائق التاريخية.

وكان معه أيضاً النبى صفانيا بن كوشى بن جيداليا بن آماريا بن حزقيا، صاحب سفر صفانيا، الوارد فى التوراة بعد الأسفار المذكورة. استلم كل من هؤلاء من تقدمه ولم يكونوا كلهم فى آن واحد، ولكنهم جمعوا تحت اسم محكمة يوثيل ، لأنهم كانوا من أعضائها ثم ترأسوها فعدوا كلهم كمستلم واحد.

(١) ملوك ٢ ص ٤ ع ٨ وما يليه.

ويقال أن السبب فى اعتبار هؤلاء المستلمين كمستلم واحد وجمعهم تحت تسمية واحدة هو أنهم هاجروا من الأرض المقدسة^(٢) فى عهد واحد.

وفى ترتيب أسفار التوراة القديم تجد سفر يوثيل بعد سفر ميخا. وكان الحبر الأعظم فى ذلك العهد شيراياهاو.

١١- ارميا بن حلقيا

ويسمى فى التوراة العبرانية يرميا أو يرمياهاو بن حلقياهاو ، وهو من الكهنة الذين كانوا ساكنين فى عناتوت من أرض بنيامين، وكان نبياً وكاهناً وإماماً. استلم الإمامة فى أيام يوشيا بن آمون ملك يهوذا ، وهو الذى تنبأ بخراب الهيكل وانتصار نبوخذ نصر على اليهودية وسببه أهلها لبابل ، وهو الذى نظم تلك المراثى المؤثرة المعروفة "بمراثى إرميا"، وإليه أيضاً ينسب سفر إرميا المعروف. وكان مع إرميا نبى آخر اسمه أوريا بن شمعايا وفى أيامهما خلف إلياقيم أباه يوشيا فقتل هذا الملك أوريا النبى ظلماً.

وفى هذا العهد خربت نينوى وخلف يهوياخين المسمى أيضاً يحنيا، أباه الياقيم ثم مات فخلفه أخوه صدقيا، الذى تم انتصار البابليين على مملكة يهوذا أيامه فخرّبوا الهيكل وسبوا من سبوه من اليهودية. وكان ذلك سنة ٣٣٣٨ للخلقة ، وهذا السبى هو المعروف فى التاريخ باسم "سبى بابل"، الذى مازال الإسرائيليون يندبونه فى ٩ آب إلى يومنا هذا.

(١) هى أرض اليهودية وهذه الهجرة سابقة للسبى الكبير.

الكنيسة الكبرى

فى هذا الزمان ، كانت الإمامة الكبرى فى عهد إثنى عشر شخصاً من أكابر علماء ومشاهير أساتذة العصر، ومن ضمنهم أواخر الأنبياء أصحاب الأسفار الصغرى وكلهم وجدوا فى السنين الأخيرة من سنى سبى بابل وفى السنين الأولى لعهد عودة الأمة الإسرائيلية ، بأمر قورش إلى بلاد فلسطين واستقلالها فيها بعض الاستقلال تحت حكم وال إسرائيلى معين بأمر من ملك الفرس ، وهذا العهد هو المعروف فى التاريخ باسم زمن البيت الثانى.

وقد ذكر هؤلاء الأئمة الأثنى عشر بأسمائهم فى أسفار "الكتوبيم"^(١) ، التى منها سفر عزرا ونحميا ، وهم الذين ساروا فى مقدمة تلك النهضة القومية الإسرائيلية ، التى نتج عنها إعادة بناء الهيكل وأسوار اورشليم ورجوع الشعب القديم لبلاده ليحكم نفسه بنفسه تحت رعاية الملك قورش ، الذى قيل عنه إنه من سلالة إستير ابنة عم مردخاى ، التى تزوج بها أحشو يرش.

(١) تقسم التوراة عند الإسرائيليين إلى ثلاثة أقسام : الأولى (توراة) أى أسفار موسى ، والثانى (نبئيم) أى أسفار الأنبياء وآخرهم ملاخى ، والثالث (كتوبيم) أى المحررات المقدسة التى هى : مزامير داود وأمثال سليمان وسفر ايوب ونشيد الأنشاد وسفر راعوث ومراثى ارميا والجامعة وسفر استير وسفر دانيال وسفر عزرا وسفر نحميا وسفر أخبار الأيام.

وإليك أسماء الأئمة المذكورين: حجى أو حجلى النبى صاحب السفر المسمى باسمه^(١) ، زكريا النبى^(٢) (وهو غير زكريا بن يهوياذاح الحبر الأعظم والنبى الذى قتل بأمر يوأش فى نفس الهيكل ، كما يشير إلى ذلك إرميا فى مراثيه) ولهذا الإمام سفر باسمه فى التوراة^(٣) ملاخى النبى وهو آخر أنبياء بنى إسرائيل وقد انقطع الوحي بعده^(٤) ، زروبابل بن شالتيئيل ، أول الولاة اليهود التابعين لملك الفرس. (٥) مردخاى بلشان. (٦) عزرا الكاهن والكاتب، وإليه تنسب قاعدة الخط المعروف بالمربع أو الأشورى ويلقب بلسان تلك النهضة القومية. (٧) يشوع يهوصاداق الكاهن. (٨) شيرايا. (٩) راعاليا (١٠) ، ولده مسبار (١١) ، راحوم باعانا (١٢) ، نحميا بن حاخاليا من الكتاب، وإليه ينسب السفر المعروف باسمه فى أسفار "الكتوبيم" ، وهو يتضمن تاريخ عودة بنى إسرائيل من بابل وحوادث بناء اورشليم والهيكل وأنساب العائلات الإسرائيلية.

وكان مع هؤلاء الأئمة الأثنى عشر ، مائة وثمانية من العلماء الآخرين بصفة مستشارين وحفاظ ، هذا ما عدا أعضاء السانهدرين وأفراد الكهنة العاملين. فكل هؤلاء الرجال العظام فى إسرائيل تألفوا سوية وأجمعوا على سن القواعد الملائمة لحياة الأمة ورتبوا الصلوات اليومية^(٣) والطقوس والعبادات ، كما سترأها فى المجلد الأول من مجلدات التلمود البابلى المعروفة باسم "بيراخوت".

(١) راجع سفر استير.
(٢) هو زكريا بن بيراخيا ابن عدد.
(٣) قد نقلت هذه الصلوات إلى اللغات الحية كالفرنسية والإنكليزية واليطالية وهى منتشرة فى مكاتب العالم كافة.

وكانت "الحبرية العظمى" فى بادى الأمر ، فى عهدة يهوصاداق الكاهن ثم خلفه فيها شمعون الملقب بالصدىق ، الذى سيأتى ذكر اسمه مع المآثور عنه فى الفصل الأول من هذا الكتاب.

وكانت الزعامة الدينية للامة والقضاء للسانهدرين ، والخدمة الإلهية للكهنة ، فانتظمت أحوال الأمة واستقامت أمورها ، وكان الملوك أصحاب السيادة على اليهودية يحترمون الأئمة ويجلون السانهدرين لغزارة علومهم وسداد أحكامهم.

بقايا الكنيسة الكبرى

ويوجد بين رجال الكنيسة الكبرى وبين علماء المشنة ، نفر من المستلمين والأئمة لم يدخلوا فى سلك الكنيسة الكبرى حقيقة ، ولكنهم ألحقوا بها لمعاصرتهم إياها وأخذهم عنها وقد لقبوا بلقب "شبيريه كنيسيت هجدوله" أى "بقايا الكنيسة الكبرى" ، ومنهم شمعون الحبر الأعظم الملقب بالصدىق وربى دوسا بن هركيناس او هرخيناس.

وخلف هؤلاء فى الإمامة ، "التنائيم" ، نسبة إلى "متنيتا" أى الدرس ، وهى ترجمة لفظة مشنة العبرانية باللغة الكلدانية الممتزجة إلى لغة التلمود الدارجة ، كما لا يخفى.

وفى أيام "الكنيسة الكبرى" ، جمعت أسفار التوراة والأنبياء لأول مرة ، ولكن هذا الترتيب تغير فيما بعد ، كما سنورده فى حينه.

فرقة التنائيم

من مجموع التقاليد الموروثة الأصلية والآراء التى كان يرتأها كل جيل من أجيال الأئمة فى تطبيق الأحكام والقواعد المستجلة والنظامات الموضوعة بإجماع رجال الكنيسة الكبرى تألفت المشنة ، التى هى عبارة عن متون كان يتداولها الحفاظ تحتوى على الأحكام الإدارية والقضائية والدينية والطقسية والسياسية ، وهى أساس التلمود ، كما سترى. وما السفر الذى نحن شارعون الآن فى ترجمته وتفسيره إلا جزء من هاتيك المشنة.

وإليك أجيال علماء المشنة المستلمين الأثنى عشر بحسب ترتيب أزمنتهم:

١- انتيجنوس رجل سوكو^(١)

استلم الإمامة من شمعون الصديق سنة ٣٤٦٠ للخلقة . ومن معاصريه ربى العازار بن حرشوم ، الحبر الأعظم ومن علماء المشنة. وفى عهدهما ضاقت الأمم المجاورة الأمة الإسرائيلية^(٢) ، وحاولت

(١) أى من أهل سوكو وكذلك رجل صريفة ورجل أورشليم.

(٢) الأمة الإسرائيلية: يستخدم المترجم هذا المصطلح ، وهو يشير إلى وحدة الدين بين اليهود ، كما يقول المسلمون "الأمة الإسلامية" ، وهو المصطلح الذى جولته الحركة الصهيونية - بعد ذلك ، إلى مصطلح "الشعب اليهودى" للتأكيد على أن اليهودية قومية مثلها مثل سائر القوميات الأوروبية (المراجع).

التنكيل بها وإضرارها فنجت منهم المرة بعد المرة، دون أن تفقد استقلالها. وسترى تفصيل تلك الحوادث، فيما يلي من مجلدات التلمود.

٢- يوسى رجل صريفة ويوسى رجل أورشليم

وهما يوسى بن يوعيزر ويوسى بن يوحنا. استلما الإمامة من تقدمهما وذلك فى سنة ٣٥٠٠ للخليقة. وكان الخبر الأعظم فى زمانهما العازار الكاهن، وهو الذى انتخب من بين جمهور الحفاظ الاثنى وسبعين شيخاً وأرسلهم إلى تلماي، أى بطليموس ملك الإسكندرية بناء على طلب هذا الملك، فوضع كلاً منهم فى غرفة على انفراد واستكتبهم التوراة المدونة فكتبوا له نسخة منها، هي النسخة السبعينية الشهيرة، التى يرجع إليها المترجمون والباحثون فى التوراة إلى يومنا^(١) هذا. ويقال إن بطليموس قابل بين ما كتبه الحفاظ على انفراد فوجدهم لم يختلفوا فيما كتبوه ولا بحرف واحد، ولكن الإسرائيليين لا يسلمون بقدسية التوراة السبعينية، بل ينكرون منها كل ما خالف التوراة التى بين أيديهم ويعتبرون ما ناقضها تحريقاً أدخل على التوراة السبعينية، فيما بعد، لمقاصد دينية.

(١) قيل، إن حكاية الترجمة السبعينية غير صحيحة، وأن الإسرائيليين عندما سكنوا الإسكندرية وكثر عددهم فيها، استقدموا البعض من حفاظ أورشليم فساعدوهم على ترجمة التوراة إلى اليونانية وأسسوا فى الإسكندرية هيكلًا مثل هيكل أورشليم، جاء ذكره فى التلمود مراراً تحت اسم "بيت حنيو" أو حنيف.

٣- يهوشاع بن براحيا ونتاي الاربيلى

استلم هذان الإمامان من تقدمهما وذلك فى سنة ٣٥٦٠ للخليقة. وكانت الحبرية العظمى فى عهد يوحنا الكاهن والد متايا الكاهن، أبى المكابيين الشهير بحشموناي.

٤- يهوذا بن باباي وشمعون بن شاح

استلما من المذكورين سنة ٣٦٢٠ للخليقة. وفى ذلك العهد ثقلت وطأة اضطهاد الأمة اليونانية، التى خلفت أمة الفرس على سيادة اليهودية، وحاولت بالعنف والقسوة واراقة الدماء أن تحمل الأمة الإسرائيلية على استبدال عبادتها بعبادة الأوثان اليونانية.

وسير أنطيوخوس ملك سوريا الجيوش تلو الجيوش على اليهودية، إلى أن اذل الأمة واجبرها على إبقاء تمثال جوبيتير فى الهيكل وتقديم الخنازير ضحايا عوضاً عن الحيوانات التى تستحلها التوراة وإبطال الختان والسبت، فأطاعه بعض اليهود كرهاً واستشهد بعضهم ظلماً وفر الكثيرون إلى الجبال حيث أمنوا الاضطهاد والقتل، فاستمروا على شرائعهم وعقائدهم، وكان بين هؤلاء المرابطين متايا بن يوحنا الحبر الأعظم.

ولكن درى الحكام اليونانيون بهم، فساءهم عصيانهم وأوامر أنطيوخوس فأرسلوا لمحاربتهم جيشاً من الجنود، هاجمهم يوم السبت فامتنعوا عن قتاله، فمثل بهم تمثيلاً وقتل منهم جمعاً غفيراً ولجأ الباقون للهرب.

ذلك مقدمة لنشر سيادة رومية على تلك البلاد المستقلة وجعلها ولاية رومانية.

٥- شمعايا وابطاليون

استلم هذان الإمامان ممن تقدمهما في سنة ٣٧٢٢ للخليعة ، ولم يكونا إسرائيليين الأصل بل متهودين صادقي اليهود . ومن مشاهير المعاصرين لهما العلامة عاقبيا بن مهلائيل وبعد سنتين من إستلامهما الإمامة ، أُنِى في عام ٣٧٢٤ للخليعة انتهى عهد الدولة المكابية التي حكمت الإسرائيليين مئة ومائة وثلاث سنوات، فل الأمر بعدهم للرومان الذين نصبوا هيرودوس أحد عبيد العائلة المنقرضة ملكاً على اليهودية فكان من أمره مع أسياده ومع الرعية ما هو مذكور في التلمود.

٦- هليل وشماي

وهما رئيسا المدرستين الإسرائيليتين الكبيرتين. استلما الإمامة ممن تقدمهما وكان ذلك في سنة ٣٧٢٨ للخليعة . وكان هليل الملقب بالشيخ ، طويل الأنفة كثير الحلم واسع الصدر. ومما يروى عنه أن أحد الوثنيين ، من ذوى النفوذ ، زاره يوماً وطلب منه أن يهوده بشرط أن يعلمه التوراة والفروض الدينية بكل إختصار ممكن فقال له هليل أحفظ هذه الوصية "ما تكره لنفسك لا تفعله لغيرك" ، ثم اذهب في حال سبيلك فتعلم الناموس على مهل واعلم أن كل الأوامر والنواه الإلهية مبنية على هذا الأساس المتين.

ثم اجتمع من تبقى من أولئك المرابطين وأجمعوا على مقاتلة من يقاتلهم ، حتى في أيام السبوت ، وسلموا قيادتهم لمتاتيا وأولاده ، الذين تلقبوا بالمكابيين^(١) ، فاغاروا على جيوش أنطيوخوس فكسروها وشتتوا شملها وأجلوا اليونانيين عن حدود اليهودية ثم طهر متاتيا الهيكل وحكم الأمة حكماً مستقلاً ، فكان ملكاً وحرراً أعظم في آن واحد.

وخلف متاتيا ابنه يهوذا المكابي ، البطل المشهور والقائد العظيم ، الذي تم استقلال اليهودية على يده ثم ابنه الثانى يوناثان ، ثم ابنه الثالث يوحنا ، ثم ابنه الرابع شمعون أما ابنه الخامس المسمى إلغازار فمات دون أن يتولى الملك.

وفى كل أيام الدولة المكابية ، التى تعرف فى التاريخ وفى التلمود باسم "الدولة الحشمونائية" أيضاً ، كانت الأمة الإسرائيلية حاصلة على تمام الاستقلال معززة الجانب يخشى بأسها الأمم المجاورة كافة ، إلى عهد الملك هورقانوس ، الذى صار صادوقياً ، بعد أن أهانه إلغازار بوعيره الجاهل علناً وأغضبه بكثرة ما تطاول عليه به من الكلام القارص والتوبيخ المؤلم ، فانقسمت الأمة إلى حزبين : حزب الصادوقيين وحزب الفريسيين.

وفى سنة ٣٦٤٨ للخليعة حدث بين ورثة عرش الحشمونائيين من الفتن ما سهل للرومان السبيل للتدخل فى السياسة الإسرائيلية وكان

(١) من لفظة "مكبي" وهى رؤوس هذه الكلمات: "مى كموخا بإليم يهوه" ، التى تعنى "من مثلك بين الأقوياء يا اله" وهذه العبارة هى شعار المكابيين.

وكان لهليل مدرسة ولشمائ مدرسة أخرى وفي كل منهما عدد عديد من العلماء والحفاظ والتلامذة وفي عهد هذين المدرستين إبتدأ الجدل في تطبيق الاحكام على الأحوال المعاشية، فكان لمدرسة لهليل رأى ولمدرسة شمائ رأى يناقضه، إلا أن مدرسة هليل كانت دائماً تميل للين والتساهل أكثر من مدرسة شمائ والمتبع الآن هو رأى مدرسة هليل على الأغلب.

وكان لهليل الشيخ من سلالة الملك داود، فلقبوه بلفظة "هناسي" أى "الرئيس" وتوارث هذا اللقب عشرة أجيال من ذريته إلى زمن هليل الثانى، وهو هليل الرئيس، من علماء "الجماره" أى شرح المشنة.

وقد كان هليل الشيخ وذريته يلقبون بلقب "هناسي"، حتى فى زمن الملوك المكابيين والهرادسة^(١)، الذين عاصروهم. وفيما بعد خراب البيت الثانى^(٢) وفقدان إسرائيل استقلاله للمرة الثانية. وفى كل هذه المدة، كانت السلطة الدينية فى يد الرؤساء بصفتهم أئمة مستلمين، وصفتهم أمراء من نسل داود.

ومن لطايف ما يروى عن هليل الشيخ، أنه عند قدومه من بابل مسقط رأسه إلى أورشليم، كان زرى اللباس، لشدة فقره، فلما قصد مدرسة شمعايا وأبطالين ليحضر المباحث العلمية كباقي العلماء

(١) يقصد بالهرادسة أسرة هيرودوس وهى أسرة متهودة حكمت فلسطين بعد القضاء على مملكة "المكابيين" فى القرن الثانى الميلادى (المراجع).
(٢) يقصد بتعبير "البيت الأول" و"البيت الثانى": "الهيكل الأول" و"الهيكل الثانى" (المراجع).

رفض الحجاب قبوله عند ما رأوا أظماره البالية. فلشدة انشغافه بالعلم صار يصعد إلى سطح المدرسة ويدنو من المنور المثل على قاعتها الكبرى ويتنصت لمباحثات الأساتذة وتعاليمهم وأحكامهم. وفى أحد الأيام نزل الثلج عليه وهو على تلك الحالة، دون أن ينتبه إليه أو يشعر به، لأنه كان مصغياً بكليته إلى التعليم والجدال حتى تراكم الثلج فوقه، فاستلفت ذلك انظار بعض الطلبة، فهرولوا إليه وخلصوه منه. ولما بادلوه الحديث وجدوه من أفاضل العلماء فأكرموا مثواه وأجلسوه فى المرتبة التى كان يستحقها بينهم.

وكانت القواعد الشرعية، قبل هليل وشمائ مقررة بإجماع الآراء، لا يختلف فى إحداها إثنان. ولما وقع التناظر بين مدرستيهما إبتدأ عهد الجدل فى تطبيق الأحكام الموروثة على الأحوال التى استجدت، طبقاً لناموس الارتقاء المدنى الإنسانى، ومن ثم تكررت هذه الطريقة حتى صارت كقاعدة للمباحث الشرعية عند الخلف، فكثرت الأسئلة والأجوبة وتفرعت المباحث، فاتسع نطاق التلمود إلى أن صار بحجمه الكبير المعهود.

أما الحبر الأعظم الذى كان فى عهد هذين الامامين، فهو هورقانوس، سليل البيت المالك المكابى، وهو غير هورقانوس الملك، الذى مرّ بك ذكره.

٧. ربان شمعون الأول

هو ابن هليل الشيخ وخليفته. استلم من أبيه الامامية والرياسة فى سنة ٣٧٨ للخلقة وهو أول من تلقب من "التنائيم" بلقب ربان

أى سيدنا ، عوضاً عن ربى أى سيدى ، الذى كان مصطلحاً عليه . وهو ثانى "النسيثيم" أى الرؤساء . وفى زمانه كانت "الحبرية العظمى" فى عهده كل من حنمئيل المصرى وإسماعيل ابن فابى ، وقد تقلداها منذ اواخر سنى رئاسة الشيخ هليل نفسه .

٨- ريان غملائيل الأول^(١)

ويدعى بربان غملائيل الشيخ ، تمييزاً له عن حفيده ربان غملائيل الثانى ، الآتى ذكره . استلم الإمامة والرئاسة من أبيه ، فظلتا فى عهده إلى سنة ٣٨١٠ للخلقة .

وكان الحبر الأعظم فى زمانه ربي اشماعيل بن اليشاع الكاهن ، وهو آخر الكهنة العظام وقد قتله طيطوس القائد الرومانى ، عندما افتتح أورشليم وحرق الهيكل الثانى ، بعد ذلك الحصار الطويل ، المدونة أخباره وفضائعه فى تاريخ يوسيفوس الشهير المعروف عند الإسرائيليين بيوسفون بن جوريون^(٢) ومن مشاهير معاصرى ربان غملائيل ربي صموئيل الأصغر وناحوم هلابار .

(١) ربانى غملائيل: النطق العربى الصحيح هو، جملائيل، ولكنهم، وقت نشر هذا الكتاب، كانوا يكتبون الحروف، وفق طريقة أهل الشام الذين يحولون الجيم إلى غين، والمترجم يكتب الاسم أحياناً بالجيم (المراجع).

(٢) هو أحد قواد الجيش العظام ، حارب الرومانيين بادئ بدء ، ولكنه ما لبث أن سالم الأعداء وتقرب منهم بما كتبه فى تاريخه من المفتروات ضد اخوانه الذين كانوا محاصرين ضمن قلاع أورشليم .

٩- ريان شمعون الثانى

هو ريان شمعون بن جمليئيل ، المعروف "برشباغ"^(١) ابن ربان غملائيل الشيخ وخليفته، استلم من أبيه سنة ٣٨١٠ . وقد قتله طيطوس ، مع من قتل من كبار الأمة ، بعد افتتاحه لأورشليم وكان ذلك فى اليوم التاسع من شهر آب من سنة ٣٨٢٨ للخلقة ، وهو تاريخ مشؤوم على الأمة الإسرائيلية ، لأن خراب البيت الأول ، كان فى نفس ذلك اليوم ، وكذلك خراب قلعة بتير وهى آخر ما كان قد تبقى من الاستقلال الإسرائيلى .

وقد بالغوا فى إحصاء القتلى الذين قتلهم طيطوس الطاغية ، فقالوا أن عددهم يبلغ المليون والمائة ألف نفس ، وأن عدد الأسرى الذين أرسلوا لرومية ستة عشر ألف أسيراً وذلك ما عدا قتلى الحرب المعروفة بحرب العازر ، وعدا النساء والأطفال الذين قضوا جوعاً أثناء الحصار وبعده وعدا من قتلوا بيد الجنود الرومانيين بعد الفتح بلا ذنب ولا سبب .

وفى هذا العهد تمكن ربان يوحنا بن زكاى من النجاة من يد الفاتحين ، ففرّ إلى مدينة يينا حيث التف حوله كل طويل العمر من علماء بنى إسرائيل ، فأسسوا هناك مدرستهم الشهيرة المعروفة فى التلمود تحت اسم "مدرسة يينا" .

١٠- ريان يوحنا بن زكاى

هو رفيق ربان شمعون الثانى وربان غملائيل الثانى ومن تلامذة هليل الشيخ ، تولى الإمامة والرئاسة بعد فراره إلى يينا ، عندما قتل ريان شمعون بن غملائيل فظلتا فى عهده من سنة ٣٨٢٨ إلى سنة ٣٨٣٣ أى خمس سنوات .

(١) رشباغ: هى رؤوس الكلمات: "ربي شمعون بن جملائيل" (المراجع).

وقد بلغ هذا الإمام الرئيس من الكبر عتياً ، لأنه توفى وهو فى المائة والعشرين من عمره . وقد تلقى العلم من نفس هليل الشيخ . ومما روى عنه أنه دخل المدرسة وهو فى سن الأربعين ، لأنه كان قبل ذلك الوقت يشتغل فى الأسفار والتنقلات التجارية ، وأنه بقى يجدّ فى التعلم والدرس إلى أن بلغ سن الثمانين ، واشتهر بالعلم وسمو الإدراك فدخل فى عضوية السانهدرين ، إلى أن تولى رئاسته التى استمر فيها إلى أن توفى .

وتؤثر عن هذا الإمام الرئيس أحكام شرعية وإدارية جديدة ، لم تزل موضوع الاعتبار إلى يومنا هذا .

١١- ربان غمالائيل الثانى

وهو ابن ربان الثانى الذى قتله طيطوس . استلم هذا الإمام الرئاسة والإمامة من ربان يوحنا بن زكاي فى سنة ٣٨٣٣ . وقد لقب هذا الرئيس بربان غمالائيل اليناوى لتمييزه عن جده ربان غمالائيل الشيخ . وهو ثامن الأئمة المستلمين كما مر بك . وكان ربان غمالائيل اليناوى معاصراً لاغلب "التنائيم" المذكورة أسماؤهم فى المشنة .

ومن مشاهير معاصريه ، ربي عقيبة المدرس الكبير ورئيس الحزب الوطنى الشهير ، الذى كان عنده أربعة وعشرون ألفاً من المريدين ، فألف منهم جيشاً سلم قيادته لباركوخبا الذى يسميه يوسيفوس المورخ المحابى باسم "باركوزيبا" أى "ابن الكاذب" وهى تسمية مشينه تتبرأ منها الحقيقة ، لأن باركوخبا هذا كان من أكابر القواد ، فشق بمريدى ربي عقيبة عصا الطاعة وقام فى وجه الفاتحين الرومانيين الذين

أخضعوا اليهودية ، بعد أن فتحوا اورشليم وأحرقوا الهيكل وأعملوا السيف فى رقاب من خشوا بأسه من رجال الأمة .

فحارب باركوخبا ورجاله جيوش الرومانيين ، طمعاً فى إعادة الاستقلال ، إقتداءً بالمكابيين الذين سلفوهم ، وكانت قاعدة أعمالهم الحربية مدينة بتير الحصينة ، ولكنهم لم يفلحوا ، كما كانوا ينتظرون ، رغماً عن ثباتهم على ثورتهم السنين الطوال . وفى النهاية تغلبت الرومان عليهم ، فقتلوا عن بكرة أبيهم وقتل معهم ربي عقيبة وباركوخبا .

وقتل الرومانيون بسبب هذه الثورة ، على ما يقال ، نحو عشرة ملايين من بنى إسرائيل ، فلم ينج من بنى إسرائيل حينئذ ، إلا نفر قليل ممن اختفوا فى بطون المغاير واعتصموا فى رؤوس الجبال ، ثم هاجروا فيما بعد ، إلى البلاد الأجنبية ، وبهذا يفهم ، سبب قلة تعداد الإسرائيليين فى العالم ، على أنه كان ينتظر أن يكون عددهم أكثر مما هو بكثير لقدم عهدهم وكثرة مواليدهم ، بالرغم عن كل ما وجه إليهم الاضطهادات .

وكان خراب بتير فى اليوم التاسع من شهر آب سنة ٣٨٨٠ ، وهو آخر عهد الإسرائيليين بالاستقلال السياسى .

١٢- ربان شمعون الثالث

هو ربان شمعون بن غمالائيل الثانى المعروف باليناوى . تولى الرئاسة والإمامة بعد وفاة أبيه وألف محكمته العليا من بقايا تلامذة ربي عقيبة ومن نجا من أهل العلم والحفاظ من سيف نقمة الرومان . وفى سنة ٣٨٨١^(١) ، قل عدد الحفاظ وخشى على التوراة المنقولة من

(١) لليهود تقويم خاص بهم يعرف باسم "التقويم العبرانى" ، وهو يبدأ بعمر الخليقة (حسب المعتقد الدينى اليهودى) . وقد بدأ ربط التقويم العبرى

النسيان فتشاور العلماء فى رفع المنع عن تدوينها ، فصرحوا بإجماع الآراء على تدوين المشنه ، وشرع فى هذا العمل الكبير ربي يهودا هناسى ابن ربان شمعون الثالث ، بمساعدة علماء عصره فكان آخر "التنائيم" وأول "الأيورائيم" ، وهم علماء "الجيمارة" ، الذين ذيلوا المشنه بشروحاتهم ويسمى يهودا هناسى باسم "ربينو هاقادوش" أى "سيدنا الأقدس" وقد يكنى عنه أحياناً بلفظة ربي أى سيدى فقط.

ربي يهوذا والمشنه

جمع هذا الإمام الكبير أقوال من عصره ومن تقدمه من الأئمة والمدرسين والحفاظ وبوبها وقسمها إلى مواضيع شتى ضمنها فى ستة مجلدات كل منها يحتوى على أقسام مختلفة وسمى كل قسم منها باسم (مسيخيت) أى نسخة أو مجلة ، وقسم كل "مسيخيت" أو "مسخته" إلى متون ، ويعبر عن المتن الواحد بلفظة "المشنه" بالعبرانى ، وجمعها "مشنيت". وإليك بيان مجلدات المشنه.

بالتقويم الميلادى اعتباراً من عام ٣٧١٠ للخلقة ، حيث أننا فى عام ٢٠٠٤ ميلادى ، أى ٥٧١٤ للخلقة . ويمكن معرفة السنة الميلادية بطرح رقم التقويم العبرى من الرقم ٣٧١٠ . وفى العصر الحديث تتبع طريقة أخرى لمعرفة التاريخ الميلادى من خلال التقويم العبرى ، حيث يحذف رقم الآلاف ثم يضاف إليه الرقم ١٢٤٠ ، فالعام ٥٧١٤ للخلقة = ٧١٤ + ١٢٤٠ = ٢٠٠٤ . ويستخدم اليهود فى العصر الحديث حساب الجمل أى استخدام الحروف الأبجدية للإشارة لأرقام المئات والعشرات والآحاد فى التقويم العبرى فتحول إلى أرقام ثم يضاف إليها الرقم ١٢٤٠ لمعرفة التاريخ الميلادى . (نحن الآن ، على سبيل المثال فى عام "تشسد" : التاء = ٤٠٠ ، الشين = ٣٠٠ والسين = ٦٠ ، والدال = ٤ = ٧١٤ + ١٢٤٠ = ٢٠٠٤ . (المراجع).

المجلد الأول من المشنه

سيدير زيراعيم : أى كتاب الزراعة ، وهو يحتوى على كل الواجبات والأوامر والنواهى المفروضة على الإسرائيلى ، عندما يتعاطى صناعة الزراعة ، وعندما يستغل محصول ما يزرعه وقد صدر ربي مؤلفه بهذا الكتاب ، لأن الزراعة هى أساس أعمال الشعوب ، حيث بها تجتنى مواد الغذاء الضرورية لحفظ الحياة ، ولما كان واجبات الإسرائيلى أن يفتح كل عمل من أعماله بالصلاة المخصوصة بذلك العمل ، كما سترى ، إفتح ربي يهوذا هذا الكتاب (بمسيخيت براخوت) أى " مجلة البركات والصلوات" ^(١) ، ثم بياقى المجلات كما يأتى:

أولاً : مسيخيت براخوت : وهى تتضمن الصلوات وأوقاتها والبركات المخصوصة بكل عمل ، وقد ذيلها علماء بابل " بلجيمارة" ، فهى أول مجلدات التلمود البابلى.

ثانياً : مسيخيت بيئا: وهى تبحث فى القسم الذى يجب تركه من الأرض المزروعة ليستولى على محصوله الفقراء ^(٢) . وقد قدم هذا البحث على غيره ، لأن هذا الفرض يصير واجب الأداء بمجرد اقتراب زمن الحصاد ، أى قبل مباشرة أى عمل زراعى.

(١) كلمة "مجلة" العبرية تنطق مكسورة الميم والجيم ، وهى تعنى ملفاً من الرق أو البردى ، وتعنى أيضاً "ميثاق" أو "سفر" (المراجع).
(٢) لاويين ص ١٧ ع ٩.

ثالثاً : مسيخيت ديماي : وهى تبحث فى الحبوب المجموعة فى البىادر، قبل أن يفرز منها العشر^(١) والترومة^(٢) وباقي ما فرضت التوراة إفرازه من محاصيل الأراضى.

رابعاً : مسخيت كلأيم : وهى تبحث فى كل وجوه هذا النهى الوارد فى التوراة^(٣) (لا تزرع كرمك صنفين) وفى تعداد الأصناف التى يحظر على الفلاح زرعها معاً.

خامساً : مسيخيت شبيغيت : وهى تبحث فى موضوع سبت الأرض^(٤).

سادساً : مسيخيت ترومة : وهى تبحث فى الضريبة التى فرضتها التوراة على المزارعين للكهنة.

سابعاً : مسيخيت معسير ريشون : وهى تبحث فى العشر الأول الذى يجب إفرازه من البيدر.

ثامناً : مسيخيت معسير شينى : وهى تبحث فى العشر الثانى.

تاسعاً : مسيخيت حلة : وهى تبحث فى الجزء الذى يجب إفرازه من العجين قبل الخبز.

(١) تشنية الاشتراع ص ١٤ ع ٢٢.

(٢) خروج ص ٢٥ ع ١٤.

(٣) لاويين ص ١٩ ع ١٩.

(٤) تشنية الاشتراع ص ١٥ ع ١ وما يليه ولا ويين ص ٢٥ ع ٤.

عاشراً : مسيخيت عزلة : وهى تبحث فى غرلة الأشجار ذوات الأثمار ، لأن التوراة حرمت أكل أثمار الأشجار فى الثلاث سنوات الأولى^(١).

حادى عشرأ : مسيخيت بيكوريم : وهى تبحث فى باكورة الأثمار التى يجب تقديمها للهيكل^(٢).

وكل هذه المجالات العشرة الأخيرة لم تذيل "بالجيمارة"، لأن "الجيمارة"، كتبت بعد خراب الهيكل وجلاء إسرائيل عن أرضه ، فلم يعد الإسرائيليون بعد ذلك إلى الاشتغال بالأعمال الزراعية ، فقلت المباحث والفتاوى فى هذه المواضيع لانصراف الذهن عنها.

(١) لاويين ص ١٩ ع ٢٣.

(٢) تشنية الاشتراع ص ٧ ع ٢٤.

المجلد الثانى من المشنه

سيدير موعيد : أى كتاب الأعياد ، وهو يبحث عن واجبات الإسرائيلى فى السبت وفى كل من الأعياد والصيامات ويشتمل على المجلات الآتية.

أولاً : مسيخيت شبات : وهى تبحث فى الأوامر والنواهي المختصة فى يوم السبت ومذيلة بالجيمارة وثانى مجلدات التلمود والبابلى الكبير.

ثانياً : مسيخيت عيروبين : وهى تبحث أيضاً فى بعض خصوميات السبت ومذيلة " بالجيمارة".

ثالثاً : مسيخيت شيقاليم : وهى تبحث فيما يترتب على الإسرائيلى من الواجبات قياماً بالفرض الوارد فى العدد ١٣ من الإصحاح الثلاثين من سفر الخروج.

رابعاً : مسيخت كيبوريم : وهى تبحث عن الصوم الكبير الذى أمرت به التوراة^(١).

خامساً : مسيخيت بيساحيم : وهى تبحث فى الفصح والواجبات المترتبة عليه وهى مذيلة بالجيمارة.

سادساً : مسيخيت سوكون : وهى تبحث فى عيد المظال وواجباته والنبات الذى تعمل منه المظال والشعانين وتوابعها كالأس

(١) لا وبين ص ١٩ ع ٢٩.

والصفصاف إلى غير ذلك وكيفية عمل التقويم والطرق التى كانت مستعملة لتبليغ الإسرائيليين الساكنين خارج أورشليم مواعيد الأعياد. سابعاً : مسيخيت شابوعوت : وهى تبحث فى عيد الأسابيع وهو موعد نزول التوراة.

ثامناً : مسيخيت بيصة : وهى تبحث فى بعض الواجبات المشتركة فى كافة الأعياد.

تاسعاً : مسيخيت روش هشانة : وهى تبحث فى رأس السنة وما يتعلق بها.

عاشراً : مسيخيت تاغانيت : وهى تبحث فى الصيامات التى فرضها الأنبياء.

حادى عشر : مسيخيت مجيلة : وهى تبحث فى عيد إستير والاحتفال بتلاوة سفرها^(١).

ثانى عشر : مسيخيت موعيد قاطان : وهى تبحث فى ما يجب وما لا يجب عمله فى أواسط الأعياد^(٢).

(١) راجع سفر استير من اسفار التوراة.

(٢) يعتبر اليوم الأول واليوم الأخير من كل عيد كيوم السبت تقريباً، يجوز العمل فى الأيام الفاصلة بينهما لدرجة مخصوصة.

المجلد الثالث من المشنة

سيديرناشيم : أى كتاب النساء وفيه أحكام الزواج والطلاق ونذور الزوجة وما يتعلق بذلك ويقسم هذا الكتاب إلى سبع مجلات وهى:

أولاً : مسيخيت يياموت : وهى تبحث فى مسائل زواج أرملة الأخ المتوفى بلا عقب^(١).

ثانياً : مسيخيت كتوبوت : وهى تبحث فى الزواج والاكيل وكتب الكتاب والمهر وما اشبهه.

ثالثاً : مسيخيت نيداريم : وهى تبحث فى النذور على اختلاف أنواعها ، ولكن ربي يهوذا وضع هذا المبحث فى "كتاب النساء"، لأن أغلب أحكام النذورات الواردة فى التوراة تختص بنذورات الزوجة والبنت وإثباتها أو إبطالها بحكم إرادة الزوج أو الأب^(٢).

رابعاً : مسيخيت نزيروت : أى مجلة النساك ، وهى تبحث فى أحكام الناذرين لذواتهم أو المنذورين من أقاربهم كصموئيل وشمشون كما هو منصوص فى التوراة^(٣).

(١) تشية الاشتراع ص ٧ ع ٥.

(٢) عدد ص ٣٠ ع ٩.

(٣) راجع صموئيل وقضاة.

خامساً : جيظين : أى صكوك الطلاق: وهى تبحث عن الطلاق وأسبابه وأحكامه ومجلسه وصكه.

سادساً : مسيخيت سوطه : وهى تبحث فى أحكام غيرة الزوج على الزوجة^(١).

سابعاً : مسيخيت قيدوشين : وهى تبحث عن طرق إمتلاك الزوج لزوجته وكيفيات الزواج.

(١) عدد ص ٥ ع ١٢ وما يليه.

المجلد الرابع من المشنه

سيدير نزيقين : أى كتاب القوانين المدنية والجزائية والمسئوليات وتشكيل المحاكم وما يتعلق بذلك ، ويقسم إلى ستة أقسام ، الأول منها يقسم إلى ثلاثة أقسام ، تدعى الأبواب الثلاثة ، والثانى من الأقسام الستة يقسم أيضاً إلى قسمين : سانهدرين ومكوت. فيكون إذاً مجموع أقسام هذا المجلد تسع مجلات إليك بيانها:

أولاً : مسيخيت بابه قامه : أى مجلة الباب الأول ، وهى تبحث فى المسئوليات وبعض قوانين الجزاء المترتبة على الأذية التى تلحق بالآخرين بسبب الآبار ونطح الثيران وما أشبه.

ثانياً : مسيخيت بابه مصيعة : أى مجلة الباب الأوسط ، وهى تبحث فى الحقوق ومسئوليات المستأجر والمؤتمن والمستعير وما يتعلق بهذه المواضيع.

ثالثاً : مسيخيت بابه بثرة : أى مجلة الباب الأخير ، وهى تبحث فى الحقوق المتعلقة فى الأملاك والعقارات والشركة والإيجار والشفعة والبيوع والمواريث وما يتعلق بذلك.

رابعاً : مسيخيت سانهدرين : أى مجلة المحاكم العليا ، وهى تبحث فى المحاكم والمحاكم والأحكام.

خامساً : مسيخيت مكوت : أى مجلة المحاكم العليا ، وهى تبحث فى كثير من العقوبات البدنية.

سادساً : مسيخيت شيبوعوت : أى مجلة أحكام اليمين.

سابعاً : عديوت : أى مجلة أحكام شهادة الشهود.

ثامناً : مسيخيت عابوده زاره : أى مجلة الكفر وعبادة الأصنام وما يترتب على ذلك من الأحكام والعقوبات وكل ما يتعلق بهذا الموضوع.

تاسعاً : مسيخيت آبوت : وهى الفصول الخمسة الأولى من كتاب "بيرقى آبوت" الذى نحن شارعون فى ترجمته وتفسيره فى هذا المجلد ، ولم تذيّل هذه المجلة "بالجيمارة" مثل باقى المجلات المذيلة بالجيمارة ، ولكنه وجد نسخة منها مذيّلة بشروحات شخص وآخر من الأئمة فقط وهى تعرف باسم (آبوت ديربى يوناتان).

المجلد الخامس من المشنة

سيدير قاداشيم : أى كتاب المقدسات كالقرايين التقدّمات وما يتعلق بها كقوانين الذبح وما يحل أكله وما لا يحل من الذبائح ، وهو يحتوى على ١١ مجلة ، إليك بيانها:

أولاً : مسيخيت زيباحيم : أى مجلة الذبائح ، وهو يحتوى على القرايين المفروض تقدمتها فى الهيكل على الكهنة أنفسهم وهى مشروحة فى صدر سفر اللاويين كما يتبين من مراجعة التوراة^(١) .
تاسعاً : مسيخيت تاميد : أى مجلة التقدّمات الدائمة ، وهى تذكر كيفية تقريب تلك التقدّمات فى الهيكل.

عاشراً : مسيخيت ميدوت : أى مجلة المقاييس ، وهى تحتوى على هندسة الهيكل وصورته وكيفية بنائه وكل ما يتعلق برسمه الموحى به طبقاً لما ورد فى سفر الأيام^(٢) .

حادى عشرًا : مسيخيت قينيم : وهى تبحث فيما يجب أحرأؤه فيما لو التبس على الكاهن فرز الطيور المذبوحة برسم تقدّمات مختلفة فاشكل عليه كيفية معاملة كل منها بحسب الطقوس المختصة بكل نوع من أنواع القرايين ، كما لا يخفى.

(١) لاويين ص ٥ ع ١٥.

(٢) أخبار الأيام ٢ ص ٣.

المجلد السادس من المشنة

سيدير طهاروت : أى كتاب الطهارة والنجاسة وكيفيتهما وهو يحتوى على ١٢ مجلة.

أولاً : مسيخيت كيليم : أى مجلة الأوانى ، وهى تحتوى على تفصيل ما يقبل النجاسة وما لا يقبل النجاسة منها وكيفية تطهير ما ينجس منها وكل المباحث المتعلقة بهذا الصدد.

ثانياً : مسيخيت او هلوت : أى مجلة الخيم ، وهى تبحث فى النجاسة التى تحل على ما يجاور جثة المتوفى.

ثالثاً : مسيخيت نيجاعيم : أى مجلة البرص والنجاسة المكتسبة منهم.

ثانياً : مسيخيت مناخوت : أى مجلة التقدّمات ، وهى تبحث فى القرايين الواجبة على الشعب.

ثالثاً : مسيخيت حولين : أى مجلة المحلولات ، وهى تبحث فيما يجوز أكله من الذبائح للعموم.

رابعاً : مسيخيت بيخوروت : أى مجلة الأبقار ، وهى تبحث فى أحكام مقدمة بكر البهايم الطاهرة وفدية أو قتل بكر البهايم الغير طاهرة ، طبقاً لما ورد فى التوراة^(١).

(١) خروج ص ١٣ ع ١٢ وما يليه.

خامساً: مسيخيت عراخيم: أى مجلة فدية الناذرين قيمة ذواتهم للهيكل على النمط المذكور فى التوراة^(١).

سادساً: مسيخيت حموره: أى مجلة الاستبدال، وهى تبحث فى استبدال الموقوفات من الذبائح.

سابعاً: مسيخيت كريتوت: أى مجلة المقطوعين وهم الذين يرتكبون النواهى المنصوص على مرتكبها بقطع نفسه من جماعة إسرائيل كالذى يأكل المختمرات فى الفصح^(٢) والذى لا يصتم يوم الغفران^(٣) وما أشبه ذلك، فمرتكبوا هذه المعاصى تقطع أنفسهم بقصاص سماوى إذا ارتكبوها عمدا ويلزمون بالقربان إذا ارتكبوها عن خطأ، ولذلك وضع ربى يهوذا أحكام هذه القرايين بعد احكام المقطوعين فى مجلد واحد.

ثامناً: مسيخيت معيلة: وفيها احكام القرايين المفروضة على مرتكبى المعاصى، التى هى اخف درجة من المعاصى المذكورة قرايينها فى مجلة كريتوت.

رابعاً: مسيخيت باراه: أى مجلة البقرة، وهى تبحث فى موضوع البقرة الحمراء^(٤) المنصوص عنها فى التوراة لتطهير المنتجسين برمادها بعد وفائهم العلة المفروضة.

(١) عدد ص ٦ ع ٢.

(٢) خروج ص ١٢ ع ١٨.

(٣) لاويين ص ٢٣ ع ٢٩.

(٤) عدد ص ١٩ ع ٢.

خامساً: مسيخيت طهاروت: أى مجلة الطهارة، وهى تبحث فى أنواع النجاسات الخفيفة التى لا تزيد عدة الانزواء فيها عن اليوم الواحد فقط وفى كيفية تطهير كافة النجاسات.

سادساً: مسيخيت ميقوأوت: أى مجلة الغسل، وهى تبحث فى الكمية التى تكفى للتطهير من الماء.

سابعاً: مسيخيت ندّه: أى مجلة الحيض.

ثامناً: مسيخيت مخشيرين: أى مجلة المواد الصالحة للوضوء.

تاسعاً: مسيخيت زابيم: أى مجلة السيلائات، وهى تبحث فى نجاسة المصابين بهذه الأمراض.

عاشراً: مسيخيت طبول يوم: أى مجلة فى أحكام المتوضئين.

حادى عشرأ: مسيخيت يدايم: أى مجلة وضوء اليدين.

ثانى عشرأ: مسيخيت عوقصين: أى مجلة الجذور وأحكام نسبتها إلى الاثمار من حيث وصول النجاسة بواسطتها للاثمار.

فعدد مجلات المشنه، هى إذا ٦١، على الأصح، وفيها ٥٢٣ فصلاً، وفى كل فصل عدد من المتون، بحسب أهمية ذلك الفصل، كما سترى.

وقد بالغوا فى التلمود فى مدح "رينو هاقادوش" وتعداد مناقبه ومكارم أخلاقه وتواضعه ومما قيل فى هذا المعنى "من يوم وفاة ربى يهوذا بطل التواضع". ومما يقال عن هذا الأمام أنه كان متبحراً فى اللغة العبرانية واشتقاقاتها وأوضاعها، حتى أن علماء زمانه كانوا

يستفتون خدمة بيته فى تفسير الألفاظ العبرانية ، التى كان يشكّل معناها عليهم^(١) . ومما يقال عنه أيضاً ، أنه كان ذا ثروة طائلة ونفوذ بعيد ، حتى بالغ بعضهم ، وقيل أن ناظر اسطبل ربه كان أغنى من نيسابور الملك^(٢) .

وكان عريض الجاه كبير النفوذ حتى قيل عنه " ما رأينا من أيام موسى علماً وعظمة مجموعة فى شخص واحد ، مثلما جمعا فى شخص ربه " ، وذلك لأن حكام زمانه كانوا يخطبون وده ويتقربون إليه ويجلون مقامه ، رغمًا عن الأحوال السيئة التى آلت إليها الأمة الإسرائيلية بعد تعاقب الحوادث المفجعة ، التى أشرنا إليها.

ولما رأى ربه يهوذا أن المعاش قد ضاقت على بنى أمته وأن عدد طلاب العلم لمجرد حب العلم أخذ فى التناقص ، من يوم إلى آخر ، وأن الاضطهادات الكثيرة المتواترة على بنى إسرائيل تضطربهم إلى الجلاء من موطن لآخر حيناً بعد حين ، وتدفعهم للتشتت فى أقاصى البلاد ، استصدر تصريحاً بتدوين المشنه من محكمة أبيه ، فجمع علماء عصره وحفاظه وشيوخه وصار ينقل عن كل منهم محفوظاته ، التى تلقاها عن أستاذه متسلسلة إلى المشتري الأصلي . أما النبى موسى أو

(١) بعد سبى بابل اختلفت لغة العامة عن اللغة الأصلية فصارت اللغة الدارجة خليط من اللغة الآرامية والسريانية والعبرانية وشيء من اللغات الفارسية واليونانية واللاتينية ، حتى صار يعسر فهم بعض ألفاظ التوراة نفسها على بعض الخاصة.

(٢) ترجمنا لفظتى شابور ملكه ، صحة هذه الترجمة بنيسابور الملك ، ولكننا لا نضمن.

واضع ذلك النظام إذا كان غير موسى فيدونها ويقابلها مع غيرها ويضيف ما ثبتت صحته إلى كافة الأحكام الشرعية المستخرجة بطرق التطبيق والاستنتاج من التوراة المدونة والمنقولة وكافة القواعد الموضوعية بإجماع أراء السلف ، لصيانة الدين وحفظ أوامر التوراة وكافة العوائد والسنن الماثورة عن أئمة كل جيل من الأجيال السابقة إلى أن استخلص من مجموع ذلك كله المجلدات الستة ، التى سبق بيانها فدونها وعرضها على العلماء والحفاظ والشيوخ وبعد مصادفتهم عليها سمح بنسخها لمن أراد وأذن لطلاب العلم بدرس التوراة الشفاهية من ضمن كتاب ولم يكن ذلك مسموحاً قبل عهده.

نعم إنه كان يوجد بين أيدي بعض العلماء مجالات صغيرة تحتوى على بعض المحفوظات لكنه كان يحظر على العموم مطالعتها، لأن كل عالم كان يتسامح بتدوين ما يتلقاه عن أستاذه لنفسه فقط خفية عن إخوانه وعن الأستاذ ، فانتسخت كل تلك المجالات الخفية وخصوصاً كل ما لم ينطبق منها على أحكام المشنه ، التى أصبحت فى المقام الثانى بعد التوراة ، فقليل أن اسمها مشتق من لفظة (مِشْنِه لَمِيلِيخ) أى "وزير الملك" ، وقيل بل من لفظة (شِينِه) أى "كرر الدرس" ، والذى نراه أن المعنى المقصود من لفظة (مشنه) العبرانية ، يقابل نفس المعنى المقصود من لفظة (متن) العربية.

فالمشنه كما ترى ، هى جزء من التلمود ، الذى هو عبارة عن مجموع المتون مضافة إلى حواشيها المعروفة "بالجيمارة" أى "التممة" وهى عبارة عن الشروح والاستنتاجات التى بناها العلماء المتأخرون

عن نص المشنة نفسها . وقد جمع أكثرها رابيننا وراب أشيه وولداهما على نفس الطريقة التى سلكها ربي يهوذا فى جمع المشنه ، ولذلك ترى عدد مجلدات التلمود يربو بكثير على عدد مجلدات المشنه.

ويسمى علماء "الجيمارة" باسم "إيمورائيم" ، وهى مأخوذة من لفظة (إيمورا) التى تعنى الترجمان ، وقد قيل أن آباء التوراة ثلاثة: الأول النبي موسى والثانى عزرا الكاتب^(١) والثالث ربي يهوذا هناسي.

وبين المشنة والتلمود مؤلفات أخرى سيجىء ذكر بعضها فى "الجيمارة" ، على سبيل الاستشهاد فقط ، لأنها لا تعادل المشنه فى مقامها العلمى والكنيسى.

توابع المشنة

ومن المؤلفات التى وضعت بعد المشنة ، هامش ربي حيا (وهو أحد تلامذة ربي يهوذا هناسي) ، الذى علقه على المشنه ، وهو المؤلف المعروف باسم "توسفته دربي حيا" المشار إليه أحيانا أثناء مجادلات "الاييمورائيم" فى درج "الجيمارة". ومنها أيضا مؤلف راب المسمى "سيفره وسيفريه" الوارد ذكره فى التلمود.

ويوجد أيضا متون أخرى كتبت بلغة أقل فصاحة من لغة متون المشنة تسمى "بريئة" توافق منطوق أحكام المشنه على الأغلب وقد تخالفها أحيانا ، وهى مذكورة كثيرا فى درج التلمود يستشهد بها المتجادلون من "الاييمورائيم" أثناء مباحثاتهم.

كل تلك المؤلفات تعتبر صحيحة ، طالما لا يختلف منطوقها عن منطوق المشنة ، وكلما أمكن التوفيق بين أحكامها وأحكام المشنة المسلم بقدسيته عند عموم علماء التلمود.

والذى يجدر بنا الإشارة إليه ، هو أن لغة التوراة أرقى من لغة المشنه ، وهذه أفصح من توابعها ، وتوابع المشنه أقل توغلا فى اللغة الكلدانية الآرامية من "الجيمارة".

(١) راجع صحيفتى ٤٣، ٤٤.

الكنيسة الإسرائيلية في الإسكندرية

فى أيام البيت الثانى ، انتصر اسكندر المقدونى على دارا ملك الفرس ، فدانت لحكمه جميع الأمم التى كانت تابعة لمملكة فارس ، وفى جملتها الأمة الإسرائيلية ، فصارت حكومة اليهودية تؤدى الخراج لولاية سوريا وهى التى صارت فيما بعد دولة الانطاكيين.

وكان الإسكندر ناقماً على مدينة صور ، التى امتنعت عليه مدة طويلة وكانت سلطنة البحار ومملكة التجارة ، فأراد إذلالها وإسقاط أهميتها ، فانتخب على شطوط البحر موقعاً مهماً بالنسبة لمركزه الجغرافى وابتنى فيه مدينته الإسكندرية وجعلها قاعدة ولاية مصر ، وأصارها محور تجارة الشرق والغرب وعاصمة الفنون والصنائع والعلوم.

وازدادت الإسكندرية عمارة ، بمن أمها من الأمم المجاورة الذين رغبوا فى استيطانها للحقوق المدنية التى منحها الاسكندر لسكانها ، فنزح إليها الكثيرون من بنى إسرائيل لجاورتهم أياها ولما لاقوه من حكمها من الرعاية والاكرام ، خصوصاً بعد وفاة الاسكندر وانقسام مملكته ، لأن ملوك مصر من البطالسة صاروا يتوددون للإسرائيليين ليغروهم على شق عصا الطاعة فى وجه مملكة سورية التى كانت تضطهدهم (لتجبرهم على التدين بدين الفاتحين) والانضمام إلى المملكة المصرية ، التى كانت تحسن إليهم وتحترم عقائدهم وقد بلغ

من إكرام البطالسة لعلماء إسرائيل أن بطليموس فيلوميتز إقتبل على الرحب والسعة حونيو الكاهن أحد احفاد شمعون ها صديق الكاهن الأعظم^(١) ، الذى فرّ من اورشليم وساعده على ابتناء بيت المقدس المعروف "بيت حونيو" فى مدينة هيليوبوليس^(٢) وحبس له الأوقاف الكثيرة وأمله بكل لوازمه حتى قيل: "من لم ير هيكلا "ديبلية" إصطبه" لم ير مجد إسرائيل"^(٣) ، والمقصود هو هيكلا "ديوبلاستيون" الشهير ، أى "بيت حونيو" بالذات.

ولما ثقلت وطأة اضطهاد انطيوخوس على الإسرائيليين المقيمين فى اليهودية ، نزح منهم جم غفير إلى الأقطار المصرية التى كانوا يجدون فيها ما ينقصهم فى بلادهم من الحرية والأمن ويتمتعون بحقوق مدنية تقارب حقوق اليونان أنفسهم ، فكثرت عددهم حتى صارت الإسكندرية وحدها تحتوى على أكثر من المليون منهم ، أى نحو ثلث ما كان فيها من السكان إذا صح تقدير العلامة بيلون اليهودى.

وعندما كثر اختلاط اليهود باليونانيين تبادل الفريقان علومهم وأفكارهم ، إلا أن الفلسفة الدينية الإسرائيلية أثرت على الفلسفة اليونانية ، أكثر مما أثرت الفلسفة اليونانية^(٤) على الدين الإسرائيلى ،

(١) راجع صحيفة ٢٧ .

(٢) مدينة عين شمس ، وقد ذكرت غير مرة فى الترجمة السبعينية للتوراة باسم "غيرهخيريس" أى "مدينة الشمس" وذكرت أيضاً فى سفر اشعيا ص ١٩ ع ١٨ .

(٣) راجع مجلة "شوكة" من التلمود الاورشليمى ، الفصل الخامس .

(٤) المؤلف يناقض نفسه بعد ذلك بسطور ، حيث يؤكد تأثير الفلسفة اليونانية على الديانة اليهودية ، وليس العكس ، وخاصة فى الترجمة السبعينية وقيام يهود

وذلك لأن الإسرائيليين الإسكندرانيين تلقوا فلسفة أفلاطون التي كانت شائعة في ذلك الزمن بمزيد الارتياح وأخذوا يوفقون بينها وبين التوراة واجتهدوا في تفسير ما في هذه من العبارات المجسمة للآلوهية^(١) بالرموز والإشارات (الليجورى)، جريا على عادة اليونان، وذهبوا مذهب أفلاطون في أزلية المادة وأن خلق الكون المذكور في سفر التكوين يقصد منه تغيير صورة المادة فقط ونزهوا الخالق عن خلقه الدنيا مباشرة، حتى إن بيلون الفيلسوف الإسرائيلي الاسكندري، هو الذي أوجد أولاً التعبير (لوجوس)^(٢)، أى "الكلمة" والتعبير (بيراقليط)^(٣) وغير ذلك من التعبيرات الدالة على وجود قوى متوسطة بين (الواجب الوجود) وبين العالم المخلوق (فأخذ عنه آباء الكنيسة المسيحية الذين وجدوا بعده بزمن قصير). وأثر اتجاه افكار الباحثين من إسرائيليين الاسكندرانية إلى هذه الوجهة على ترجمتهم السبعينية فبعدت كثيراً عن الروح الإسرائيلى الحقيقى الذى من مقتضاه الإيمان بخالق مهتم بخلقه مدبر لأموهم مباشرة وموجد لكل موجود من العدم بلا واسطة والإيمان بأن الألفاظ الواردة فى التوراة الدالة على التجسيم لم تكن سوى تعبيرات بسيطة يقصد منها تقريب المعنى المقصود من فهم العوام.

فلسطين بمحاولات لحماية العامة اليهود من تغلغل الفكر الدينى اليهودى المتأثر بالفلسفة اليونانية. (المراجع).

- (١) كيد الله وإصبع الله وندمه وغضبه، التى كثيرا ما ترد فى التوراة، كما لا يخفى.
- (٢) وهذه اللفظة استعملها بولس الرسول فى الإنجيل.
- (٣) وهى واردة أيضاً فى الإنجيل.

والذى نتج من الكتب الكثيرة، التى ألفها علماء إسرائيل فى الاسكندرانية باللغة اليونانية أن علماء إسرائيل فى اليهودية شعروا بالخطر المحقق بفلسفتهم الدينية وجامعتهم المبنية عليها، إذا تعممت آراء الاسكندرانيين بين أفراد الأمة فاحتاطوا لذلك السيل الجارف، بما وضعوه من الأحكام التى قرروها فى الأذهان بواسطة الصلوات التى رتبوها فحفظوا بذلك خطة إسرائيل الأصلية، على حين أن تلك الكتب اليونانية الإسرائيلىة مهدت السبيل لانتشار الدين، الذى استجد فى ذلك الزمن، إلا وهو الدين المسيحى الذى لم يكن فى بادى أمره سوى وجه من أوجه اللاهوت الإسرائيلى.

فصول الآباء

قال الأستاذ الأعظم السيد "هارامباوم"^(١) في مقدمته على (سيد ير زيراعيم)^(٢) ما مفاده:

"لما فرغ ربي يهوذا هناسي من تدوين مجلة سنهادرين^(٣) المحتوية على الأحكام التي يحتاج إليها القضاة والحكام شرع فوراً في تدوين "فصول الآباء". وقد فعل ذلك لسببين: أولهما ليعلم الناس جميعاً أن أحكام التوراة الشفاهية الموروثة هي صحيحة، وأنها توصلت إلينا بطريق الإسناد والتسلسل، لأن كل جيل من الأجيال السابقة لنا قد استلم قواعدها وأصولها من الجيل الذي سبقه، وأن من واجبات كل إسرائيلي مؤمن أن يحترم كل فرد من أفراد الامة، المستلمين السابقين لوصول الشريعة لعهدته، وأن لا يكثّر البحث في شخصية كل واحد من أولئك الامة لأن كلاً منهم كان الأعظم والأعلم والأنسب بالنسبة إلى معاصريه، وفقاً لما أجمعت عليه آراء كبار علماء إسرائيل من سالف الأزمان، فقد قالوا (إذا أردنا أن نبحث في صلاحية محكمة ربان

(١) هو الإمام الكبير والطبيب الشهير ربي موسى بن ميمون المعروف عند الإسرائيليين بها رامباوم وعند علماء أوربا بمايمونيد وعند مؤلفي العرب بعبيد الله أبي عمران موسى ميمون صاحب التأليف الكثيرة منها الدينية والفلسفية والطبية وسيأتي ذكره مفصلاً في أواخر الكتاب.

(٢) أحد مجلدات المشنة وقد وضع هارامباوم مقدمته في كتاب تفسير المشنة الذي كتبه باللغة العربية.

(٣) وهي من ضمن مجلات المجلد الثاني من المشنة، وتؤلف مع "جيمارتها" مجلداً مهماً من مجلدات التلمود البابلي.

اللائل^(١)، وجب علينا البحث في صلاحية كل محكمة من المحاكم السابقة (١) وقالوا أيضاً (كانت رتبة شمشون في عصره كرتبة هارون في عصره) وقالوا أيضاً (كان يفتاح في عصره، كما كان صموئيل في عصره).

وفي أقوالهم هذه موعظة كبرى لباحثين من بني الإنسان ترددهم عن الاعتراض على أحكام فلان من الامة وعن تنفيذ أو نقد أقوال فلان من القضاة، لأن الشرع هو الله وحده أي أنه ليس من خصوصيات ناقله أو الحاكمين به طبقاً للنص الصحيح الوارد في توراة موسى (الشرع هو الله)، فالتوراة الشفاهية هي إذاً مع التوراة المكتوبة شرع موحد استلمه كل من الامة بمن سبقه مشافهة وتلقيناً. أما ثانيهما، فهو أن ربي يهوذا جمع "فصول الآباء" ودونها ليعلم الناس الحكم الأدبية السامية الماثورة عن كل من الامة لنحسن اخلاقنا ونهذب طباعنا ونتمرن على طرق الأدب والفضيلة. ولما كان الأدب والسجاياء المحمودة من الضروريات اللازمة لمن تولى مسند القضاء، افتتح الآباء أقوالهم في ذكر المناقب التي تستحب في القضاة ليصلحوا أن يتولوا أمور الرعية ويحكموها. والقضاة، كما لا يخفى، أحوج الناس إلى دماثة الأخلاق وتهذيب الطباع، لأن العامي، مهما كانت أهميته، إذا كان ساقط الآداب، فضرره محصور في نفسه، على حين أن القاضي إذا فسدت أخلاقه أو تهتك تعدى ضرره من نفسه إلى جمهور الرعية، فمن الضروري إذاً أن يبدأ بالأصلح من القضاة والحكام، فذكرهم الآباء بالأوصاف الحسنة والخلال الحميدة التي

(١) وهي المحكمة الأخيرة التي تألفت من بقايا مريد ربي عقييه وبقايا العلماء والحفاظ

تستحب فيهم ، كأن يكونوا (متأين في الأحكام) حذراً من الدخائل والحيل ، التي قد تخفى على الحاكم ، إذا استعجل في إصدار حكمه وأن (لا يطيلوا أمد المحاكمة) ، لئلا يضروا بأصحاب الحقوق ، وأن (يعمقوا البحث في شهادة الشهود) لنقد أقوالهم واستخراج الزائف منها ، وأن (يحترسوا في أثناء مباحثة الشهود) ، كي لا يتمكن المزورون منهم من استخلاص ما يجب أن يقوله لصالح من استخدم شهادتهم الباطلة ، وأن (لا يجعل القاضي نفسه محامياً عن أحد الخصمين وأن لا يلقنه وجهاً من لوجه الدفاع أثناء المحاكمة لأنه لا يجوز للقاضي أن يوضع نفسه موضع الحامي أثناء سماعه الدعاوى) ، وأن (لا يسقط القضية مراكزهم واحترامهم باصطحابهم من لا تليق بهم صحبته من جهلة الناس) ، لدرجة يصعب معها اجتماع فسادهم بهم عند حاجتهم إليهم ، وذلك حذراً من ضياع حقوق الفقراء والأيتام والضعفاء الذين لا مقدرة لهم على خرق الحجب بقوة نفوذهم ، وأن (يقللوا من طلب الراحة ولا يتهافتوا على الملاهي والملاذ) ، كي لا يضيعوا بلهوهم حقوق الرعية إلى غير ذلك من الوصايا السامية والإرشادات والمواعظ المفيدة) ، انتهى كلام السيد " هارامبام " بتصرف.

وقد سمي الرئيس هذه المجلة باسم " فصول الآباء " لأن ما فيها مأثور عن أقوال الأئمة والمعلمين السابقين . وقد ورد في التوراة تلقيب الأستاذ بالأب ، في مواضع كثيرة ، وخصوصاً في قصة صعود أيليا للسما ، لما جاء به تلميذه إيلشع بقوله " يا أبي يا أبي بالمركات إسرائيل وفرسانها وتلقيب التلميذ بالابن ، كما ورد في سفر إشعيا " وشئار يشوب إبنك " وهو تلميذه.

ولا حاجة للإسهاب في بيان أهمية " فصول الآباء " عند الإسرائيليين ، فقد أجمع الشراح وفي مقدمتهم السيد أبربانيل^(١) على تلقيبها بالأدب الإلهية . واعتاد الإسرائيليون تلاوة فصولها في الكنائس في أيام السبت الفاصلة بين " عيد الفصح " و" عيد شابوعوت " بالتلحين والتجويد^(٢).

(١) أحد علماء بني إسرائيل. وقد كان ناظر المالية في أسبانيا في عهد الاضطهاد الذي أعقبه خروج إسرائيل من أسبانيا واستيطانهم البلاد العثمانية منذ ٤٠٠ سنة ونيف.

(٢) عيد الفصح: هو أول أعياد اليهود بحسب الترتيب الشهري. وقد فرض على اليهود ليتذكروا معجزات خروج بني إسرائيل من مصر والضربات العشر التي ضرب بها الرب فرعون وقومه. وتذكروا لهذا الخروج فرض بنو إسرائيل الاحتفال بهذه المناسبة لمدة سبعة أيام، ابتداء من الرابع عشر من نيسان إلى الحادي والعشرين منه. وسمي هذا العيد " بيسح " بالعبرية، لأن الرب أوصى بنوا إسرائيل بما يلي:

١ - أن تذبج كل عائلة كبشاً لا يتجاوز عمره سنة في مساء اليوم الرابع ويقوم رب العائلة بغمس حزمة من الزعتر في دمائه ويعلم بها العتبة العليا والقائمتين لباب داره، حتى إذا أبى ملاك الموت ليضرب أبكار المصريين، فإنه يتخطى الدار المؤشر عليها بالدم، ومن هنا جاءت كلمة " بيسح " أي " فصح " ومعناها " تخطيه "، لتخطى ملاك الموت أبواب منازل بني إسرائيل. ويأكل اليهود لحم الكبش مشويا غير مطبوخ ولا يبقون منه شيئاً لليوم التالي وما يتبقى منه يحرق.

٢ - أن يخبزوا عجينة دون أن يخمروا ويأكلوه خبزاً فطيراً مع اللحم المشوى وخضروات مرة الطعم. (المراجع).

(٣) عيد " شابوعوت ": ويعرف بأسماء كثيرة، أهمها: " عيد الأسابيع " و" عيد الحصاد " و" عيد الحج " و" عيد نزول التوراة " ويقع هذا العيد بعد خمسين يوماً من صباح اليوم التالي ليوم السبت الداخل في " عيد الفصح ". ويحتفل =

الفاتحة

لم نجد مطبوعة أو مكتوبة أو مترجمة من سفر "بيرقى أبوت"، إلا وهى مصدرة بالفقرة التالية، بصفة فاتحة تلاوتها واجبة قبل تلاوة كل فصل من فصول هذا الكتاب، كما وجبت قراءة الأخيرة التى فى نهاية الفصل السادس، بصفة خاتمة عند الانتهاء من كل فصل، كما سنوضحه وإليك نص الفاتحة.

لكل إسرائيل نصيب فى العالم الآتى، كما قيل "وقومك كلهم صالحون وسيرثون الأرض إلى الأبد لأنهم فرع غرسى صنع يدي للافتخار".

وهذه الفقرة لم تحسب فى عداد متون هذا السفر، لأنها بالحقيقة جزء من المتن الأول المصدر به الفصل الحادي عشر من مجلة سنهدرين، التى هى إحدى مجلات المجلد الرابع من مجلدات المشنة، والذي يلوح لي أنها أدخلت بصفة مقدمة على "البيرقى أبوت" فى عهد تعاقب

= اليهود بهذا العيد عن طريق الصلوات والتطهر وقراءة الوصايا العشر التى تتضمن مجمل العقيدة اليهودية. (المراجع).

(٤) ويستلون الفصل الأول فى البيت الأول والثانى فى الثانى وهكذا. وفى مصر كتاب عربى اللغة عبرانى الحروف، منسوب إلى ربي دافيد هناجيد حفيد هارامبام، يحتوى على شرح "فصول الأباء" يتلى أيضاً فى كنائسها تبركا. وقد طبعه وضبط ألفاظه حضرة الهمام الفاضل الخواجه باروخ حنان، مؤسس كنيسة حنان الشهيرة فى شارع العباسية بمصر وأهدانى نسخة منه اعتمدت على ما فيها من أماكن كثيرة من مؤلفى هذا.

المظالم والاضطهادات على الأمة الإسرائيلية وخصوصاً فى العصر المظلمة، لأنها تعد أولئك المظلومين المحرومين من كل الحقوق البشرية فى هذا العالم بنعيم عالم آخر لهم فيه نصيب وامتياز، يعادل حرمانهم الحالى، فيهبون عليهم وطأه ما كانوا يعانونه من المصائب والشدائد والتنقلات الجبرية، بسبب دينهم، ثم استعملت كفاتحة لكل ما يتلى من المشنة بقصد التعبد.

ولست أظن أن أحداً ممن لهم إلمام فى التلمود يرمى الدين الإسرائيلى بتهمة الاستنثار بنعيم العالم الآتى والخلاص الأبدي كما يدعيه الكتابيون حتى والوثنيون لمن تدين بدينهم فالإسرائيليون قد فتحوا أبواب السماء لكل الناس بشرط أن يتبعوا طرق الفضيلة والمعروف، ولو لم يتدينوا بالدين الموسوى، لأن هذه الفقرة التى تعد إسرائيل بالنصيب فى العالم الآتى لا تنافى الفقرة الأخرى الواردة فى التلمود القائلة:

"لكل ذى فضل من أمم العالم نصيب فى العالم الآتى".

وقول الفاتحة "لكل إسرائيل"، يقصد منه تخصيص النصيب الموعود به، بأولئك الذين استحقوا الصفة الإسرائيلية بحسن العمل وسلامة النوايا وقويم الأخلاق، لأنه لا يخفى على من دقق النظر فى مراجعة التوراة، أن أنبياء بنى إسرائيل كانوا يخاطبون أمتهم بلقب "إسرائيل" فى مواضع التنشيط والتعزية والمدح، وبلقب "بيت يعقوب" أو "بنى يعقوب" أو "يعقوب" فى أوقات التعنيف والزجر والملامة والوعيد، لأن لفظة إسرائيل تعنى مضاهاة الملائكة، ولفظة يعقوب تعنى الأخذ بالكعب، كما لا يخفى على من طالع سيرة يعقوب

فى سفر التكوين ، وعلى من أدرك المعنى المقصود من هذا التعبير "إسرائيلى لا غش فيه"، الوارد غير مرة فى الإنجيل.

وإليك ما اقتطفناه من تفسير العلامة ربى مندل كوهين، الذى علقه على هذه المقدمة:

جرت العادة أن تقال هذه الفاتحة قبل كل فصل من "فصول الآباء" التى ترتبت تلاوة كل واحد منها فى كل من السبوت الستة الواقعة بين "عيد الفصح" و"عيد الأسابيع" (شبعوت).

والسبب فى تقسيم هذه الفصول على السبوت، كثرة ما فيها من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لتقويم ما اعوج من أخلاق الجمهور وتهيئتهم للاحتفال بتذكار "نزول التوراة" على أسلافهم فى مثل يوم "عيد الأسابيع".

والسبب فى إيراد هذه الفاتحة قبل كل فصل، هو لتطمين خواطر المؤمنين من الإسرائيليين الذين قد يرتاعون من المسئولية التى تعود عليهم بسبب الأوامر الجديدة والنواهى التى تحتويها هذه الفصول، علاوة على الأوامر والنواهى التى جاءتهم بها التوراة خصوصاً بعد أن تقرر فى أذهانهم حكم العلامة ريش لاقيش^(١) القائل بأن الإسرائيلى لا ينال نصيباً فى العالم الآتى ما لم يتم الوصايا الإلهية كافة دون أن ينقص منها واحدة، فيتذمرون على أئمتهم الذين زادوا

(١) أحد أئمة التلمود والكلام المشار إليه هنا هو مجادلة وقعت بينه وبين الأئمة فى مسألة الخلاص الأبدي فقل ريش لاقيش، أنه لا نعمة للإسرائيلى ما لم يتم بأكمل الأعمال الموصى عليه بها. وقال الآخر أن قيامه بوصية واحدة مع وجود الإيمان كاف لخلاصه لجمعه بين الإيمان والأعمال، بجهد المستطاع.

النجاة صعبة، بما جدده من الوصايا والحكم ففرضوا عليهم تلاوة هذه الفاتحة، ليتحققوا أن كل من استحق لقب "إسرائيل" بحسن سلوكه وقيامه بالأعمال المشكورة الوارد ذكرها فى هذه الفصول، ينال نصيبه لا محالة من نعيم العالم الآتى.

والسبب فى إيراد تلقى موسى للتوراة فى صدر الفصل الأول، هو لهداية الباحثين عن طرق الخلاص الأبدي. فقد تباحث الأئمة لتقرير أقوم سبيل للنجاة فأجمعوا على رأى حباقوق النبى، الذى قال "وسيحى الفاضل بإيمانه"^(١)، فافتتحوا "فصول الآباء" بخبر تلقى موسى للتوراة، للدلالة على أن أساس الإيمان المنجى، هو الإيمان بصحة نزول التوراة على موسى من السماء، لأنه من المقرر عند الأئمة، أنه لا نعمة لمن لا يعتقد من الإسرائيليين بنزول التوراة من السماء.

وإذا تأملت فيما ذكرناه تجد الارتباط الكائن، بين الفاتحة والمشة الأولى، وبين هذه وباقى المتون، فكأن الأئمة يقولون: "كل من آمن بنزول التوراة من السماء وسلك فى السبيل القويم المشار إليه بحكم هذه المجلة يستحق حينئذ لقب "إسرائيل" وينال نصيبه من النعيم".

(١) حباقوق ص ٢ ع ٤، ومعناه الحياة الأبديّة.

الفصل الأول

المشنة الأولى

موسى تلقى التوراة من سيناء وسلمها ليشوع. ويشوع للشيخ والشيخ وللأنبياء والأنبياء سلموها لرجال الكنيسة الكبرى. والمأثور عنهم ثلاث وصايا. تأنوا في الحكم. أقيموا تلامذة كثيرين. واعملوا سياجاً للتوراة.

موسى تلقى التوراة من سيناء: قدم ذكر موسى في الجملة، إجلالاً له لحصوله على الاستحقاق الذى أهله لتلقى التوراة، ثم ذكر سيناء تشريفاً له، لأنه كان مهبط الوحي رغماً عن قلة ارتفاعه عن الجبال المجاورة. وقد قال الأئمة أن موسى، لم ينل شرف النبوة، إلا لتواضعه كما شهدت بذلك التوراة^(١) ولم يهبط الوحي على سيناء، إلا لعدم شموخه علواً، كما أشار إلى ذلك الملك داود فى مزاميره^(٢). وقال: (موسى تلقى التوراة) ولم يقل أن الله سلمها له، كما قال فى الجملة التالية (وسلمها ليشوع) لأن التسليم هنا يفيد خروج الشئ المسلم من يد المسلم ليد المستلم، إما بسبب الوفاة وإما بسبب الاعتزال وكلا الأمرين لا ينطبقان على مقام الألوهية، التى هى فى اعتبار الأئمة أبدية الوجود.

وسلمها ليشوع: ولم يسلمها لبنيه أو لاقاربه أو لآحد رؤساء الأسباط وعظماء الأمة، بل سلمها لمن يستحق استلامها، لاجتهاده

(١) عدد ص ٢١ ع ٣.

(٢) مزامير ٦٨ ع ٩ و ١٧.

ومواظبته على درسها فى الهيكل، كما قيل عنه فى التوراة^(١) لأن التوراة المدونة لا يمكن فهم كل أحكامها وأوامرها ونواهيها إلا بعد فهم ما ورد عنها من الشروح فى التوراة الشفاهية، فالذى واطب على درس تلك الشروح هو الأحرى باستلامها والحكم بموجبها وتلقينها، كما ورد فى التوراة "من خدم شجرة التين يأكل من ثمرها ومن خدم سيده ينل الاحترام"^(٢).

ويشوع للشيخ: ولفظة الشيخ تعنى العلماء، ولم يسلم يشوع التوراة لواحد مخصوص من أولئك العلماء لتساويهم رتبة واستحقاقا فسلمهم جميعاً، وهم انتخبوا رئيسهم من بينهم فكانوا يولون الزعامة لمن كان يصلح لقيادة الجيوش^(٣) والرئاسة الدينية وسياسة الجمهور والقضاء فى آن واحد، كما أقاموا عثنائيل بن قيناز ومن خلفه فى كل جيل وجيل إلى عهد الأنبياء فكانت سياسة الأمة والزعامة الروحية فى يد ذلك الرئيس الذى لقبته التوراة بلقب "شوفيط" التى تعنى "القاضى والحاكم" معاً، فكانت الحكومة حينئذ جمهورية ثيو كراسية^(٤).

والشيخ للأنبياء: الأنبياء هم فى عرف التلمود، أولئك الأفراد الواصلون بفكرهم إلى مقام الألوهية، فكان وجه الواحد منهم فى

(١) خروج ص ٣٣ ع ١١.

(٢) أمثال ص ٣٣ ع ١٩.

(٣) لأن الفتح لم يكن قد تم بل حصل اقتسام أرض الميعاد بين الأسباط كما اقتسمت الدول الأوروبية أفريقيا، فى زماننا دون أن يحتلوا كل ما تعنى لكل منهم احتلالاً فعلياً

(٤) أى كهنوتيه.

أثناء الوحي كالمصباح المنير ويكاد يكون كالملاك السماوى لحلول هبة الألوهية عليه ، ولكنه لم يكن يجدد بوحيه أحكاما إضافية ولا يسن القواعد ، بما أنزل عليه ، لأن التوراة سلمت للإسرائيليين بحيث لم يعودوا يحتاجون فى إتمامها إلى الوحي السماوى ، وفقاً لما ورد فى أسفار موسى " ليست هى فى السماء لنقول من يصعد لنا إلى السماء ويأتينا بها" ^(١) فلم يستلم الأنبياء التوراة الشفاهية لنبوتهم ، بل لدرجتهم العلمية السامية فقط . والدليل على ذلك عدم ارتكانهم فى حفظها على روح القدس ، بل على الدرس والمواظبة.

والأنبياء سلموها لرجال الكنيسة الكبرى: وهم أواخر الأنبياء الذين وجدوا فى أيام السبى البابلى ، بعد خراب الهيكل الأول ، كما رأيت . فاستلم التقاليد حجبى وزكريا وملاخى الأنبياء مع باقى المائة وعشرين عالماً الذين تألفت منهم الكنيسة الكبرى وقد لقبوا بهذا اللقب للأسباب التى مر بك ذكرها.

والمأثور عنهم ثلاث وصايا: كانوا يكررونها أكثر من وصاياهم الأخرى لأنها من أركان حفظ الشريعة والذى يظهر لنا أن هذه الوصايا الثلاثة موجهة لثلاث طبقات فى الأمة ، وهى طبقة الحكام والقضاة ثم طبقة العلماء والمدرسين ثم طبقة العوام فقالوا:

تأنوا فى الحكم: للقضاة ، والسبب فى إيراد هذه الوصية فى عهد الكنيسة الكبرى فقط ، هو لأن أهل الكنيسة الكبرى رأوا هبة القضاء قد قلت وابتدأ المتداعون وشهودهم ان يتجاسروا أحيانا على الكذب والتزوير وتمويه الحقائق ، الأمر الذى كانوا يخشون الأقدام

(١) تشية الاشتراع ص ٣٠ ع ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤.

عليه قبلاً تهيئاً من قضاتهم الاسبقين الذين كانوا أنبياء ومن قاعة المحكمة ، التى كانت جزءاً من هيكل سليمان . فرأى علماء الكنيسة الكبرى تقرير هذه القضية فى أذهان القضاة ليمعنوا البحث فى القضايا المعروضة عليهم ، فيتوصلوا لتمحيص الحقائق والحكم بالقسط.

أقيموا تلامذة كثيرون: هذه الوصية موجهة للأساتذة والمقصود منها تعميم التعليم وعدم رفض الطلبة ، مهما كانت درجتهم الاجتماعية والعقلية ، وعدم التشبه بكهنة مصر وبابل ، الذين كانوا لا يقبلون المريدن إلا بعد الامتحانات الطويلة والتجارب المخيفة ليعبدوا عن حلقات التعليم من لم يكن ممتازاً بسمو الادراك والذكاء وشرف المحتد . فقد قال هليل الشيخ : " علموا كل الناس . المنة لينجح منهم عشرة . ورقوا العشرة لتختاروا منهم اثنين لأنكم لا تعلمون من سيكون ذا الأهلية منهما" . ويروى عن هليل الشيخ ، أنه دخل يوماً إلى حلقة ، فسأل تلاميذه " حاضرون الآن كلكم" فأجابوه " نعم" . فقال أحد التلامذة " كلنا حاضرون إلا صغيرنا" . فقال هليل : " انتظروا ريثما يحضر ذلك الصغير الذى سيصير يوماً رئيس الأمة" . وكان ذلك الغائب هو ربان يوحنا بن زكاى ، الذى مر بك ذكره . ويروى عن ربي العازر بن عازاريا ، أنه عندما انتخب للتدريس أطلق الحرية لمن أراد العلم أن يدخل حلقة ، خلافاً لربان جمالايل ، الذى كان يجاهر بعدم قبول من لم يكن طاهر النوايا ^(١) فى عداد تلامذته فعارض ربي العازار قرار ربان جمالايل بقوله " على الإنسان أن يتعلم ويحسن

(١) "توخو كبرو" أى باطنه كظاهره.

العمل ، ولو كان عن غير إيمان ، لأنه لابد أن يأتيه يوم يقترن فيه عمله بإيمانه^(١) . فازداد بذلك عدد التلامذة . وفى نفس اليوم ذاع فيه قول ربي العازار دخل إلى حلقة أربعمئة طالب جديد ، غير الطلبة الذين كانوا يحضرونها عادة.

فرجال الكنيسة الكبرى لاحظوا تراخى أهل زمانهم فى طلب العلم ، فأوصوا المعلمين بعدم وضع العوائق فى سبل الطلبة ، ليكثر عدد الحفظة . واستناداً على وصيتهم ، قال بعض المعلمين : " إذا درست تلامذة فى أيام شبابك فعليك أن تدرس غيرهم فى أيام شيخوحتك " .

واعملوا سياجاً للتوراة : بالنظامات التى وضعت ، لابعاد العامة عن الخطيئة ، حتى لا يقعوا فيها ، كأن يكف عن العمل من أصيل يوم الجمعة^(٢) ، كي لا يتم العمل بعد دخول السبت وكتجنب لمس يد الحائض ومواكلتها فى صحفة واحدة ، تجنباً للاقتراب منها المنهى عنه فى التوراة.

المشنة الثانية

شمعون الصديق . كان من بقايا الكنيسة الكبرى . والمأثور عنه ، أن العالم قائم على ثلاثة أمور : العلم . والعبادة . والمعروف .

(١) وهنا الفرق بين تعاليم الآسيين وتعاليم الكتبة .

(٢) وهذا ما يسمونه "توسيفيت ميحول عل هاودش" أى "الاضافة على المقدسات من غير المقدسات"

شمعون الصديق^(١) : لقب صديقاً لتقواه وحسن سيرته ، ولما نسب إليه من الكرامات ، وفى أيامه وقعت فتوحات الإسكندر المكدونى ، الذى عندما فتح سوريا قدم إليه وفد من الكوتيين أعداء اليهود ، وحسنوا له تدويخ اليهودية وتخريب هيكل أورشليم ، ليوطد سلطانه على البلاد فجاء الاسكندر بجيشه إلى حدود بلاد بنى إسرائيل ، فخرج إليه شمعون الصديق بحلته الرسمية محاطاً بثمانين شاباً من الكهنة بملابسهم الكهنوتية ولما تقابل مع الاسكندر خرّ هذا الفاتح أمامه . ساجداً بكل خضوع ، وسأله حاجته فطلب إليه أن يرحل عن البلاد اليهودية بغير حرب ، فوعده بذلك ، ثم التفت إلى أمراء الجيش ، وقال لهم : لا تعجبوا من خضوعى لهذا الشيخ ، لأن صورته كانت دائماً تتمثل أمامى أثناء غزواتى ، قبل أن اجتمع به ونقودنى إلى النصر الباهر والفتح المبين . ثم زار الهيكل وهو أعزل ، فقرأ له شمعون نبوة دانيال ، فتفأل بها خيراً ، وقدم للهيكل الهدايا الثمينة ، وطلب أن يضعوا تمثاله خارج الهيكل ، تذكراً لزيارته له ، فرفض شمعون اقتراحه هذا ، لعدم موافقته الشرع الإسرائيلى . وقال له أننى جاعل لك تذكراً أبدياً أعظم من التمثال ، وهو أننى أمر بتسمية كل غلام يولد لكل كاهن فى هذا العام باسمك ولأن تؤرخ العقود الرسمية من الآن وصاعداً تاريخاً جديداً يذكر الأمة بزيارتك هيكلها وخروجك منه دون

(١) هو شمعون الأعظم وابوه يهوذا أحد ارفاق زروبابل بن شألتييل أول ولاية اليهودية بعد سبى بابل وجده يهوذاصداق الذى كان حبراً أعظم فى أواخر البيت الأول فى عهد صدقيا آخر ملوك يهوذا .

أن تمس كرامته ^(١) فسر الاسكندر من ذلك ، وذهب عن اليهودية حافظاً لها استقلالها الداخلى ، كما كان فى عهد الفرس.

كان من بقايا الكنيسة الكبرى: لأنه عاصر المائة وعشرين عالماً ، الذين تؤلف منهم الكنيسة الكبرى ، وأخذ عنهم وتولى الخبرة العظمى بعد عزرا الكاتب ، فى حال حياة الكثيرين من أعضاء تلك الكنيسة ، فعد من بقاياهم لغزارة علمه ^(٢).

والمأثور عنه ، أن العالم قائم على ثلاثة أمور: أي أن يقول أن الله خلق العالم لكى يتمم البشر الثلاثة الأمور التى يذكرها ، استناداً على ما ورد فى سفر إرميا.

العلم: ومنه معرفة كتب موسى المكتوبة والمنقولة ومزاولة درسها وتعليمها للغير وعلى هذا المبدأ كان الإسرائيليون يعظمون قدر العلم والعلماء ، حتى قال بعضهم: "إن مرتبة العالم تعلو على مرتبة النبي لأن النبوة هبة الهية والعلم لا ينال إلا بالكد والاجتهاد" وقال بعضهم "لا نصيب للأمى من العالم الآتى". وقال بعضهم: "أن العالم الذى ييخل بعلمه ولا يعلمه للناس هو كالسارق فى يوم الدين".

(١) ويعرف هذا التاريخ فى التلمود تحت اسم تاريخ العقود فكان كل عقد يؤرخ هكذا فى اليوم الفلانى من الشهر الفلانى من السنة الفلانية للاسكندر وبقي هذا التاريخ متداولاً بين الإسرائيليين إلى ما بعد خراب البيت الثانى. ويوافق أول أعوام هذا التاريخ لسنة ٣٤٤٨ للخلقة.

(٢) ويقال أن ارسطوطاليس الفيلسوف اليونانى كان معجباً بعلم شمعون الصديق وقد أورد كثيراً من أقواله مستشهداً بها مفتتحاً إياها بقوله "وما قاله لى الكاهن السمعانى إلخ".

والعبادة: وهى مقدمة المحرقات أيام وجود الهيكل أو ما ينوب عنها فى حال عدم وجود هيكل ، كإطعام الجائعين ومواكلة الفقراء على مائدة واحدة وتوزيع الصدقات على المعوزين سرّاً وخصوصاً الأقرباء منهم.

والمعروف: وعمل المعروف يشمل الإحسان إلى البائسين ومساعدة الناس فى مآثمهم وأفراحهم والاشتغال فى دفن الأموات وتعزية الحزوين.

والسبب فى تقرير شمعون الصديق وصيته هذه فى أذهان سامعيه ، مع أنها واردة فى التوراة غير مرة تفصيلاً ، هو تراخى الروابط القومية بين معاصرة وجود هذه الوصايا الجوهرية والآداب الموسوية فى نفس شرائع اليونان ، فذكرهم هذا الخبر أن الشرع لا يحتوى فقط على الوصايا الأساسية التى يحكم بحفظها العقل والضمير ، بل أن هناك وصايا أخرى وكمالات لا يمكن إتباعها وفهمها ، إلا بالدرس ومزاولة الأعمال الصالحة ، التى تأمر بها التوراة.

المشنة الثالثة

أنطيجنوس رجل سوخو ، استلم من شمعون الصديق. والمأثور عنه هذا القول: لا تكونوا كالخدم الذين يخدمون سيدهم لنوال الأجر. بل كونوا كالخدم الذين يخدمون سيدهم لغير غاية. وليكن خوف الله نصب أعينكم.

أنطيجنوس رجل سوخو: هى مدينة واقعة فى حدود أملاك سبط يهوذا ، استلم من شمعون الصديق ، فكان أول علماء المشنة ، كما مر بك فى المقدمة.

والمأثور عنه هذا القول: المأثور عنه أكثر من ذلك بكثير ، ولكنه كان يكرر هذا القول دائماً للأسباب الآتية.

لا تكونوا كالخدم الذين يخدمون سيدهم لنوال الأجر إلخ : يعنى بهذه الوصية وجوب خدمة الخالق ليس لاجل الرغبة فى الحصول على الثواب بل شكراً له على إنعامه المتواصل وحباً به.

وليكن خوف الله نصب أعينكم: إستحسننا أن نترجم هذه الجملة الأخيرة ، كما ترى لأنها اقرب للعقل ، مع أن ترجمتها الحرفية ، هى هكذا : (وليكن خوف السماء عليكم). ويمكن أن تترجم أيضاً هكذا : (ولتكن عليكم هبة السماء). ولم نورد هاتين الترجمتين هنا عبثاً ، بل قصدنا من ذلك أن ننوه إلى الشروحات الواردة فى كتب الشراح المختلفين على المعنيين ، فقد تغالوا فى ذلك حتى قال بعضهم ، أن أنطيجنوس قصد من جملة هذا أن يقول: إن السماء ذاتها تهاب أرباب الإيمان والأعمال حتى أنهم يصيرون قادرين متى أرادوا أن يجسوا الأمطار كإيليا^(١) أو يستقوا فى أيام انحباسها كحونى هميغاجيل^(٢) ، الذى كان يخرج بقومه فى زمن انحباس الأمطار ويرسم فى الأرض دائرة يدخل فيها ، ثم يوبخ السماء على صفائها ويتوعدّها بعدم تجاوزه دائرته حتى تسقى الأرض . وكل ذلك أحاديث ساذجة لمؤمنين ساذجين . لم يكونوا يعرفون النواميس الطبيعية التى لا تتغير بالصلوات والابتهالات ، كما لا تنتقل الجبال الراسية بخراطل الإيمان.

(١) راجع قصة إيليا واخاب فى سفر الملوك.

(٢) أى صاحب الدوائر الوارد ذكره غير مرة فى التلمود.

المشنة الرابعة

يوسى بن يوعيزر رجل صريده ويوسى بن يوحنا رجل اورشليم استلما منه. قال يوسى بن يوعيزر: ليكن بيتك مجمعاً للحكماء. وعفر نفسك بتراب أرجلهم. وتشرب كلامهم كالظمان.

يوسى الخ: كان هذان الإمامان يجمعان فى مجلسهما حفاظ الأمة وفقهائها ليزيدوهم علماً وتفقهاً فتلقبا بعنقودى كرمة الدين.

قال يوسى بن يوعيزر: ليكن بيتك مجمعاً للحكماء: لأنك إذا لم تكن قد تلقيت العلم فى صغرك فحبب فيه أولادك وأولاد الجاورين لك ، لتكون قدوة صالحة لهم بتعظيمك قدر العلم.

وعفر نفسك بتراب أرجلهم: أى إجلس بينهم مجلساً اوطى من مجالسهم وقم لخدمتهم بنفسك وعند ما تشيعهم لا تتقدمهم فى المسير، بل سير وراءهم متواضعاً كما سار إيلشع خلف أستاذه إيليا^(١).

وتشرب كلامهم كالظمان: أى لا تعترض على تعاليمهم ، ولا تتضجر من صعوبتها حتى يصير يمكنك أن تصل يوماً لدرجة فهمها^(٢).

(١) راجع سفر أخبار الأيام المجلد الثانى.

(٢) وردت فى التلمود جملة أحكام صارمة ضد التلامذة الذين يتجاسرون على الاعتراض على أساتذتهم أثناء الدرس حتى قبل أن يعلى الكاهن كاد يقضى على صموئيل تلميذه لمثل هذا السبب لولا شفاعته والدته حنة ، ولكنها أقوال ليس فى التاريخ ما يثبتها.

المشنة الخامسة

قال يوسى بن يوحنا: ليكن بيتك مفتوحاً على الرحب والسعة. ولتكن الفقراء كبنى بيتك. ولا تكثر الحديث مع المرأة. وخصوصاً امرأة قريبك ، وقد استند الأئمة على هذا الكلام فقالوا: كل من أطال الكلام مع المرأة يسبب الضرر لنفسه ويلتقى عن درس الناموس ، وآخرفته ميراث جهنم.

معنى هذه المشنة ظاهر لا يحتاج إلى إطالة الشرح ، وقد كانت المرأة عند الإسرائيليين أحط مقاماً من الرجل ، حتى أن الشريعة الموسوية ذاتها لم تكلفها كما كلفت الرجل من الفرائض الدينية . ويقال أن السبب فى ترديد هذا الإمام لهذه الوصية حتى نقلت عنه فى مشنة مخصوصة هو أن أخاه أنفذ مرة فى سنة من سننى القحط إلى ملك مصر ليستعطفه ويرجوه مطاولة أهل اليهودية فى جباية الضرائب ، فالتقى فى البلاط بمغنية يونانية فتعشقها واستأذن أخاه فى الاقتران منها فاستقدمه إليه وأزوجه من إبنته ، فولد له منها هورقانوس.

المشنة السادسة

يهو شاع بن براحيا ونتاجى الاربيللى. استلما منهما يهوشاع بن براحيا ، قال: إتخذ لك أستاذاً. واكتسب لنفسك رفيقاً. وليكن ظنك فى الناس حسناً غير يسوع بن مريم صاحب الدعوة المسيحية.

(وقد أوجد هذا الاتفاق الإسمى تشويشاً عند بعض المؤرخين فخلطوا بين المسميين ، وخطبوا فى تواريجهم خبط عشواء . وقد نوهنا

هنا إلى هذا الغلط ، تلخيصاً . وربما عدنا إلى التفصيل ، فيما بعد متى ذكرنا محاكمة المسيح^(١)).

نتاجى الاربيللى: نسبة إلى قرية اربيل وقد ذكر العلامة ربى منديل كوهين ، أنها كانت واقعة بالقرب من مدينة صفد . ولكن الذى نعلمه هو أن أربيل ، هى مدينة قديمة من بلاد آشور مشهورة بالموقعة العظيمة التى انتصر فيها اسكندر الفاتح على داريوس ملك الفرس سنة ٣٣١ قبل التاريخ الجارى^(٢).

استلما منهما : حصل فى أيام إمامتهما اضطراب شديد إليك أسبابه: كان فى الأمة الإسرائيلية حزبان ، حزب الصادوقيين ، الذين كانوا لا يؤمنون بالبعث وخلود النفس ولا يعتبرون سوى أسفار موسى الخمسة ، وحزب الكتبة^(٣) ، الذين كانوا يؤمنون بما يؤمن به اليهود إلى يومنا هذا ، وفى أثناء إمامة هذين المستلمين ، كان الملك يئناى قد استولى على عرش المملكة الإسرائيلية وعلى منصب الحبرية العظمى ، وفى أحد الأيام جمع هذا الملك كبار علماء الكتبة فى وليمة فلما أكلوا وشربوا انتصب الملك أمامهم خطيباً وقال: "أنتم قادة الأمة

(١) من المعروف أن التلمود يمتلىء بصفحات كثيرة تحتوى سبابا وقذفا وبذاءات فى حق المسيح عيسى بن مريم والسيدة العذراء. ومن الواضح أن المترجم وقع فى مأزق عند ترجمة هذه المشنة، وحاول الخروج منه بحجة وجود إتفاق فى الاسماء بين يسوع بن مريم وبين غيره، مما أحدث تشويشاً وخلطاً لدى بعض المؤرخين، وهو إعتذار غير مقبول ، لعلمه أن هذا الخلط غير صحيح، وكان الأولى به حذف هذه الجزئية من المشنة (المراجع).

(٢) يقصد بالتاريخ الجارى ، قبل الميلاد (المراجع).

(٣) يقصد المترجم بالكتبة، فرقة الفريسيين (المراجع).

وهداة العصر وما أنا إلا واحد من أتباعكم ، فلمثلکم يليق الإرشاد وبمثلى يجدوا الطاعة والانقياد فافحصوا ماضى وأعمالى واحكموا بما تشاؤون حتى إذا وجدتم بى أعوجاجاً بادرت إلى تقويمه بنصائحكم . فاجابه الجميع ، إنك ملك فاضل وكاهن نقى بار ، فابق على ما أنت عليه من الفضيلة والتقوى . فانشرح صدر الملك وطاب قلبه ، إلا أن أمد سروره لم يطل ، لأن أحد الدخلاء واسمه العازار بن بوعيرة^(١) وقف أمام الملك وقال له : إذا كنت أيها الملك تحب الإنصاف حقيقة فاكثف بالملك واترك منصب الخبرة العظمى لذرية هارون . فغضب الملك من قحته وظن فى العلماء سوءاً وانهم هم الذين كلفوا هذا الدخيل بتوبيخه ، فأمر بحرقه وأعمل السيف فى رقاب الكتبة واجبر الناس على التمدد بمذهب الصدوقيين ، فهرب يهوشاع بن براحيا من شمعون بن شطاح نسيب الملك إلى الإسكندرية ، إلى أن ضاق ذرع الأمة فى فهم الوصايا الموسوية وكيفية القيام بها فاضطروا إلى الرجوع إلى التقاليد ، فاستعاد الملك العلماء من الإسكندرية ، بالرغم عنه .

يهوشاع بن براحيا قال اتخذ لك استاذاً : لتتدى برأيه حتى لا تلبس عليك الأمور ملى أكثر من الاستشارة وتضاربت لديك الآراء ، وأنت حديث العهد فى العلوم لم يتسع بعد نطاق عقلك لتدرك الصحيح من الضعيف من الفساد .

واكتسب لنفسك رفيقاً : تستعين برأيه ، متى أشكلت عليك تعاليم أستاذك وتعذر عليك فهم الناموس .

(١) يقال أنه لقب بهذا اللقب لخلله .

وليكن ظنك فى الناس حسناً : قيل لأن هذا الإمام قد ردد هذه الوصية ، لأنه أحسن مرة إلى أرملة حسناء ، فاتهمه أحد الطلبة فى سره ، بأنه إنما فعل ذلك لتأثير جمال تلك المرأة عليه فأدرك ذلك منه بالفراصة ، وانتهره قائلاً له : إنه إنما أحسن إليها ، حتى لا تتعرض للثيم شهوانى مثله . ومنذ ذلك العهد صار هذا الأستاذ يكرر هذه الوصية .

المشنة السابعة

نتاي الاربيلى قال : ابتعد عن جار سوء . ولا تصاحب الشرير ، ولا تياس من الجراء .

ابتعد عن جار سوء . لأن جويرته مضرة بك فإذا لم ينلك منه ضرر مادي ، فلا أقل من أن تؤثر أخلاقه عليك أو على ذويك .

ولا تصاحب الشرير : حتى ولو بقصد إصلاحه ، لأن الوسط الذى يعيش فيه الإنسان يفعل فى عواطفه وطباعه فيحرفهما عن الطريق المستقيم ، دون أن يشعر . ومصاحبة الشرير إذا لم يكن فيها إلا تكرار مشاهدة مظالمه فضررها كاف ، لأنها تضعف فى المصاحب عاطفة الاشتزاز والنفور من تلك المظالم والشرور . وقد قال بعضهم " لا تصاحبوا الأشرار لأن خلاصكم من شرهم مئة منهم عليكم " . وقال آخر ما ملخصه " إذا لم يكن فى مصاحبة الشرير ، سوى اغترار الآخرين برضاك عن شروره وآثامه ، ففى ذلك من الإثم مالا يجوز أن يستخف به ، لأن الدين يأمرنا بأن نكون قدوة حسنة للناس ، لا حجر عثرة فى سبيل السذج والبسطاء " .

ولا تيأس من الجزاء : أى أنك إذا رأيت الظالم منتفعًا بشمرة مظلله والشرير متنعمًا بشروره ، فلا تيأسن ولا تفترن همتك فى ملازمة طريق الفضيلة وانتهاج سبيل البر والاحسان ، لأن الكتاب يعد بالثواب للمحسنين وبالعقاب للظلمة الأشرار.

المشنة الثامنة

يهودا بن طبأى وشمعون بن شاطح استلما منهما. يهوذا بن طبأى قال : لا تجعل نفسك فى مقام المشترعين. وعندما يمثل المتقاضيان فى حضرتك. ليكونا فى نظرك كظالمين. وعندما ينصرفان من أمامك ليكونا فى نظرك كبارين. لأنهما خضعا لأحكام الشرع.

يهودا بن طبأى قال: وأقواله هذه موجهة للقضاة أعضاء السنهدرين ولرؤساء المدارس الذين كانوا فى الوقت ذاته رؤساء محاكم كما أسلفنا.

لا تجعل نفسك فى مقام المشترعين: هذه الجملة تحمل معنيين:

أولاً: "لا تجعل نفسك أيها الحاكم فى مقام المحامين". والمقصود منها تحذير القضاة من تلقين اوجه الدفاع للمتقاضين ، لأنه لا يمكن للقاضي أن يعدل فى أحكامه إذا كان خصماً وحكماً فى آن واحد (عن ربي منديل وغيره).

ثانياً: "لا تجعل نفسك أيها الحاكم فى مقام واضعى القانون" بل أحكم بحسب منطوق الشرع، وإياك من العجرفة والكبر والاستبداد فى الرأى ، لئلا تغتر فى نفسك فتعد ذاتك معصوماً عن الغلط متفرداً فى الحكم (عن ربي يهوذا هنا جيد).

ولكنى أرى الترجمة الثانية أضعف من الأولى ، لأنها تنافى السلطة المعطاة للحكام ، لأن يحكموا فى بعض الاحيان بحسب ضمائرهم إذا رأوا الغبن فى اتباع منطوق الشرع.

وعند ما يمثل المتقاضيان فى حضرتك : ترجمتها الحرفية هكذا : وعندما يكون صاحب الشرع واقفين أمامك " وفى كلتا العبارتين إشارة إلى وجوب احترام مقام القضاء والمساواة بين المتقاضيين.

ليكونا فى نظرك كظالمين : لئلا يحرف إحترامك لأحدهما حكمك، فالواجب عليك أن تهمل معرفتك السابقة للمتقاضين ، وأن تنظر إليهما فى أثناء المحاكمة كأن الواحد منهما يحاول أن يظلم الآخر ، وعندئذ تمحص أقوال كل منهما بدقة واعتناء ، إلى أن تظهر لك اوجه الحق.

ولهذا استثنى الملوك من حضور المحاكمات بالنفس ، إذا كانت لهم خصومة مع أحد أفراد الرعية.

وعندما ينصرفان الخ. أى ، بعد انتهاء المرافعة وصدور الحكم وخروج المتقاضيين من المحاكمة ، عليك أيها الحاكم أن تعامل كلا منهما فيما بعد ، كأنه هو الصادق فى دعواه والحق فى أقواله ، فلا تحتقر من لم يثبت كلامه أثناء المحاكمة ، فقد يمكن أن يكون ذلك قد حصل له لقصر باعه فى طرق البرهان أو لمهارة خصمة ، أو لا نخادعه هو ذاته فى دعواه، بالرغم من حسن نيته أو لضعف الطبيعة البشرية فى الأمور المتعلقة بالصواب.

لأنهما خضعا لأحكام الشرع: وحينئذ يكونان قد ساوياك فى احترام أحكامه.

المشنة التاسعة

شمعون بن شاطح قال: أكثر من مباحثة الشهود. واحترس في كلامك معهم، لئلا يتعلموا الكذب من خلاله.

شمعون بن شاطح. كان صهر ينأى الملك. وقد أبقى عليه الملك عندما أمر بقتل علماء بنى إسرائيل بعد حادثة اليعازر بن بويرة، التي مرت بنا، اكراماً للملكة أخته، ولكن شمعون بن شاطح اضطر لأن يهرب إلى الإسكندرية، خوفاً من الوشة الذين كانوا يسعون ضده أمام الملك بلا انقطاع.

أكثر من مباحثة الشهود: حتى تتأكد من صدقهم، لئلا تكون شهادتهم مزورة. وقد ورد في التلمود أن هذا الأمام كان قد حكم بالصلب على بعض الفاسدات فانتقم لهن بعض الاشرار بأن شهروا أمام شمعون بن شاطح على ابنه شهادة زور ابني عليها أنه حكم عليه بالإعدام وتنفيذ فيه الحكم، ثم اتضح له فيما بعد أن الشهادات كانت مزورة، فندم على ما فرط منه اشد الندم وطفق يكرر هذه النصائح على تلامذته.

واحترس في كلامك معهم: أثناء المناقشة والتحقيق، لئلا يتعلموا الكذب من خلاله: أى من خلال كلامك أيها القاضي، فيسبكون تزويرهم في قالب الحقيقة حتى تنخدع وتحكم حكماً معوجاً.

المشنة العاشرة

شمعيا وأبطالليون استلما منهما. شمعيا قال: تعلق في الصناعة. واكره السيادة. ولا تتعرف من الحكام.

شمعيا وأبطالليون استلما منهما: يقال أن هذين الإمامين كانا آشوريين فى الأصل، ثم تهودا، وقيل أيضاً أنهما من سلالة سنحريب ملك آشور. وفى عهدهما اختلف الأخوان هورقانوس وإريسطوبولس، سليلا البيت المكابى على سرير الملك، فجَرَ اختلافهما هذا مداخله الرومانيين واحتلالهم اليهودية.

تعلق فى الصناعة: أى اجتهد فى أن تكتسب قوتك بكد يمينك. وقد ورد الترغيب فى العمل غير مرة فى التلمود، إذ قال أحد الائمة " أن الذى يقتات من جنى كفه، هو أعظم قدراً عند الله من إبراهيم". وقال غيره " ليكن سبتك كالأيام العادية ولا تحتج فى قوتك للناس".

والذى يعلم مقدار احترام اليهود للسبت، يدرك بدهاءة قوة هذه العبارة الأخيرة. فلقد كانت الأمة الإسرائيلية فى أصل منشأها تشتغل فى تربية المواشى وفلاحة الأرض ولا تحفل فى التجارة التى كانت فى عهد استقلال هذه الأمة فى يد أفراد من الكنعانيين، حتى صار يعبر عن التاجر فى اللغة بالكنعانى. ولقد ذم الأنبياء فى أسفارهم غير مرة قليلى الذمة من التجار فقال اشعيا: "كناعان بيرو موزنيه مرمه"، وترجمتها. "ويل للتاجر الذى بيده موازين الغش". فاذا رأينا أفراد الأمة الإسرائيلية الآن أميل للتجارة والأعمال المالية، فذلك لان تعصب الأمم فى العصر الوسطى، هو الذى أجبرهم على ترك الارتزاق بالصنائع، فلم يجد آباؤهم أمامهم سوى التجارة والاشتغال

بالأشغال المالية والتجارة ، فبرعوا فيها حتى صارت مملكة في الأمة يتناولها الخلف عن السلف بالوراثة.

واكره السيادة : لما فيها من المتاعب والقلقل . ويمكن ترجمة هذه العبارة هكذا " واکره منصب القضاء " لما فيه من المسؤولية وانتخاس الضمير وتعكير صفاء العمر.

ولا تتعرف من الحكام : ويمكن ترجمتها أيضاً " ولا تدع الحكام يعرفون داخليتك " . وفي الوصيتين ما يشير إلى التحذر واجتناب مظالم الحكام في تلك العصر الخالية التي كان فيها الاستبداد ضارباً اطنابه ، سيما بعد أن تخلل الطبقة الحاكمة العناصر الاجنبية من آدوميين ويونان ورومان.

المشنة الحادية عشر

أبطالیون قال : أيها الأساتذة احترسوا في أقوالكم . لئلا تستحقوا الحكم بالنفى . وتنفون إلى مكان آسن الماء فيشرب منها الطلاب الذين يتبعونكم فيموتون . فيتجذف إسم الرب .

تكلم هذا الأستاذ بالالغاز محذرا الأساتذة عن الخوض في المباحث السياسية ، لئلا ينفون إلى البلاد التي لا تلائم عوائدها وأخلاقها ، الدين الإسرائيلي ، فيقتبسها الطلبة ويزيغون عن دينهم ومبادئ آبائهم.

وقد ورد تفسير آخر ، من مقتضاه ، أن هذا الأمام يقصد بكلامه تحذير المعلمين عند شرحهم الناموس على التزام خطة التحفظ في

أقوالهم ، حتى تكون شروحاتهم وأقوالهم صريحة لا تقبل التأويل إلى غير المعنى المقصود في حال غياب قائلها ، لأنه قد حدث أن بعض ذوى الأغراض نقلوا كلام بعض الأساتذة محرفاً واستخدموه لغايتهم مستنديين على شهرة وفضل قائلها ، وقد راجت دعوتهم بهذه الوساطة ، لغياب أولئك الأساتذة وعدم وجود من يدافع عن أقوالهم.

المشنة الثانية عشر

هليل وشمای استلما منهما . هليل قال : كن من تلامذة هارون محباً للسلام . وساعياً وراء السلام . محباً للخلق . ومرغباً إياهم بالعلم .

كن من تلامذة هارون : أى تواضع كهارون الذى قبل بأن يكون وزيراً لأخيه الأصغر منه وكان في مقدمة الطائعين له .

محباً للسلام : ولو كلفك ذلك الضغط على نزق الشباب وحدة الصبا ، وقد قيل أن هذا الإمام كان طویل الأناة لم يخاصم أحداً في حياته .

وساعياً وراء السلام : أى اسعى سعى هارون لمصلحة من أراد مخاصمتك ومعاداتك كما فعل هارون مع جماعة قورح ، الذين كانوا ثائرين عليه وعلى أخيه موسى ، كما هو مشهور في التوراة ^(١) .

محباً للخلق : بلا استثناء الاجانب منهم ، والا لكان قال " محباً لإخوانك " أو محباً لمواطنيك " ، كما يقولون في الأماكن التي يربون فيها تخصيص الكلام في أفراد الأمة الإسرائيلية .

ومرغباً إياهم بالعلم : راجع ما قلناه فى المقدمة عن حديث هليل مع الأجنبي الذى كان يريد درس التوراة والتهود.

المشنة الثالثة عشر

وقال أيضاً: من طلب شهره فوق استحقاقه خسر شهرته. ومن لا يدقق فى حفظ الناموس قطع نفسه. ومن لا يتعلم عند استطاعته التعلم فقد استحق الموت. ومن اغتصب المناصب العالية على غير استحقاق يقتل.

من طلب شهرة الخ : لأن الإنسان عليه أن يعمل عمله بما أمكنه من الاتقان دون أن يسعى لنوال الشهرة حالاً ، لأن الذين يتطلبون الشهرة يضيعون فضلهم ، خصوصاً أمام معاصريهم.

من لا يدقق الخ: وردت فى التوراة جملة أحكام فى قطع النفس الخاطية ، وهى لعنة سماوية لا حكم مادى موكل أمر تنفيذه بالحكام والقضاة.

من لم يتعلم فقد استحق الموت : لم يقصد هليل من عبارته هذه ، الحكم بالإعدام على من لا يحب العلم ، بل هو يشير إلى المبدأ الراسخ فى أذهان الائمة السابقين له واللاحقين ، فقد ورد غير مرة فى التلمود : "أن الأمي محسوب فى عداد الأموات وإن كان حياً". وقد تعالى بعض علماء التلمود فقال : "يحل بقر بطن الأمي كما تبقر بطون الأسماك حتى فى يوم الصوم الكبير الواقع فى أحد أيام السبت". وفى ذلك من المبالغة والمغالاة مالا يخفى على ذوى الالباب ، وإن تذرع به بعض أخصام التلمود بتمويه على الأذهان بأنه شريعة

بربرية متوحشة . لأن ما الموجب فى حصر تنفيذ هذا الحكم فى يوم قد ازدوج فيه تحريم العمل على الإسرائيلى مع تعدد الأيام الأخرى.

ومن اغتصب الخ : فى هذه العبارة من الحكمة والسداد ما لا يحتاج إلى الإفاضة فى الشرح ، وقد مضى عليها ألوف من السنين دون أن يخلق جديدها ، فياليتها كانت مادة قانونية نافذة المفعول إلى يومنا هذا.

المشنة الرابعة عشر

وقال أيضاً: إذا أنا لم أعتمد على نفسى ، فعلى من أعتمد. وإذا أنا انفردت بنفسى ، فماذا أكون ، وإن لم أنظر فى إصلاح ذاتى الآن ، فمتى أنصالح^(١).

إذا أنا لم اعتمد نفسى فعلى من اعتمد: تشمل هذه العبارة على مختصر تاريخ هليل العصامى الذى نال الرياسة باعتماده على نفسه ، كما يتضح لك ذلك من مراجعة سيرته الواردة فى المقدمة.

وإذا أنا انفردت بنفسى فماذا أكون: تدل هذه العبارة على تواضع قائلها وإدراكه تمام الإدراك للمثل القائل "المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه".

وإن لم أنظر الخ : أى يجب على الإنسان أن لا يهمل أمر إصلاح نفسه وإلا يؤجل الأعمال الطيبة التى يستطيع أن يعملها فى يومه.

(١) لهذه المشنة ترجمة أخرى على النحو التالى: "إذا لم أكن لنفسى، فمن يكون لى؟ وإذا كنت لنفسى، فمن أكون؟ وإذا لم يكن الآن، فمتى؟" (المراجع).

المشنة الخامسة عشر

شمای قال: خصص الأوقات المحدودة للدرس. تكلم قليلاً واعمل كثيراً.
وقابل الخلق ببشاشة.

خصص الأوقات المحدودة للدرس: أى يجب عليك أن تطالع من الناموس ما يخصك ، فإذا كنت تلجأ فراجع ما يتعلق فى التجارة من الأوامر والنواهي والأحكام ، وأن كنت مزارعاً فراجع أحكام العشر والترومة والغرلة وما أشبهه ، وإن كنت فى منصب القضاء فادرس قوانين الخصومات والمرافعات وأحكام الزواج والطلاق لتزداد بواجباتك علماً وفى الناموس تفقهاً ، لأن آفة العلم الترك.

ويمكن أن نترجم هذه العبارة على هذه الصورة أيضاً: "اجعل ناموسك محدوداً" وحينئذ يمكن تفسيرها كما فسرنا العلامة ربه منديل نقلاً عن بعض الشراح: "لتكن أحكامك الشرعية وفتاويك محدودة فتفتى للغير كما تفتى لنفسك ، فلا تستحل محرماً على مذهب أحد الأئمة ثم تحرمه للآخرين على مذهب أئمة آخرين".

تكلم قليلاً واعمل كثيراً: أى أحسن إلى الناس وتصدق على الفقراء والبائسين مباشرة بلا وعر أو نذر سابق لأن أجر الإحسان العاجل أعظم من أجر الإحسان وفاء لنذر ، وإذا نذرت فليكن الوفاء أعظم من مقدار النذر.

وقد فسر بعضهم هذه الجملة على وجه أبسط وأقرب تناولاً ، فقال: إن الإمام شمای يقصد بقوله أن يوصى سامعه بالاكثار من الإحسان دون أن يفاتر به.

وقابل الخلق ببشاشة: عارض بقوله هذا قول هليل السابق الذى كلف الناس بالسعى خلف السيلم ، فقال إن ذلك السعى يضيع أوقات الناس سدى ، فالأحسن رفع أسباب الخصومة من أصلها باقتبال الناس ببشاشة ولطف سواء كانوا هم الساعون إليك أو أنت الساعى إليهم.

وقد توسع بعض المفسرين لهذه العبارة ، وقالوا أن شمای يقصد وجوب البشاشة مع الفقير فى حل الإحسان إليه ، لأن قيمة الإحسان تكون حينئذ مضاعفة ، كما أن قيمته تقل مع العبوسة والكلام الجارح ، ولكن هذا المعنى ينطوى تحت العبارة السابقة أكثر من هذه.

المشنة السادسة عشر

ربان غملائيل قال: اتخذ لك كبيراً. وتجنب الريبة ولا تفرط فى توزيع أموالك.

ربان غملائيل قال: هو ربان غملائيل الشيخ بن ربان شمعون بن هليل الشيخ ، وهو الذى نفى مع أعضاء السنهدين إلى مدينة بينا أو بينه ، قبل خراب الهيكل بأربعين عاماً.

اتخذ لك كبيراً: تستند على آرائه عند اللزوم.

وتجنب الريبة: أى لتكن أعمالك صريحة ، إذا كنت من عامة الناس وأحكامك واضحة لا تقبل التمويه فى تنفيذها إذا كنت فى منصب القضاء أو فى منصب الإفتاء ، وقد أظهر هذا الإمام مبدأه هذا فى الأحكام التى أحدثها فى مسائل الزوجية والطلاق فجاءت حاسمة

لكثير من المشاكل التى كانت تحدث بسبب الارتياح فى وقت تنفيذ الأحكام ، خصوصاً فى مسألة الطلاق بالتوكيل ، أى بإرسال عقد ذلك الطلاق مع رسول مفوض.

ولا تفرط فى توزيع أموالك: ولو على سبيل الإحسان ، فقد حكم الأئمة أنه لا يجوز للإنسان أن يحسن بما ينيف على خمس دخله ، إلا إذا كان فى مجبوحة من العيش وكان دخله يربو عن النفقات التى يقتضيها مركزه فى الحياة الاجتماعية بكثير.

المشنة السابعة عشر

ولده شمعون قال: لقد صرفت عمرى بين العلماء ، فلم أجد شيئاً أنفع للإنسان من السكوت. وليس الأصل كثرة الدرس. بل الأصل العمل. وكل من أكثر الكلام لا يسلم من الخطأ.

ولده شمعون قال: هو ربان شمعون بن غملائيل الذى قتله تيتوس الرومانى فى أيام خراب البيت الثانى. لقد صرفت عمرى بين العلماء: قال ذلك تواضعاً ، مع أنه كان زعيم علماء الأمة ومرشديها.

فلم أجد شيئاً أنفع للإنسان من السكوت: لأن الكلام كان مضرّاً فى قائله فى تلك الأزمنة، حتى قال أحد الأئمة "، إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب".

وليس الأصل كثرة الدرس: أى لا يكفيك أيها المؤمن أن تطالع الناموس لنجاة نفسك بل:

الأصل العمل: أى يجب عليك أن تقرن إيمانك وعلمك بالأعمال الحسنة الصالحة.

وكل من أكثر الكلام ، لا يسلم من الخطأ، وقد سبقه فى هذا القول سليمان الحكيم إذ قال فى الإصحاح العاشر من سفر الأمثال: "فى كثرة الكلام لا يندر الخطأ".

المشنة الثامنة عشر

ربان شمعون بن غملائيل قال: إن العالم قائم على ثلاثة أمور. على العدل. وعلى الصدق. وعلى السلم. كما قيل فى التوراة. صدقاً وعدلاً وسلاماً اسلكوا فى أحيائكم.

ربان شمعون بن غملائيل قال: هو والد "ربينو هاقادوش" ، الذى دون المشنة ، كما مر بك فى المقدمة.

إن العالم قائم على ثلاثة أمور. راجع كلام شمعون ها صديق فى المشنة الثانية ، تجد أنه قال: إن العالم قائم على ثلاثة أمور العلم (أو الناموس) والعبادة ، والمعروف وقد استأنف ربان شمعون نفس المعنى بتعبيرات أخرى فقال:

على العدل: أى على الناموس الذى يعتبره المؤمنون بقدسيته ، أنه قسطاس العدل والهادى الأمين.

وعلى الصدق: سواء فى العبادة أو فى معاملة الناس ، فقد قيل غير مرة فى التلمود ما معناه "الدين المعاملة".

وعلى السلم: ومن أهم أركانه ، المعروف ، كما لا يخفى.

كما قيل في التوراة "صدقاً وعدلاً وسلاماً اسلكوا في أحباءكم"
وهو الشطر الأخير من أحد أعداد الاصحاح الثامن من سفر زكريا

خاتمة الفصل الأول

ربى حنانيا بن عقاشيا قال: أراد الله تزكية شعبه إسرائيل فأكثر لهم
من الوصايا والنواميس ، كما ورد في التوراة : "الله أراد لأجل تزكية
شعبه أن يعظم الناموس ويعلى شأنه" .

هذه المشنة في آخر متون هذا الكتاب وقد أصلح الإسرائيليون أن
يختتموا بها كلاً من فصول هذا الكتاب وغيره من فصول الكتب
الدينية وسيجيء شرحها في آخر الكتاب.

انتهى الفصل الأول

الفصل الثاني

تمهيد

من تأمل في مقدمتنا وراجع الفصل السابق ، يتضح له أن الأقوال
المأثورة عن الائمة قد وردت تباعاً بحسب ترتيب أزمتههم وتواريخ
استلامهم للإمامة ، إما إجمالاً ، وإما على انفراد إلى المشنة الخامسة
عشر وهى التى تتضمن أقوال شامى ، شريك هليل فى الاستلام
والامامة ومناظره فى الآراء والأحكام.

ثم بعد ذلك ، انقطعت السلسلة ووردت الأقوال المأثورة عن ابن
هليل فحفيله فربان شمعون بن غمالايل الشيخ فممنشة حنانيا بن
عقاشيا التى تعتبر ختام كل فصل.

وستبقى هذه السلسلة مقطوعة فى صدر هذا الفصل فترد فيه
الأقوال المأثورة عن ربى يهودا هناسى وعن ابنه إلى المشنة الخامسة
التى بها الحلقة الموازية لحلقة الانقطاع فى الفصل الماضى ، لأن هذه
المشنة مع ما بعدها إلى نهاية الفصل الحاضر ، فهى تتضمن المأثور عن
خلف هليل وشامى فى الإمامة ، وهو ربان يوحنا بن زكاي ، ثم بعض
كلام عن تلامذته ثم المأثور عن كل منهم.

المشنة الأولى

ربى قال: ما هى الطريق القويمه التى يجبر بالإنسان اختيارها. هى تلك التى تمجد سالكها. وترفع مقامه بين الناس. إحرص على الفرض الخفيف حرصك على الفرض الثقيل. لأنك لا تعلم قيمة أجر الفروض. واحسب خسارة الفرض بجانب أجره. وملذة المعصية بجانب قصاصها. تأمل فى ثلاثة أمور فلا تصل إلى سبيل المعصية. أعلم ما فوقك. عين ترى وأذن تسمع وكل أعمالك محصية فى سفر.

ربى قال: هو ربى يهودا هناسى أى الرئيس مدون المشنة المعروف بربى ، أى سيدى وربينوها قادوش ، أى سيدنا الاقدس.

ما هى الطريق القويمه التى يجدر بالإنسان اختيارها: يمكن ترجمة هذه العبارة هكذا " ما هى الطريقة القويمه التى يجب على الإنسان انتهاجها" وقد وردت على هذا المعنى الأخير فى كتب بعض المفسرين إلا أننا نفضل ترجمتنا المثبوتة فى المتن لأنها اقرب لمبدأ الحرية الشخصية التى يقول بها أئمة التلمود وأسفار موسى نفسها. وكلا المعنيين صحيحين لأن الجملة العبرانية تحتل كليهما على السواء.

هى تلك التى تمجد سالكها: قصد هنا المجد السماوى والأجر العتيد الذى وعد به أئمة التلمود لمن عمل صالحاً وسلك بحسب فروض الناموس ، لأن التوراة لم تفصح عن المفاد من إفصاح التلمود ، خصوصاً بعد عودتهم من سى بابل ، فترى فى التوراة الثواب والعقاب مادتين فهى تقول مثلاً: أكرم أباك وأمك لاجل أن تطول حياتك على الأرض ، وتقول بعد الأمر بالصيام فى يوم الغفران، أن

كل نفس تصوم فى ذلك اليوم تقطع من وسط الشعب، أى أن الذى يصوم سيكون قصير العمر (راجع صحيفة ٨١).

وترفع مقامه بين الناس: لأنه يكون حينئذ قد أدى لكل ذى حق حقه وقام بالواجبات التى يفرضها الناموس على كل فرد بالنسبة الى الحياة الاجتماعية.

إحرص على الفرض الخفيف: من الفروض الدينية المذكورة فى الناموس كالصلاة مثلاً التى لا كبير عناء فى القيام بها.

حرصك على الفرض الثقيل: الذى يكلفك عناء كثيراً ونفقة مالية كعمل المظال فى العيد المختص بالمظال وافتداء أبكار المواشى وختان الذكور من الأولاد وما أشبه ، فكأنه يقول أن الاعتناء بالفروض السهلة واجب كالاكتفاء بالفروض التى تستلزم التعب والمصروف والضغط على العواطف القلبية.

لأنك لا تعلم قيمة أجر الفروض: لان التوراة لم تذكر دائماً جزاء كل فرض ، فقد يجوز أن تثاب على فرض أدبته بلا تعب أكثر مما تثاب على فرض كلفك السعى الكبير والمال الكثير ، وللايضاح تذكر هنا المثل الذى ضربه بعض الائمة لشرح هذه القضية. قال:

حكى ، أن أحد الوجهاء ، أمر بعض الفعلة بزرع بستان له حتى يستكمل شروط البساتين ، فزرع بعضهم الأشجار النفيسة ذات الأثمار اللذيذة وبعضهم بعض النباتات الجميلة الأزهار وبعضهم بعض الأعشاب النضرة ، ولما انتهوا من العمل أجاز كلاً منهم بحسب ما سره عمله ، بقطع النظر عن الأتعاب .

واحسب خسارة الفرض: من زمن ومال وأتعاب وآلام.

بجانب أجره: التعبد في العالم الأتى
وملذة المعصية: التى تحصل لك وقت ارتكابها.

بجانب قصاصها: وقت الدينونة.

تأمل فى ثلاثة أمور فلا تصل إلى سبيل المعصية : ولم يقل إلى المعصية
لاعتقاده أن مثل هذه التأمّلات تردع عن الشهوات، فضلاً عن
الارتكاب الفعلى.

إعلم ما فوقك: أى راقب الديان المشرف على أعمالك.

عين ترى وأذن تسمع: جسم هذه المراقبة لتقريبها من ذهن السامع
ليتقرر عنده اطلاع خالقه على كل أعماله. ولقد ورد فى التوراة غير
مرة مثل هذه التعبيرات: إصبع الله ويد الله وعين الله وما أشبه.

وكل أعمالك محصية فى سفر: وقد جسم بعضهم هذا الفكر ، لدرجة
أنه قال ، أن روح الإنسان تصعد فى كل مساء ، أمام عرش الديان
فتكتب بميمينها ما تكون قد اقترفت أو أحسنت فى يومها ، وتعالى
بعضهم فقال: إن كل معصية يرتكبها الإنسان فى دنياه توجد شيطاناً
يصعد أمام كرسى الديان ويهتف دائماً "أنا خلقت من معصية فلان
ابن فلان الذى ارتكبها فى اليوم الفلانى".

المشنة الثانية

ربان غملائيل بن ربي يهودا هناسى قال: ما أجمل درس الناموس إذا
اقترن بالأدب وحسن الأخلاق. لأن مزاوله الاثنين تلهي عن المعصية ، وكل
علم لا تصاحبه مهنة سيكون باطلاً ويجر للآثم. وكل من تولى أعمال الجمهور

فلتشتغل فيها لوجه الله. لأن كرامات آبائهم تساعدكم. وسيدوم برهم إلى
الأبد. وانتم سيحسب لكم أجر كبير لو كنتم تفعلون.

ما أجمل درس الناموس: الذى ينقطع له بعض الناس دون أن يزاولوا
سواه ، عملاً بالوصية الواردة غير مرة فى التوراة ، القاضية على الإنسان بأن
يلهج فى أحكام الناموس ليل نهار.

إذا اقترن بالأدب وحسن الأخلاق: التى تقضى على الانسان أن
يجالس الناس ويعاشرهم فى أوقات المجالسة والمعاشرة ، فكأنه يقول إن
الانقطاع لدرس الناموس عن القيام بالواجبات التى يفرضها الأدب
والذوق نحو باقى البشر مكروه شرعاً لا يثاب عليه صاحبه.

لأن مزاوله الاثنين: الدرس والمعاشرة ، الأدبية ومشاركة الناس
وخصوصاً الاقرباء منهم فى أفراحهم ومآثمهم.

تلهي عن المعصية: لأن الأفكار تنصرف عن الشهوات بأكثر
سهولة، إذ يكون الإنسان عندئذ مشغولاً بالناس غير منفرد بما توسوس
له الشهوات البهيمية من الآثام والمنكرات.

وكل علم لا تصاحبه مهنة: تمكن الإنسان من اكتساب حاجياته
والاستغناء عن الناس.

سيكون باطلاً: لا فائدة منه لصاحبه وللناس.

ويجر للآثم. لان الفقر والحاجة قد تدفع لارتكاب المحرمات
والدنايا، فقد لا يكون الانسان عفيف النفس قوى الإرادة لا تستهويه
حاجته فتحرفه عن جادة الشرف والاستقامة.

وكل من تولى أعمال الجمهور: كجمع الصدقات وتوزيعها وإدارة
الأوقاف والرياسة الدينية والقضاء ورياسة الجمعيات الخيرية وما أشبه.

فليشتغل فيها لوجه الله : أى مجاناً بلا مقابل أجر ، ولذلك اشترط على دارسى الناموس أن يتعلموا حرفة عملية للارتزاق ، وقد ورد استكراه قبض الروساء الروحيين للاجور عن وظائفهم مرارا عديدة فى التلمود ، فكيف بمن يقف منهم فى وجه كل مشروع خيرى مفيد إذا لم تكن له منه فائدة كالذين قاومونا سراً وجهراً فى نشر هذا الكتاب لعمر الحق أنهم ، يهدمون بأيديهم ما يزعمون أنهم يؤيدونه بلسانهم ولبئس ما يفعلون.

وقد اعترض بعضهم فقال: إذا كان المتولون للأعمال العمومية فقراء فمن أين يرتزقون فأجابهم الائمة: أن الأجدر بأولئك المتولين أن تكون لهم مهنة أخرى للارتزاق ، وإن لم تكن لهم مهنة فليتناولوا المرتبات ، على سبيل الإحسان كما يتناول الفقراء الذين يحق لهم أن يعيشوا من بيت المال.

لأن كرامات آبائهم: أى آباء الأمة الإسرائيلية: إبراهيم واسحاق ويعقوب والانبياء.

تساعدهم: الضمير هنا راجع للمشتغلين فى أعمال الجمهور.

وسيدوم برهم إلى الأبد: أى أن الأعمال الخيرية المفيدة التى يعملها أولئك المشتغلون فيها مجاناً ستخلد لهم فى العالم الأبدى.

وأنتم: هنا يخاطب الأمام أولئك المشتغلين قائلاً لهم: وأنتم وإن كنتم غير قادرين على إطعام المسكين وإسعاف اليتيم وإعالة الأرملة من أموالكم الخصوصية لأنكم إنما تصرفون الوقت الذى يصرفه غيركم للكسب والارتزاق فى الأعمال التى لا تجنون منها فائدة مادية تمكنكم أن تحسنوا كما يحسن الأغنياء وباقى المرتزقين عن سعه.

سيحسب لكم: عند الله.

أجر كبير كما لو كنتم فعلتم: كما يفعل من حرصتموهم على البر والاحسان وكما لو كنتم انتم ذاتكم المتصدقين بالأموال التى غنيتم بجمعها وتوزيعها.

المشنة الثالثة

كونوا على حذر من الحكام ، فهم لا يقربون منهم إنساناً ، إلا لأغراضهم الشخصية. يظهرون كالأحباء. وقت انتفاعهم ، ولا يقفون للإنسان فى ساعة ضيقة.

كونوا على حذر من الحكام: أى تجنبوا ملازمة الحكام ومصادقتهم ، فهم لا يقربون منهم إنساناً: مجرد المودة والصدقة.

إلا لأغراضهم الشخصية: إستخداماً لمن يقربوه أو اتقاءً لشره ، إن خافوا من بطشه واقتداره.

يظهرون كالأحباء : وماهم بالأحباء خصوصاً فى ذلك العصر عصر الاستبداد والحكم المطلق.

وقت انتفاعهم. بمن يقربونه منهم.

ولا يقفون للإنسان فى ساعة ضيقة : لترفعهم عنه واعتقادهم أنه خلق لخدمتهم.

وقد ترجم بعضهم لفظة "رشوت" التى ترجمناها بلفظة "الحكام" ترجمة أخرى أبعد من ترجمتنا وهى "الماذونات" ، أى المحللات ، فقال أن ربان غملائيل يقصد تحذير الإنسان من الملاذ المحللة

حتى لا يتوغل فيها كثيراً وحينئذ يتغير المعنى تغيراً ظاهراً لا يخفى على القارئ اللبيب.

المشنة الرابعة

هو أيضاً قال: إجعل إرادته إرادتك. ليعمل إرادتك كإرادته. وأبطل إرادتك أمام إرادته. ليبطل إرادة الآخرين أمام إرادتك.

هو أيضاً قال: أى ربان غملائيل بن ربي يهودا هناسى.

إجعل إرادته إرادتك: أى إجعل إرادة الله فى أعمالك بدلاً عن إرادتك، بمعنى أنك تطيع وصاياه، وإن خالفت بإطاعتها صوالحك الدنيوية وملاذك المادية وشهواتك وعواطفك القلبية.

ليجعل إرادتك كإرادته: إذ يقبل دعاءك ويستجيب لصلواتك فتحل إرادته حيث شاءت إرادتك، كما زعموا فى التلمود عن حونى خميعة جيل، الذى كان عند انحباس الامطار يرسم دائرة فى الأرض فيحتلها ويتهدد السماء بعدم الخروج منها إن لم تمطر الأرض.

وأبطل إرادتك أمام إرادته: أى إقهرها بالطاعة وأوامره ونواهيه.

ليبطل إرادة الآخرين أمام إرادتك: فلا يمكنهم من أن يمسوك بسوء ولا يستجاب دعاءهم ضدك، كما جرى لبلعام مع بنى إسرائيل حين سخره بالاق بالدعاء عليهم، والحكاية مشهورة تجد تفاصيلها فى نفس التوراة.

المشنة الخامسة

هليل قال: لا تنفصل عن الجماعة. ولا تثق بنفسك إلى يوم وفاتك. ولا تحكم على صاحبك حتى تصل لمكانه. ولا تقل كلاماً لا يجوز أن يسمع، لأنه لابد أن يشاع. ولا تقل سأتعلم عند فراغى من العمل، فقد لا تفرغ منه.

هليل قال: هو هليل شريك شحاى فى الاستلام الذى ورد المأثور عنه فى الفصل الأول فى المشنة الثانية والثالثة والرابعة عشر.

لا تنفصل عن الجماعة: أى عليك أن تساوي الناس فى سلوكهم وقد فسرهما بعضهم عن الصلاة، فقال أن هليل يقصد بوصيته هذه ان يتبع المصلى جمهور المصلين فى الكنيس ولا ينفرد فى الصلاة وحده، وإن وافق حضوره للكنيس بعد شروع الجماعة فى صلاتهم، فالواجب فى مثل هذه الظروف ان يصلى معهم، من الجزء الذى وصلوا إليه إلى نهاية الصلاة، وبعدها له أن يصلى على انفراد، ذلك الجزء الذى فاته.

وفسرهما بعضهم، عن الاكتتابات الخيرية العمومية، أى أن الواجب على الفرد أن يجارى غيره فى المشروعات الخيرية فيكتب مع الجمهور، ولو لم يكن يعتقد بضرورة ما هم ساعون فيه.

ولاتثق بنفسك إلى يوم وفاتك: أى لا تغبط نفسك على يسارك وسعادتك حتى تموت سعيداً ميسوراً. ويشابه قول هليل هذا ما قاله الحكيم صولون اليونانى لكريزوس (الملك المشهور فى تاريخ اليونان بكثرة الأموال حتى إنه لم يزل يضرب به المثل عند الأوروبيين كما يضرب عندنا بقارون) عندما سأله من أسعد الناس، فقال له عن سواه فاستاء منه، فقال له صولون أن الإنسان لا يعد سعيداً إلا متى

المشنة السادسة

هو أيضاً قال : ليس الأُمى بمتهيب من الإثم. ولا العامى بذى فضل. ولا الخجول بمتعلم. ولا الغضوب بمعلم. ولا كل من يكثر من التجارة بحكيم. (وقال أيضاً) فى الأماكن التى ليس فيها رجال إجتهد أن تكون رجالاً.

هو أيضاً قال: أى هليل الشيخ صاحب المشنة السابقة واللاحقة.

ليس الأُمى بمتهيب من الأثم: لجهله الأوامر والنواهي الواردة فى التوراة، فهو يخطئ دون أن يعرف ويقترب الأثم دون أن يشعر أنه يآثم.

ولا العامى بذى فضل: لأنه لو كان ذا فضل، لما كان عامياً استناداً على ما ورد فى المشنة السابقة بخصوص العلم والتعليم.

ولا الخجول بمتعلم: لأنه يحجم عن السؤال خجلاً فتقوته الفوائد التى يمكنه أن يستفيد منها فيما لو تجاسر على سؤال أستاذه عن كل ما أشكل عليه فهمه من الدروس التى يحضرها عليه.

ولا الغضوب بمعلم: لأن الأستاذ يجب أن يكون حليماً واسع الصدر طويل الصبر فالأستاذ الغضوب الحاد الطبع لا يستطيع صبراً على إعادة الشروح والتفاصيل على من لم يفهم درسه من الطلبة، والطلبة أنفسهم إذا أنسوا من أستاذهم الحدة وسرعة الغضب أحجموا عن سؤاله عما يكون قد أشكل عليهم من أقواله خوفاً من التعرض لغضبه.

ولا كل من يكثر من التجارة بحكيم: لأن أشغاله الكثيرة تصرفه عن الدرس والمطالعة اللذين ينوران الذهن ويثقفان العقل فيؤهلان الإنسان لنوال الحكمة.

وقال أيضاً: هاتين اللفظتين لم تردا فى الاصل العبرانى، وقد اثبتناهما فى الترجمة بين قوسين لأننا رأينا ضرورة وضعهما لربط ما سيبنى بعدهما من الكلام بما تقدمهما.

فى الأماكن التى ليس فيها رجال: إما لقلة الكفاءة أو لقلة الهمة. اجتهد ان تكون رجلاً: أى أقدم على أخذ المسئولية على عاتقك، إذا رأيت من نفسك المقدرة على العمل، ولا تحجم كما أحجم غيرك فتؤخر الرجال الآخرون، وإن كانوا بحسب السن والرتبة الاجتماعية ممن ينتظر منهم الأقدام على ما ترى ضرورة عمله، لا يجوز أن يكون عذراً لتأخير ذوى الهمم والمقدرة والكفاءة، وبمثل هذه المبادئ توصل هليل إلى الرياسة والإمامة رغماً عن غربته وفقره، فقد كان مقداماً جريئاً شديد الإرادة، وفى الوقت ذاته حليماً واسع الصدر (راجع ملخص تاريخه فى المقدمة).

المشنة السابعة

هو أيضاً رأى جمجمة طافية على وجه الماء. فقال لها قد عوموك لانك عومت. وسوف يعوم من عومك.

أى أن هليل الشيخ، رأى رأس قتيل فتأثر من منظرها فقال ما قال. أما معنى هذه المشنة فظاهر لا يحتاج لإطالة الشرح فقد أراد هليل أن يقول: إن المصائب تأتى كفارة للذنوب، وأن وعاقبة الظلم القصاص، وأن جزاء العمل من جنس العمل.

ولكن بعض الشراح خبطوا في هذه المشنة الواضحة خبط عشواء، وحاولوا أن يستخرجوا من بين ألفاظها الصريحة المعاني الكثيرة فزاغوا عن جادة الصواب بمراحل إلى أن توصلوا للقول، بأن هليل الشيخ هو نفس موسى بن عمران وأن الجمجمة المخاطبة هنا هي جمجمة فرعون!

ولست أدري، على من ألقى تبعة هذا الخلط الغريب والجنون الفادح، هل على ربينودافيد هناجيد، الذي نسبت له هذه الشروح، أم على النساخ الذين تناقلوها كتابه، أم على الخواجة حنان، الذي طبعه، أم على ذلك الأستاذ الذي صادق على تلك الطبعة بمقدمته الطنانة الرنانة المثبوتة في صدر الكتاب بعد الألقاب الفخيمة والنعوت الطويلة العريضة التي أسندها لنفسه^(١).

المشنة الثامنة

وقال أيضاً: مكثّر اللحم يكثّر الديدان. مكثّر المال يكثّر الهواجس. مكثّر النساء يكثّر السحر. مكثّر الجوارى يكثّر الزنى. مكثّر العبيد يكثّر النهب. مكثّر الدرس في الناموس يكثّر إطالة عمره. مكثّر التردد على دور العلم يكثّر حكمة. مكثّر المشورة يكثّر السداد. مكثّر الاحسان يكثّر السلام. (وقال أيضاً) من اكتسب الاسم الطيب فقد اكتسب لنفسه. اكتسب الناموس. اكتسب نجاته في العالم الآتى:

(١) يبدو من هذا التعليق أنه كانت هناك ترجمة عربية سابقة على هذه الترجمة بشروح وتفسير غير تلك الواردة في هذه الترجمة، ولم تكن محل تقدير من شعون مويال. (المراجع).

مكثّر اللحم يكثّر الديدان: أى أن الذى يزداد سمّة تكثّر ديدانه بعد الوفاة. ومقصود هليل من هذه العبارة تزهد الناس فى الإفراط فى الناق فى المأكّل والمشرب.

مكثّر المال يكثّر الهواجس: إذ تكثّر مشاكله وقضاياه بكثرة أشغاله وعلاقته كما لا يخفى.

مكثّر النساء يكثّر السحر: يقصد هنا تعدد الزوجات، لأنه كان يجوز لهلاً لكل إسرائيلى أن يتخذ من النساء ما أجازّه القرآن للمسلمين^(١)، لكن قام بعض الأئمة ووضعوا لذلك حدّاً لم يتبعه عموم الأمة، لأنه يوجد إلى الآن أماكن عديدة لم يزل يجوز لمن أراد من الإسرائيليين فيها أن يتزوج باثنتين أو ثلاث أو أربع. أما المقصود من هذه العبارة فظاهر لا يحتاج إلى إيضاح.

مكثّر الجوارى يكثّر الزنى: لأن ذلّ العبودية يصغر النفس ويضعف عزة النفس التى تصون العرض عن الاستسلام للشهوات البهيمية.

مكثّر العبيد يكثّر النهب: لأنهم يستعزون بقوة سيدهم وسطوته فيسيبسون لجهلهم أموال الضعفاء والمساكين.

مكثّر الدرس فى الناموس يكثّر فى إطالة عمره: تحتل هذه العبارة تفسيرين الأول وهو الطبيعى المعقول، أن العالم ينال من الملاذ الأدبية

(١) المترجم يقر هنا بتأثير الشريعة الإسلامية على الشريعة اليهودية فى المجتمعات الإسلامية فى مجال الزواج والطلاق وسائر الأحوال الشخصية. وكان أول من أباح تعدد الزوجات لليهود هو ربي موسى بن ميمون وحددها بأربعة، بينما نجد أن ربي جرشوم الذى كان يعيش بين المسيحيين فى أوروبا رفض التعدد رفضاً قاطعاً مجازاة للواقع المسيحى (المراجع).

والخبرة بواسطة علمه ما لا يناله الجاهل، فكأنه أضاف إلى عمره أعماراً ، نهيك عن أنه قد يخلف بعده آثاراً تحفظ اسمه أجيالاً أما التفسير الثاني ، فهو ديني ، وخلاصته أن صاحب المشنى يعد مزاولة درس الناموس بطول العمر مكافأة لهم ، كما وعدت التوراة بنفس المكافأة لمكرم أبيه وأمه.

مكثر التردد على العلم يكثر حكمة: لان المزاولة وتكرار البحث توسع دائرة الإدراك ، كما لا يخفى.

مكثر المشورة يكثر السداد: فالذي يشير على الغير ، لا يعطى رأياً قبل طویل التفكير والتأمل فتربى فيه ملكة قوية تقر به من السداد ، والذي يستشير تتوفر لديه الآراء الكثيرة فيحيط بكل أمر من كل وجوهه فيرى فيه ما لا يراه من يقتصر على خبرته ويعول على إدراكه ، مهما كان ذلك الإدراك سامياً.

مكثر الإحسان يكثر السلام: لأن الإحسان بطبعه يقرب المحسن من المحسن إليه ، ويعرف الغنى بالفقر ومصائبه واحتياجاته ، فيرق قلبه ويزيل شيئاً من عجرفته ، ولأنه يلفظ شيئاً كثيراً من الحزازات التي يوجد بها الحسد في قلب الفقير المعدم نحو الغنى المتنعم.

ومن جهة أخرى ، فالحاجة هي على الغالب أم أسباب الخصام في بيوت الفقراء ، فمتى تلطفت هذه الحاجة بالإحسان زال سبب الخصام وساد السلام.

المشنة التاسعة

ربان يوحنا بن زكاي. استلم من هليل وشماي. والمأثور عنه. إذا أنت درست الناموس كثيراً ، فلا تنسب الفضل في ذلك لنفسك ، لأنك لهذا خلقت.

ربان يوحنا بن زكاي: هو عاشر المستلمين من فرقة التنايم .

استلم من هليل وشماي: هو لم يستلم الامامة مباشرة ولكنه وجد معاصراً لشمعون الأول ولجمالائيل الأول وشمعون الثاني . ولما قتل طيطوس هذا الإمام فرربان يوحنا بن زكاي إلى مدينة بينا حيث أسس مدرستها الشهيرة ، واعترف به إماماً لأنه من تلامذة هليل وشماي مع الأئمة الثلاثة الذين سبقوه.

والمأثور عنه: أي أهم الأقوال التي كان يرددها.

إذا أنت درست الناموس كثيراً: يمكن ترجمة العبارة هكذا أيضاً "إذا برعت في الناموس"

لا تنسب الفضل في ذلك لنفسك: أراد ربان يوحنا أن يقول لطالب العلم ، إذا أنت نلت من العلم حظاً وافراً ، فلا تكتف بما نلت وتلتحف بالكبر وتكف عن مزاولة الدرس والتدريس ، لأنك "لهذا خلقت" ، أي أنك أيها الطالب ، لم تخلق إلا لدرس الناموس وحفظه ولا يخفى أن الدرس هو في اعتبار التلموديين كالعبادة وتقديم الضحايا والقرايين.

المشنة العاشرة

كان لربى يوحنا بن زكاي خمسة تلامذة. وهم ربى اليعيزر بن هورقانس وربى يهوشوع بن حنانيا. وربى يوسى الكاهن. وربى شمعون بن نتائيل. وربى العازار بن عاراخ. وقد كان يوصفهم هكذا : ربى اليعيزر بن هورقانس صهرىج مكلس لا يرشح قطرة ، وربى يهوشوع بن حنانيا طوبى لمن ولدته ، وربى يوسى الكاهن ورع ، وربى شمعون بن نتائيل خائف الخطيئة ، وربى العازار بن عاراخ كالنبع الفائر.

كان لربى يوحنا أكثر ممن ذكر فى هذه المشنة من التلامذة والمريدين ، وإنما المذكورون هنا هم نوابغهم والمشنة واضحة لا تحتاج للشرح.

المشنة الحادية عشر

وقد كان يقول : لو كان علماء إسرائيل فى كفة ميزان. وكان ربى اليعيزير ابن هورقانس فى الكفة الأخرى لرجحت كفته.

والمقصود الاطراء بغزارة علم ربى اليعيزير ، الذى سبق ووصفه بالصهرىج المكلس لقوة حافظته ، حتى أنه كان لا ينسى كلمة ، كما أن الصهرىج المحكم التكليس لا ينضح قطرة . والروايات عن ذاكرة هذا العالم كثيرة فى التلمود.

المشنة الثانية عشر

قال أبا شاوول نقلا عنه : لو كان كل علماء إسرائيل فى كفة ميزان ، وكان ربى اليعيزير أيضاً معهم. وكان ربى العازار بن عاراخ فى الكفة الثانية لرجحت كفته.

المقصود من هذه المشنة إطراء ربى العازار بن عاراخ ، ولا نشك فى صحة هذا الإسناد ، لأن المسند إليه وصف الممدوح هنا بالنبع الفائر فى المشنة العاشرة ، والنبع أغزر من الصهرىج ، كما لا يخفى فضل أجوبته ، كما سترى.

المشنة الثالثة عشر

قال لهم : انهبوا وابحثوا ، ما هى الطريق المثلى التى يجدر بالإنسان التزامها. قال ربى اليعيزير ، هى الكرم. قال ربى يهوشوع "انتخاب" صاحب الطيب ، وقال ربى يوسى "انتخاب" الجار الطيب. قال ربى شمعون : النظر فى العواقب ، قال ربى العازار طيبة القلب. فقال لهم : أفضل جواب ربى العازار على أجوبتكم ، لأن كلامة قد تضمن كلامكم.

القائل هنا ربى يوحنا بن زكاي ، والمعنى ظاهر . وقد أضفنا لفظة "انتخاب" مرتين فى سلك المشنة ، مع عدم وجودها فى الأصل العبرانى تقريراً للمعنى المقصود.

المشنة الرابعة عشر

قال لهم : إنذهبوا وابحثوا ما هي الطريق الرديئة التي يجدر بالإنسان اجتنابها . قال ربي اليعيزير البخل . قال ربي يهوشوع "مصاحبة" صاحب الردى . قال ربي شمعون : عدم وفاء الدين . قال ربي العازار : رداءة القلب . فقال لهم أفضل جواب ربي العازار على أجوبتكم ، لأن كلامه قد تضمن كل كلامكم .

لا بد لأن تكون إحدى المشنتين صحيحة والأخرى مفتعلة ، أو أن السؤال الواحد قد روى على الوجهين المذكورين وأثبت الجامع كليهما خطأ أو تبركا .

وهنا أيضاً أضفنا لفظة (مصاحبة) الغير واردة في الأصل .

المشنة الخامسة عشر

والمأثور عنهم ثلاثة أقوال . قال ربي اليعيزير : لتكن كرامة صاحبك عزيزة عليك ككرامتك ولا تكن سريع الغضب . وتب عن خطاياك يوماً قبل يوم وفاتك ، واصطلي بنور الأئمة وتجنب نارهم لئلا تكويك ، لأن عضتهم كعضة الثعلب ، وقرصتهم كقرصة العقرب . وكلامهم كجمار النار .

والمأثور عنهم : الضمير هنا عائد إلى تلامذة ربي يوحنا بن زكاي والمشنة هنا مختصة بأقوال أحدهم .

ربي اليعيزير : وستأتينا في المتون الآتية الثلاث ، الحكم المأثورة عن كل من رفاقه على حدة .

ثلاثة أقوال : أي ثلاث حكم .

قال ربي اليعيزير : هو اليعيزير بن هوفاتس .

لتكن كرامة صاحبك عزيزة عليك ككرامتك ولا تكن سريع الغضب : هذه هي الحكمة الأولى ، والمقصود منها التحذير من الاستهانة بكرامة الزملاء وعدم الاندفاع للغضب أثناء مجادلتهم ومعاشرتهم . وتب عن خطاياك يوماً قبل يوم وفاتك : أي متى علمت يوم أجلك ، فارجئ توبتك إلى اليوم الذي يسبقه ، وبما أنك تجهل ذلك اليوم فعليك بالتوبة والاستغفار في كل يوم معتبراً اليوم الذي أنت فيه هو اليوم السابق للوفاة ، وهذه هي الحكمة الثانية .

واصطلي بنور الأئمة الخ : أي استرشد برأيهم واهتد بأحكامهم ، وفي هذه الحكمة الثالثة من الغلو والإغراق وحب الأثرة والاستبداد مانزه عنه الأمام ، فلا بد أن يكون النساخ قد أضافوا هذه الإضافة التي لا تلائم أخلاق الإمام قائلها .

المشنة السادسة عشر

ربي يهوشوع قال : الحسد والاستسلام لغواية الشيطان ومعاداة بني البشر تخرج الإنسان من العالم .

ربي يهوشوع قال : هو يهوشوع بن حنانيا .

الحسد ، ويمكن ترجمة اللفظة بالطمع ، ومعناها الحرفي "رداءة العين" والاستسلام لغواية الشيطان : لم يذكر في الأصل ، سوى لفظين : "يصير هاراع" ، ومعناها الغاوى الردى .

وعداوة بنى البشر : سواء إن كنت أنت المعادى لهم أو هم المعادون لك.

تخرج الإنسان من العالم: أى تفرزه عنه الناس وتحرمه من معاشرتهم ، أو تخرجه فعلاً بالموت ، لأن الحسد يقتل صاحبه كما تقتله العداوة الكامنة والاستسلام للشهوات والإفراط فى كل شيء ، عملاً بوسوسة الشيطان التى ينسب إليها الدين ، كل الموبقات والمخالفات التى يدفع ضعف الطبيعة البشرية الإنسان إلى ارتكابها.

المشنة السابعة عشر

قال ربى يوسى : ليكن مال صاحبك عزيز عليك ، كما لك. واستعد لدرس الناموس لأنك لا تناله بالارث. ولتكن كل أعمالك لوجه الله.

قال ربى يوسى: هو يوسى الكاهن.

ليكن مال صاحبك الخ: أى احترم ما للغير ، كما تحترم ما هو لك.

واستعد لدرس الناموس الخ : أى عليك بالدرس والمثابرة والاجتهاد لننال حظك من العلم، الذى لا ينال بالارث والبركة فقط ، بل بالتعب وإجهاد النفس.

ولتكن كل أعمالك لوجه الله: أى لا تنظر فى عملك ، مصالحك الشخصية فقط.

المشنة الثامنة عشر

قال ربى شمعون: احترس بقراءة "شيمع" ^(١) وبالصلاة ، فمتى صليت ، فلا تكونن صلاتك مرسومة بل ضمنها طلب الرحمة وتذلل أمام المقام الأكبر ولا تكونن رديئاً متى خلوت بنفسك.

ربى شمعون: هو شمعون بن نتائيل.

احترس بقراءة شيمع وبالصلاة: "شيمع" هى أهم أركان صلاتى الصباح والغروب والصلوات ثلاث ، وهى: صلاة الصبح وصلاة الأصيل وصلاة الغروب.

ومتى صليت الخ: أى لا يجب أن تكتفى بالصلاة الرسمية المدونة فى الكتب ، بل ضمنها ما يحضرك من عبارات الاستغفار والتندم على مساويك أمام مقام الأله.

ولا تكونن رديئاً متى خلوت بنفسك: أى ، كن فى نفس الجودة التى تتظاهر بها أمام الناس.

المشنة التاسعة عشر

ربى العازاى قال. اجتهد فى تحصيل العلم. وتعلم ما تجاوب به الملحد. واعلم أمام من أنت عامل ، ومن هو صاحب عملك ، الذى سيفيك اجر شغلك.

ربى العازار: هو العازار ابن عاراخ ، خامس تلامذة ربان يوحنا وأنجبهم كما مر بك.

(١) شيمع : هى الكلمة الأولى من صلاة التوحيد فى اليهودية، وتبدأ بالعبارة: "إسمع يا إسرائيل، إلهنا إله واحد". (المراجع).

اجتهد في تحصيل العلم: ويمكن ترجمة هذا العبارة على هذه الصورة: "كن مجتهداً في مطالعة التوراة"، وقد قصد الإمام من هذه العبارة إلفات ذهن الطلبة إلى وجوب المطالعة والمراجعة وعدم الاكتفاء بما سمعوه من أفواه أستاذتهم أثناء تلقيهم الدروس.

وتعلم ما تجاوب به الملحد: أي يجب عليك أن تحفظ في ذاكرتك الأجوبة السديدة لتفحم بها إعتراضات الملحدين، لئلا يباغتك أحدهم بسؤال يتعذر عليك الإجابة عليه فتخجل ويعتريك ريب في عقيدتك، أو على الأقل، يرى ارتباكك بعض السذج فيرتابون بصحة تعاليك.

وقد ورد في أصل المتن لفظة "أبيقوروس"، لأن العلماء كانوا في ذلك العصر يعتبرون فلسفة أبيقوروس اليوناني، فلسفة كفر وإلحاد، ولهذا اعتبرنا نية القائل، فترجمنا اللفظ بالملحد، كما ترى.

واعلم أمام من انت عامل: يعتبر هذا الإمام أن كل عمل يأتيه كل من بنى البشر، كأنه جار في حضرة الإله، ولهذا هو ينبه الناس إلى أن يتذكروا ذلك، لتردعهم هيبة الإله عن ارتكاب مالا يرضيه.

ومن هو صاحب عملك: الذي خلقتك وأنط بك إطاعة أوامره، وتجنب نواهيه على ما قاله لك من جاءك من قبله من الأنبياء.

الذي سيفيك أجر شغلك: فيجاز بك بما جنته يداك إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً.

المشنة العشرون

ربى طرفون قال: اليوم قصير. والعمل كثير. والفعلة كسالى. والأجر عظيم. وصاحب البيت مُلِح.

ربى طرفون: هو تلميذ من تلامذة ربي يوحنا بن زكاي، أو عالم من معاصريه، وله ذكر كبير في التلمود ويعد في مصاف أساطينه.

اليوم قصير: أشار بهذا إلى عمر الإنسان.

والعمل كثير: أي أن الوصايا التي كلفه الناموس أن يقوم بها كالعمل والجهد والتعلم والتعليم والصلاة والزكاة الخ.

والفعلة كسالى: إشارة إلى ميل الناس إلى الكسل في أداء الواجبات المفروضة عليها.

والأجر عظيم: أي أن الأجر المخبوء للقائمين بالوصايا الربانية في العالم الآتي، هو فوق ما تعطيه أرباب الأعمال في هذا العالم.

وصاحب البيت: عنى بذلك الإله.

مُلِح: أي يطالب بإتمام ما فرضه.

ولا يخفى أن هذه المشنة قد كتبت على شكل الحكم اللغزية.

المشنة الحادية والعشرون

هو أيضاً قال: لست المكلف بإنجاز العمل، ولست حراً بالإضراب عنه، إذا أكثر من درس الناموس، فستعطى أجراً كثيراً. وآمين هو. رب عملك الذي سيقيك أجر شغلك. واعلم أن وفاء أجور الصالحين "سيكون" في العالم الآتي.

هو أيضاً قال: إشارة إلى ربى طرفون الذى نسبت إليه المشنة السابقة.

لست المكلف بانجاز العمل: أى إذا رأيت كثرة الواجبات التى يلقيها الناموس على عتق كل مؤمن ، فلا تثبطن همتك عن الشروع بالقيام بها ، لأنك لست المكلف بإنجازها كلها، بل عليك أن تتمم ما وصل إليه جهدك وما أفسح لك الأجل وأتيحت لك الظروف للقيام به من تلك الواجبات.

ولست حرّاب الإضراب عنه: أى يجب عليك ان تعمل ما دمت قادرا على العمل لأنك لا تعذر بكثرة ما عليك من الفروض على عدم بذل جهد استطاعتك لمحاولة إتمام ما تتوفى إلى إتمامه.

ولاجل فهم قوة هذه المشنة ، يجب ان نتذكر المباحثة التى دارت فى التلمود عن خلاص النفس ، فقال بعضهم أن الإسرائيلى لا ينجو ولا الأوامر وقال البعض ، أن مثل هذا الإتمام يتعذر على كل الناس لأن بعض تلك الوصايا قد فرضت على أرباب الأملاك كإفراز العشر وسبت الأرض مما يتعلق بالملكية فكيف يتاح إذا القيام بها للفقير الذى لم يسعده الحظ بامتلاك الأرض وفلاحتها وزراعتها ، فقال قوم ومنهم ربى طرفون أن المرء مكلف بما فى وسعه فقط ، وقال آخرون أن روح من لم يتمم تلك الفروض فعلاً لا بد من ان تتقمص وتعود إلى الحياة الدنيا مرة بعد المرة ، إلى ان تتم فى أدوار حياتها الأرضية كل فروض التوراة.

والاعتقاد بتقمص الأرواح ^(١) عقيلة طارئة على الدين الإسرائيلى لم يرد ذكرها صريحاً فى كتب الأئمة وأسفارها ، وإن ورد ما يدل إليها

(١) المترجم هنا لا يقصد "تقمص الأرواح" ، بل "تناسخ الأرواح". (المراجع).

بعض الدلالة فى حكاية شلول والعرافة من سفر صموئيل . ونحن نرى أن أئمة التلمود البابلى قد اقتبس هذا الاعتقاد من البابليين.

إذا أكثر من درس الناموس: ويمكن ترجمة هذه العبارة " إذا طالعت التوراة كثيراً" والترجمة التى أثبتناها أقرب إلى روح المشنة.

فستعطى أجراً كثيراً: وقد ذكر الأجر دون أن يقرنه بشرط البراعة والتفوق ، لأنه يعد الدارس بالأجر على قدر اجتهاده ، لا على قدر عطيته بالأجر. إذا بقدر التعب لا يقدر التحصيل ، فالذكى الذى يتعلم بسهولة دون تعب فيتقاعد عن مزاولة الدرس ليزداد علماً وتفقهاً سيكون ثوابه أقل من ثواب المجتهد البطيء الفهم وإن كان لم يفتح عليه كما فتح على الذكى.

وأمين هو: يعنى الله.

رب عملك: أى الذى فرض عليك الدرس والمطالعة والتعليم وباقى الفروض المدونة فى التوراة.

الذى سيقيك أجر شغلك: ويعطيك على قدر نيتك وقدر ما ستقاومه من الموانع التى تعترض أعمالك فى حياتك الدنيا من فقر واضطهاد ومرض وما أشبه.

واعلم بأن وفاء أجور الصالحين: أى أن الثواب الحقيقى.

سيكون: هذه اللفظة لم ترد فى الأصل العبرانى ، فأثبتناها ضمن قوسين لتسهيل الترجمة.

فى العالم الآتى: والترجمة الحرفية " فى العتيد مجيئه".

الفصل الثالث

يستغرب المطلع متى وقف على الشروح التي علقناها على المتون التي يتألف منها هذا الفصل ، أو يلتبس عليه أمر تواريخها ، بعد أن طالع في الفصلين السابقين المتون المنسوبة لآلئة قد وجدوا بعد الزمن الذي عاش فيه عقابيا بن مهالا لثيل الذي استهل مُرتب المشنة فصلنا هذا بالمتن المنسوب إليه ، وأردفها بمتون أخرى منسوبة لعلماء آخرين توفوا قبل إنشاء مدرسة بينه.

ولرفع هذا الالتباس نقول إن مُرتب المشنة لم يراع في ترتيبها التاريخ دائما ، بل راعى أيضا الأغراض التي ترمى إليها.

فأثبت في الفصل الأول ، ما يبحث عن وظائف القضية والمعلمين.

وأثبت في الثاني ، ما يبحث عن كيفية اجتناب الخطيئة.

وخصص هذا الفصل بالمتون التي ترشد المؤمنين إلى طرق اجتناب إغصاب الخالق والأضرار بالغير ، كالاftكار بالموت والعقاب ويوم الدين وواجبات الإنسان نحو نفسه.

فرتب متون الفصل بحسب زمن العلماء الذين صدرت عنهم ، فذكر عقابيا بن مهالا لثيل أولا ، ثم أردفه يحنينا وزير الحبر الأعظم ، ثم يحنابنا بن تيراديوان اللذين قتلوا مع من قتلهم القيصر أدريانوس الروماني ، على ما سيجي .

وقبل الشروع بترجمة وشرح متون هذا الفصل ، رأينا أن نفرّد بحثًا مخصوصًا عن الكتاب المنسوب إلى صاحب المتن الرابع لأهميته وعلاقته العظمى بتاريخ الفلسفة الإسرائيلية واعتقاد المؤمنين بقدسية التلمود من اليهود .

كتاب الزهر

يتألف هذا الكتاب من جملة مجلدات ضخمة منسوبة لرَبِي شمعون ابن يوحنا آخر كبار "التناثيم". الذين وجدوا في الجليل ، حتى أن الإسرائيليين لم يزالوا إلى عهدنا هذا يقرنون اسمه بالاجلال والتعظيم ، ويعيدون له في كل عام عيداً مخصوصاً يعرف باسم "قيلولت ربِي شمعون" ، ويحجون فيه إلى قبره من أطراف المعمورة.

والقصيدة التي ينشدونها بمدحه أشهر من أن تذكر ، إلا أننا نشير إلى أحد أبياتها ، وهو "نَعْسِيه آدم نثمر بَعَبورينا" ، تقديرًا لمكانة الرجل عند الإسرائيليين ، ومعنى البيت : "أن الله قال : "لنصنع الإنسان إكرامًا لك" يا ربِي شمعون.

وقد كان ربِي شمعون في عصره نافذ الكلمة واسع الجاه ، حتى عند الرومانيين أنفسهم ، بدليل أنه سافر مرة إلى رومية وسعى لدى القيصر حتى أبطل أحد الأوامر التي كان قد أصدرها إلى عميد الاحتلال الروماني لمساسه بالدين.

ومما يروى عنه ، أنه كان مرة جالساً مع زميلين له ، هما ربِي يهوذا وربِي يوسيه وكان بالقرب منهم أحد الخونة الذين لا تخلوا منهم أمة لسوء الحظ ، واسمه يهوذا بن جيريم.

فطفق ربِي يهوذا يمدح بالمحتلين ويذكر حسناتهم فقال: "يا لفضل هذه الأمة التي بنت لنا الجسور "الكباري" ورتبت الأسواق وشيدت الحمامات".

فأطرق ربِي يوسيه ولم يجر جواباً.

أما ربِي شمعون ، فاحتج على مديح زميله بقوله: إن المحتلين لم يعملوا إلا لصالح أنفسهم فرتبوا الأسواق لتتبرج فيها زوانيتهم وشيدوا الحمامات ليتنعموا بها وبنوا الجسور لجباية مكوسها.

فبلغ ابن جيريم هذه الحادثة إلى عميد الاحتلال الروماني ، فعرضها هذا على مجلسه فقرر المجلس رفع رتبة ربِي يهوذا مكافأة له على مديحه ونفى ربِي يوسى لسكوته وإعدام ربِي شمعون لوطنيته وعدائه للرومان.

ففر إلى قرية ميرون واختفى في مغارتها المشهورة جملة سنوات ، وهي المغارة التي دفن فيها فيما بعد ، والتي يحج إليها الإسرائيليون كما أسلفنا.

ويقال إن تأليفه الزهر كان أثناء اختفائه هذا.

أما "الزهر" ومعناه "النور" فهو مجموعة شروح وتعليق على أسفار موسى الخمسة يتخللها زوائد كثيرة أطلق على مجموعها إسم "سود" ، أي "سر" وسميت (هَقْبَلَه) ، أي "التقاليد الوراثة" وهي عبارة عن مزيج غريب من الأفكار الخيالية الوهمية بشأن اللاهوت والروح وما وراء القبر وهي تجانس أراء الكتبة ، الذين يجمعهم عند النصراني إسم (ميستيك) ، أي الاسراريين ، والتعاليم التي أثرت على الائمة المعروفين في الإسلام بالصوفية.

وقد اجتمع المتنورون من علماء بني إسرائيل على إنكار الأفكار الدخيلة التي أضيفت على كتاب الزهر. ولا عبرة برأى المتطفلين على

العلم الذين أغشى التعصب على بصائرهم وختم على قلوبهم وعقولهم كالذين قاومونا واضطهدونا عند شرونا في طبع كتابنا هذا^(١).

ولكن اسم الزوهر لم يرد في التلمود قط ، مع أن صاحبه كما أسلفنا من كبار (التناثيم) الذين أنجبهم الجليل.

كما أنه لم يكن معروفا في زمن الفيلسوف الكبير الأستاذ موسى بن ميمون المشهور بـ "هرامبام". وبناء على هذا ، أنكر الكثيرون من المحققين الثقات صحة نسبته إلى أبي شمعون بن بوحاي ، وجزموا بأنه تأليف ربي موسى ديلون ، أحد كبار علماء النزالة الإسرائيلية في كاستيليا (أسبانيا) ، لأنه هو الذي نشره وأذاعه زاعماً بأنه ورد إليه من ربي موسى بن نحمان المعروف بهارمبان ، وهو ثاني العلماء المشهورين "بالبوسقيم" ، أي "أرباب الفتوى" وأن هذا العالم قد عثر على تلك النسخة في مدينة صفد.

وقد أسعدنا الحظ ، قبل نشر هذا الفصل ، بالاجتماع بصديقنا الألعى العلامة المدقق الفاضل ربي منديل كوهين ، فعرضنا عليه ما كتبناه ، وذكرنا له ميلنا إلى ترجيح رأى المحققين العصريين ، فأنكر علينا ميلنا إلى هذا الاعتقاد ، فعذرنا لأنه إنما ينظر إلى هذا الكتاب نظرة الرئيس الديني الثابت العقيدة ، على حين أننا نحن ننظر إليه نظرة المؤرخ الخالي الغرض.

على أننا نرى من الواجب الذي يفرضه علينا منهجنا ومبدأنا أن نذكر هنا ما قاله صديقنا العلامة تفنيداً لبراهين منكري نسبة الزوهر من المحققين.

(١) من الملاحظ أن المترجم ، من فرط ما لاقه من معارضة لنشر هذه الترجمة ، لا يكف كلما وافته الفرصة ، عن الإشارة إلى معارضية وما لاقه من مقاومة واضطهاد (المراجع).

فقال: إنه قد ورد في التلمود في (مسيخيت شبّات) ، أن ربي شمعون إزداد علماً وتفقهها بعد ظهوره من الاختفاء ، والمقصود من هذه الزيادة شروحه على أسفار موسى.

وقال أيضاً: إن الزوهر قد سمي بهذا الاسم ، لأنه يبتدىء بهذه العبارة : (فيهمسكليم يزهيرو كزوهر هرقيع) التي ترجمتها (سيستير أرباب التفكير كنور السماء) ، فسمى الكتاب إذاً جرياً على عادة المؤلفين الأقدمين في تسمية الكتب ، كقولهم في تسمية "سفر التكوين" (سفر في البدء) لأنه يستهل بهذه اللفظة وتسمية "سفر تشية الاشتراع" (سفر دياريم) ، لأنه يبتدىء بلفظة (فيثليه هدياريم) وترجمته (هذه هي الأقوال).

وقال أيضاً: إن الزوهر كان ضائعاً كغيره من الكتب المنوه عنها في التوراة والتلمود ، فلم يعثر عليه ، إلا بعد زمن الأستاذ موسى بن ميمون ، الذي لم يكن يعرفه ، ولهذا لم يذكره هذا الأستاذ في مؤلفاته. أما رأى ربي منديل الخصوصي ، فهو أن الزوهر يتألف من ثلاثة أقسام قد أدمجت في بعضها:

القسم الأول : عبارة عن الأقوال التي تبتدىء هكذا : (قال ربي شمعون) ، فهذه في اعتقاده صحيحة لا مرأى فيها.

القسم الثاني : هو ما أضافه مريدوه بهذه الأقوال ، وكل منهم مذكور باسمه في الفقرات التي أضافها.

القسم الثالث : ما أدخله موسى ديلون ، ناشر الكتاب.

وقد بسطنا معلوماتنا عن هذا الكتاب ، وآراءنا وآراء غيرنا فيه ، وتركنا الحكم بأرجحيتها لفطنة القارئ اللبيب.

المشنة الأولى

عقابيا بن مهالا لثيل قال : تأمل في ثلاثة أمور. فلا تقع في الخطيئة من أين نشأت. إلى أين تصير ، أمام من أنت مزعم أن تؤدي الحساب على أعمالك. أما منشأك فننظف ننتنه. وأما مصيرك فتراب ورمة ودودة ، وأما محاسبتك فستكون أمام ملك ملوك الملوك الاقدس مبارك هو.

عقابيا بن مهالا لثيل : كان معاصراً لشمعيا وأبطلبون وعاش إلى زمن هليل. الشيخ وكان أشهر علماء زمانه تقوى وزهداً.

والمتن المنسوب إليه لا يحتاج إلى الشرح لبساطته وقد قصد منه قائله تزهيد الناس ليمتنعوا عن الطمع الذي هو أهم الدوافع التي تدفع المرء للضرار بإخوانه.

وقد تصرفنا في الترجمة تصرفاً خفيفاً يؤدي المعنى المقصود وإن اختلفت الألفاظ بعض الاختلاف.

المشنة الثانية

ربي حنانيا وزير الحبر الاعظم قال : صل لأجل سلام الحكومة ، لأنه لولا مهابة الحكومة لابتلع الرجل أخاه حياً.

ربي حنانيا وزير الحبر الأعظم ، هو أحد العلماء العشرة الذين قتلهم أدريانوس قيصر الرومان بثأر يوسف الصديق ، فهذا القيصر انتخب عشرة من أغزر علماء الإسرائيليين علما وأعظمهم مكانة واستفتاهم عن الجزاء الذي يجب أن يحكم به على من باع أخاه فافتوا بالإعدام ، فقال لهم : لقد باع أبائكم يوسف ولم يقاصصوا على هذه

الجنانية ، فانتخبتم أنتم الاعلم والارشد في ذريتهم لأنفذ فيكم حكم الشرع ، فقبلوا القصاص وقتلوا شر قتلة.

صل لأجل سلام الحكومة. ولم يحصر القائل وصيته بسلام الحكومة الإسرائيلية فقط ، بالرغم من وجود الاحتلال الروماني حينئذ وانحصار التنفيذ بالعمال الرومانيين وكذلك جباية الاموال وتحصيل الاعشار ، فهو يأمر بالطاعة للحاكم ، بقطع النظر عن دينه وجنسيته. وبناء على هذا المبدأ ، قال صاحب الإنجيل الذي جاء بعده : "إعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله".

المشنة الثالثة

ربي حنانيا بن تيراديون قال : إذا اختلى اثنان ، ولم يتذكروا في الناموس فمجلسهما مجلس السفهاء ، كما قيل : "وفي مجلس السفهاء لم يجلس". أما إذا اختلى اثنان وتذكرا في الناموس ، فمجد الله يحل بينهما ، كما قيل : "حينئذ تكالم خائفوا الله فأصغى الرب وسمع وكتب أمامه سفر التذكارات لخائفى الله ومحترمي اسمه". هذا شاهد على مذاكرة الاثنين ، فمن أين لنا أن الواحد الفرد إذا جلس للاشتغال في (درس) الناموس سيعين الله له أجراً (فالشاهد هو فيما) قيل يجلس منفرداً وبسكت لأنه ارتفع فوق نفسه.

ربي حنانيا بن تيراديون : هو عالم من أكابر علماء بنى إسرائيل ، لأنه كان في جملة قتلى أدريانوس العشرة الذين مر بك ذكرهم ، وقد اشتهر هذا العالم بحسن الخط ، لأنه كتب من التوراة بخط يده على دروج من الرق نسخاً عديدة ، ولما قبل بحكم أدريانوس أمر بحرقه ملفوفاً بأحد هاتيك الأدراج وحرق.

إذا اختلى اثنان: ويمكن ترجمة العبارة " إذا جلس إثنان "

ولم يتذاكرا في الناموس: ويمكن ترجمتها أيضاً (ولم يكن بينهما كلام التوراة)

فمجلسهما مجلس السفهاء: لأنه يعتبر عرم اشتغالهما في الناموس سفهاً ، لأنهما قد خالفاً منطوق الوصية الواردة في التوراة بوجوب البحث فيها أثناء الليل وأطراف النهار وهذا حكم قاس بلا مراعاة.

كما قيل : في الزمور الأول من مزامير داود

وفى مجلس المستهزئين لم يجلس: كأنه يريد أن يقول ، إن المعنى الذى نواه داود من مقاله ، هو أن الرجل المستقيم الذى وصفه فيما بعد بمداومة البحث فى ناموس الرب ، هو من لا يجلس مع من لا يجاريه فى المذاكرة فى الناموس.

فمجد الله يحل بينهما: وقد ترجمنا لفظة (شيخينه) بمجد الله ، تقريباً لمعنى المشنة من ذهن المطالع ، على أن لفظة (شيخينه) هى لفظة مبهمة تنطوى تحتها المعانى الكثيرة وأقربها للذهن ، هو معنى الوحي أو التأثير الروحاني الرباني على العقول والمدارك البشرية.

كما قيل. فى سفر ملاخى العدد ١٦^(١) الإصحاح الثالث.

حينئذ تكالم الخ. هذا الاستشهاد واضح جلى ، بخلاف الأخير التابع له المأخوذ من العدد ٢٨ من الإصحاح الثالث من سفر مراثى ارميا.

(١) كلمة العدد يقصد بها الفقرة أو الآية فى الإصحاح . وقد نوهنا إلى ذلك فى بداية الكتاب (المراجع).

المشنة الرابعة

ربى شمعون قال : إذا جلس ثلاثة على طعام ولم يذكروا الناموس فى أثنائه فكأنهم أكلوا من ذبائح الموتى. أما إذا تذاكروا فى الناموس فكأنهم أكلوا من مائدة الرب.

ربى شمعون : هو ربى شمعون بن يوحنا المنسوب إليه كتاب الزوهر.

إذا جلس الخ : من هذه العبارة يتضح مقدار تعلق بنى إسرائيل بدرس التوراة واعتبارهم دوام المذاكرة فى أحكامها ووصاياها ونواهيها وفلسفتها من أهم واجباتهم ، حتى أثناء الطعام وقياماً بهذا الفرض قد رتب الأئمة صلوات مخصوصة يتلوها الأكل قبل الطعام وبعده سنجدها فى "مسيخيت براخوت".

فكأنهم أكلوا من ذبائح الموتى : المقصود هنا ذبائح عبدة الأوثان.

فكأنهم يأكلون من مائدة الرب : أى لأن طعامهم يكون طاهراً مقدساً.

المشنة الخامسة

ربى حنانيا بن حخيناي قال : الذى يحيى لياليه ساهراً والذى يسافر منفرداً والذى يفضى قلبه للأفكار الفارغة فكأنه ينتحر عمداً.

ربى حنانيا بن حخيناي قال: هو أحد نجباء مدرسة ربى عقيبا الشهيرة وأحد علماء مدينة بينى وقد قيل إنه كان فى جملة قتلى أدريانوس العشرة ، ولكن هذا القول يفتقر إلى الإثبات.

الذى يحيى لياليه ساهراً. ويمكن ترجمة الجملة هكذا : (والذى يستيقظ فى الليل) ، وعلى كل ، فصاحب المشنة قد أراد ترجيح رأى أحد المتجادلين الذين وردت مجادلتهم فى "مسيخيت عيروبيم" ، إذ قال أحدهما ، وهو ربي يهوذا ، إن الليل لم يخلق سوى للدرس ، وقال الآخر وهو ربي شمعون بن لاقيش ، إنه لم يخلق سوى للنوم إراحة للعقل ، ليتمكن الإنسان من فهم ما سيدرسه فى الغد.

والذى يسافر منفرداً : أى يرحل من بلد لآخر لوحدة ، عوضاً عن السير مع القوافل ، التى كان المسافرون ينضمون إليها ، لقلّة الأمن فى ذلك الزمن.

والذى يفضى قلبه : أى يصرف فكره.

للأفكار الفارغة : أى الافتكار فى الشئون التى لا علاقة لها بطلب الرزق ولا بدرس العلم ، التى كلفت التوراة كل إسرائيلى بمزاولة درسه عند خلوه من الأعمال الدنيوية ووجوده فى حالة صحية لا تمنعه من إتمام هذا الفرض.

فكانه ينتحر عمدًا : أثبتنا هذه الترجمة فى المتن لملائمتها للمعنى المنطقى الموافق للحقائق الواقعية المحسوسة ، لأن السهر ، كما لا يخفى ، يضنى الجسم ويجلب الأمراض ، والسفر فى الطرقات غير المأمونة سىء المغبة والتفرغ للأفكار الفارغة إسراف فى العمر بلا جدال فالذى يقدم على هذه الأمور كالذى يقدم على الانتحار.

ولكن ، هناك ترجمة أخرى أقرب إلى روح الذين زعموا إن الليل لم يخلق إلا لدرس الناموس ، الذى لا يشتغل فى درسه ليلاً فقد ارتكب ذنباً يجعل خلاصة الأبدى فى خطر . أما الترجمة فهى : (فقد جلب على

نفسه الهلاك) أو هى : (فهو إذا صار مديوناً بنفسه) والاخيرة أقرب لمنطوق الالفاظ.

المشنة السادسة

ربي نحونيا بن هقانا قال. كل من قيل عليه ، حمل الناموس ، يعفى من حمل الحكومة وحمل الواجبات المدنية. وكل من تنحى عن حمل الناموس ، وضع على عاتقه حمل الحكومة وحمل الواجبات المدنية.

ربي نحونيا بن هقانا : هو أحد تلامذة ربان يوحنا بن زكاي ، وقد ورد ذكره فى مؤلفات كثيرة باسم ربي نحونيا الأعظم وإليه ينسب (سِفِر هقانا) ، وهو سفر يحمله متصوفوا الإسرائيليين كل الإجلال ، ويذمه مقاوموا التصوف كل الذم ، وقد نسبوا له مؤلفات أخرى أشهرها كتاب (هَبْهَير) وكتاب (هَبْلِيْئِه) وكلامهما فى التصرف.

كل من قبل عليه : أى كل من رضى لنفسه.

حمل الناموس : أى من اختار الانقطاع لدرسه وتدريسه وتطبيق حركاته وسكناته على أحكامه.

يعفى من حمل الحكومة : أى تسقط عنه المكوس والضرائب ، وقد قال بعض الشراح أن الله يصونه من مظالم الحكام مكافأة له على تفرغه لدرس الناموس.

وحمل الواجبات المدنية : أى الواجبات التى تقضى بها المجاملة بين بنى البشر كتبادل الزيارات ومشاركة الناس فى الأفراح والمآتم إلى غير ذلك ، وقد عرضت ترجمتى هذه وشرحت على حضرة الأستاذ العلامة ربي منديل كوهين ، فلم يعجبه وأرانى ما قاله الأستاذ الأعظم

هارامبام في هذا الصدد ومحصله : (أن الذي يتحمل حمل الناموس يرزق رزقاً واسعاً يغنيه عن مزاولة الأعمال اليدوية والتجارية لتحصيل القوت). فقال لي انه يفهم لفظتي (ديرخ إيريس) الواردتين في الأصل العبراني ، ومعناهما اللفظي (طريق الأرض)، الاشتغال بالصناعة والتجارة ، ولكنني فضلت رأيي ، سيما وأن المتعارف ، هو استعمال هاتين اللفظتين بمعنى الأدب والتهديب ، وثبت اعتراضه تاركاً الحكم في الترجيح لذلك المطالع.

أما باقي المشنة فواضح لا يحتاج إلى الشرح.

المشنة السابعة

منسوبة الى ربي حلفتا بن دوسا عميد كفر حنانيا ولم يثبتها لما بينها وبين المشنة الثالثة من الشبه مع بضع تغيير في عدد المختلين وأعداد الاستشهاد . وقال إنه كان واحداً من عشرة تعاهدوا على مزاولة درس الناموس ، برغم الاضطهاد الذي كان يعانيه العلماء حينئذ من الحكام الرومانيين ، فاستشهد بعدد من التوراة ليثبت لهم أن الله يكون مع العشرة ، إذا واطبوا على الدرس فقتل منهم خمسة فجمع إليه الأربعة الباقين وطمأنهم باستشهاد ثان بأن الله سيكون مع الخمسة ، فقتل منهم إثنان فجمع الباقين وطمأنهم بالاستشهاد الثالث ان الله يكون مع الثلاثة ، فقتل واحد منهم ، فقال للآخر لنداوم على الدرس فالله معنا وإن كنا اثنين فقط ، وأورد له استشهاداً على ذلك فقتل هذا الأخير وبقي لوحده فثبت في درسه معللاً نفسه بالاستشهاد الأخير.

المشنة الثامنة

ربي العازار. رجل بارتوتا قال : إعطه من ماله ، لأنك أنت ومالك له وهكذا أورد عن داود . أن الكل منك ومن يدك وهناك.

ربي العازار: هو غير ربي العازار بن عاراخ ، الذي ذكرناه في جملة نجباء تلامذة ربان يوحنا بن زكاي ، لأن هذا هو من تلامذة ربي يهوشوع ومن مريدي ربان جملئيل ، بدليل ما أورده في التلمود نقلاً عن ذيك الأستاذين. وله في "مسخيت تعنيت" حديث طويل مجمله بأنه كان رجلاً كريماً كثير الصدقات يحرم نفسه وذويه لمساعدة المحتاجين فصار جبة الصدقة ينهربون منه ، حتى لا يكلفوه ما فوق طاقته ، فرأى مرة اثنين منهم قد تخللا الجموع ليختفيا عنه فأدركهما وسألهما لمن يجمعان ، فقالا له لتزويج يتيمين ، فأقسم أن يُبدي اليتيمين على ابنته ودفع لهما جهازها ، ولم يبق معه سوى درهم واحد ، فذهب واكتال به قمحاً ووضعته في إحدى زوايا بيت خريته وكان فارغاً ، فجاءت بعده إمراته وأرادت فتح باب ذلك البيت لترى ما الذي أحضره ، فلم تستطع فتحه لان البركة كانت قد طرحت في ذلك القمح فامتلاً منه المخزن فتعجبت وذهبت الى المدرسة التي كان زوجها يدرس فيها لتبشره بما أنعم عليه فأقسم لها أن نصيبها من ذلك القمح لا يزيد عن النصيب الذي سيلحق كلا من فقراء المدينة متى توزع بينهم.

رجل بارتوتا: وهي في الأصل العبراني "إيش بارتوتا" ومعنى "إيش" رجل ، ومعنى بارتوتا ، إسم مدينة من مدن اليهودية القديمة . ويفهم من لفظة إيش متى أضيفت إلى اسم مدينة معنى "سيد تلك

المدينة" أو عميدها أو رئيسها الدينى ، وقد تعنى النسبة فقط، كقولك "إيش مصرًايم" عن المصرى.

إعطه: الضمير هنا عائد لله ، والمقصود منه العطاء والإحسان إلى الفقراء اعتقادًا بان الصدقة عطية لنفس الإله.
من ماله: الضمير عائد هنا أيضًا لله.
لأنك أنت ومالك له: أى أنكما كلا ملكه.

وهكذا ورد عن داود بن يسى وأبو سليمان ملك إسرائيل: أن الكل منك الخ هذا عدد (فقرة) من أعداد كتاب سفر أخبار الأيام.

المشنة التاسعة

ربى شمعون قال: من مشى على طريق وهو يقرأ ، وقاطع قراءته ليقول: ما أجمل هذه الشجرة ، ما أجمل هذا الحقل ، فستحصى عليه مقاطعته هذه ، كما تحصى على المتطوح مخاطرته بنفسه.

ربى شمعون : هو على ما نرجح ربى شمعون بن يوحنا ، صاحب المشنة الرابعة أتباعًا للقاعدة المعلومة لدى التلموديين ، بأن كل قول نسب لربى شمعون بلا تخصيص آخر ، فقائله يكون حتما شمعون بن يوحنا ، إلا أن بعض النساخ قد نسبوا هذه المشنة إلى عالم آخر من "التناثيم" ، يدعى ربى يعقوب ، ومن المستغرب أننى عثرت فى النسخة التى طبعها الخواجة حنان فى مطبعة الخاخام حايم فرج مزراحى فى الإسكندرية والتى تحتوى على شروح منسوبة لربى دافيد

هنا جيد^(١) ، أن المشنة منسوبة فى المتن لربى يعقوب وفى الشرح لربى شمعون.

من مشى على طريق وهو يقرأ : أى من سار فى وسط جماعة ، وهو يلقي عليهم درسًا أو يحادثهم فى أحد المواضيع التى يبحث فيها الناموس.

وقاطع قراءته : أى توقف عن تامة الكلام قبل نهوه.
ليقول إلخ . ولو كان يقرن قوله بالتسبيح.
ما أجمل هذا الحقل : ويجوز أن نترجم أيضًا: ما أجمل هذه الفلاحة ، أو هذا الثلم أو هذا النير ، وكلها صحيحة.

فستحصى عليه إلخ. أى فىكون قد ارتكب جريمة تعادل جريمة من طوح بنفسه إلى المهالك عمدًا على غير فائدة.

ولا يسعنا هنا إلا الاعتراض على صرامة هذا الحكم.

(١) المترجم يشير، من حين لآخر، لوجود ترجمات أخرى مقرونة بشروح منسوبة لعلماء يهود قدامى، مثل تلك المنسوبة لربى دافيد هنا جيد حفيد موسى بن ميمون، والمطبوعة فى الإسكندرية بمطبعة مزراحى، وقد كتبت بالعربية ولكن بحروف عبرية، ولذا فهذه الترجمة تعتبر الترجمة الأولى للتلمود بالعربية الخالصة (المراجع).

المشنة العاشرة

ربى دوستای بن ینای، نقلا عن ربى مثير، قال : من نسى قولاً واحداً من درسه، فقد اعتبره الناموس، كمن خاطر بحياته، ولا يزول إثمه، حتى يراجع درسه ويخرج مانسيه من فؤاده.

ربى دوستای بن ینای : هو غير ربى دوستای بن ینای، الذى كان فى أيام الهيكل الأول وأرسل أمر شلمنصر لتعليم الشعب الكوتى الدين الإسرائيلى. والشعب الكوتى هو مزيج من أقوام مختلفين أحضرهم سنحريب لاستعمار بلاد إسرائيل بعد ما أجلى العشرة أسباط منها. أما دوستای هذا، فهو أحد تلامذة ربى مثير.

نقلا عن ربى مثير : أستاذ ربى دوستای، وسيأتى ذكره فى الفصل الرابع.

من نسى قولاً واحداً من درسه : و المقصود هنا الموضوع، لا الألفاظ، أى من نسى موضوعاً واحداً من مواضيع درسه.

فقد اعتبره الناموس : أى، فحكمه بحسب شريعة الناموس. كمن خاطر بحياته : أى، كمن عرض نفسه للهلاك عمداً بغير سبب.

ولا يزول إثمه : أى لا يغفر إثمه.

ويخرج ما نسيه من قلبه : أى، يتذكر ما نسيه. ويظهر بأن قائل هذه المشنة يعتقد أن مركز الذاكرة القلب لا الدماغ.

تنبيه : قد حذفنا الاستشهاد من هذه المشنة، تسهيلاً لتأدية المعنى الذى ترمى إليه.

المشنة الحادية عشرة

ربى حننيا بن دوسا قال : من سبقت مخافته للخطيئة عالميته، فعلمه ثابت. وكل من سبقت عالميته مخافته للخطيئة، فعلمه غير ثابت.

ربى حننيا بن دوسا : عالم اشتهر بالزهد والكرامات، وقد كان يكتفى للاقتيات، بشيء قليل من الخروب اليابس. قيل إنه ابتهل يوماً ثمة أن يزيد فى رزقه فنزلت له من السماء سبيكة كبيرة من الذهب، فأخذها وانصرف، فرأى فى منامه أنه فى الجنة وأن أمامه مائدة واقفة على ثلاث قوائم فقط، فسأل عن سبب ذلك، فقيل له أننا انزلنا لك اليوم قائمتها الرابعة فصحا من نومه حزينا مكتئباً وباع تلك السبيكة ووزع ثمنها على الفقراء وابتهل إلى الله أن يبقى له أجره فى العالم الآتى كاملاً.

من سبقت مخافته للخطيئة : أى كل من كانت تقواه قد سبقت.

عالميته : أى صفته عالماً.

فعلمه ثابت : أى أن علمه يدوم وكلامه يؤثر عنه ويحفظ.

وباقى المشنة واضح.

المشنة الثانية عشرة

هو أيضاً قال : كل من كانت أعماله أكثر من علمه فعلمه ثابت. وكل من كان عمله أكثر من أعماله. فعلمه غير ثابت.

هو أيضاً قال : الضمير عائد إلى ربى حنانيا بن دوسا.

كل من كانت أعماله أكثر من عمله : يعنى بذلك ، العالم الذى لا يكتفى بالمطالعة ومزاولة درس الناموس عن الاحسان لليائسين ومساعدة المعوزين والسعى فى سبيل البر والمعروف.

فعلمه ثابت : ترى أنه يكون قد أثبت تعليمه بالقدوة الفعلية فتكون أرسخ منها فى الازهان ، منها إذا كانت قضايا مجردة . ويمكن تفسيرها من الوجهة الدينية هكذا : أن الله يثبت العالم المحسن بالفتح علمه وصوت ذاكرته من النسيان .

وباقى المشنة واضح.

المشنة الثالثة عشرة

هو أيضاً قال. من رضى عنه الناس ، فقد رضى الله عنه ، ومن غضب عليه الناس فقد غضب الله عليه.

هو أيضاً قال : الضمير عائد إلى نفس قائل المشنتين السابقتين .

من رضى عنه الناس : والترجمة الحرفية : كل من ارتاحت له روح الناس ، أى من أجمعوا على الرضى عن أعماله واتفقوا على استحسانها .

فقد رضى الله عنه : أى أن مجرد هذا الاجماع من الناس على استحسان أعمال رجل ، يدل على رضى الله . لا ان رضاه يكون ثواباً على ذلك الاجماع ، فالثواب محفوظ فوق ذلك الرضى .

وباقى المشنة واضح .

المشنة الرابعة عشرة

ربى دوسا بن هركيناس قال : نوم الصباح وخمرة الظهر ومسامرة الصغار ومجالسة الأميين تخرج الإنسان من العالم .

ربى دوسا بن هركيناس قال : كان هذا العالم فى أيام شمعون الصديق ، كما مر بك . وقد ورد عنه فى التلمود رواية رواها عن حجي النبى ، أحد أعضاء الكنيسة الكبرى الذين سبقوا شمعون الصديق ، وقد قيل ، أنه عمر أربعماية سنة . ولكن الأرجح عندنا ، إنه وجد غير واحد بهذا الاسم ، وقد ورد فى التلمود ، بأنه لم يوجد سوى بن هركيناس واحد .

نوم الصباح : يقصد بهذا مطلق الكسل .

وخمرة الظهر : يقصد السكر فى النهار .

ومسامرة الصغار : لأن معاشرتهم تضعف قوة العقل وتحمل على الريبة .

ومجالسة الأميين : لأن معاشرتهم تضعف أيضاً قوة العقل وتلهى العالم عن الدرس والمطالعة .

تخرج الإنسان من العالم : والمقصود بالخروج هنا ، سقوط المرتبة . وقد يقصد بذلك الوعيد بالقصاص الإلهى بتقصير العمر .

المشنة الخامسة عشرة

ربى العازار الموداعى قال : من نجس المقدسات واستخف بالأعياد ، وأخجل صاحبه جهاراً ، واستهان بعهد أبينا إبراهيم ، وعلم أوجهها فى الناموس لا تطابق الشرع ، مهما كانت درجة علمه وإحساناته ، فليس له نصيب من العالم الآتى.

ربى العازار الموداعى : هو عالم وجد فى أواخر زمن خراب البيت الثانى وفى زمن خراب بئير التى خربت بعد أورشليم بإثنين وخمسين عاماً . وهو عم القائد الإسرائيلى العظيم المعروف باسم باركوخبا ، وقد كان له شأن عظيم فى زمن الحصار ، الذى مرّ بك ذكره ، وقد حبسه الرومانيون بقلعة بئير ، لأنه كان ينكف على الصلاة سحابة يومه ، فيعتقد الجند أنه يستمد لهم معونة الله ، فلا يستطيع الرومانيون المحاصرون أن يقهروهم . فبلغ خبره أدريانوس ، فاعتقد هو أيضاً فيه القداسة ، وهم أن يرفع الحصار ليأسه من افتتاح المدينة ، فتقدم إليه رجل من الكوتيين ، وقال له إنه مستعد لأن يفادى بنفسه ليخلص الرومانيين من ذلك الرجل ، فانسل إلى المدينة ليلاً . وفى الصباح تقدم إلى ربي العازار ، وهو فى وسط صلاته ، وأسرّ فى إذنه كلاماً غير مفهوم فرآه بعض الجند وقبضوا عليه واستاقوه لحضرة قائدهم . فسأله باركوخبا عن السر الذى همسه فى أذن عمه ، فقال له الكوتى : انى إذا بحت لك بسر القيصر الذى أنفذنى رسولاً إلى ربي العازار فسيقتلنى لا محالة ، وإذا نكرته فستقتلنى أنت أيضاً . وبما أننى مقتول على كلتى الحالتين ، فالأجدر بى حفظ السر . فغضب باركوخبا وقتله ثم استدعى عمه وسأله عن ذلك السر المزعوم ، فأجابه أن الكوتى

همس فى أذنى كلاماً لم أفقه معناه . فلم يطمئن باركوخبا لكلامه ، وقتله هو أيضاً رفساً برجليه ، من شدة ما اعتراه من الغيظ فضعفت بقتله عزيمة الحامية وتمكن الرومان من فتح المدينة وخرابها .

من بخس المقدسات : أى استهان بالقرايين والندور المنذورة لله وتصرف بالأموال الموقوفة للبر بغير مسوغ شرعى وأتلف كتب الناموس وأهان العلماء .

واستخف بالأعياد : أى زاول الأشغال التى حظر إاشتغال بها فى أثنائها لغير حاجة ضرورية للقوت . والكلام هنا فى أيام العيد المتوسطة ، التى لم يرد نهى صريح فى التوراة من مزاوله الأعمال فيها . وأخجل صاحبه جهاراً : أى أهانة أو ذكر معاييه فى وسط الناس ، لأن التلمود يعتبر التخجيل بغير حكم شرعى جريمة يعاقب عليها الله مرتكبها ، عقابه لقاتل النفس البريئة عمداً .

واستهان بعهد أبينا إبراهيم : أى امتنع عن الاختنان ، فيما لو أخر أبواه ختانه لمرض اعتراه فى طفولته فكبر وصار يستطيع تحمل الختان أو امتنع عن ختن بنيه أو من تحت وصايته . وقد يحتمل معنى التهتك فى الزنى جهاراً .

وعلم أوجهها فى الناموس الخ : أى فسر تفسيراً لا يلائم الشرح أو استهزأ به أو انتقله .

مهما كانت درجة علمه : أى مهما برع فى علم الناموس .

وفى حسناته : أى أعماله الصالحة .

فليس له نصيب من العالم الآتى : أى أنه لا يدخل الجنة .

المشنة السادسة عشرة

ربى بشماعيل قال : كن متواضعاً لرئيسك. متساهلاً مع من هم دونك ، وقابل الناس بسرور.

ربى بشماعيل قال : هو زميل ربي عقيبا وتلميذ نحونيا بن هقانا ، الذي مر بك حديثه وقد ألف كتاباً في تفسير الأربعة كتب الأخيرة من أسفار موسى ، وكتابه مذكور في التلمود باسم "ميخيلته" دربي يشماعيل، وكان يسعى في توفير القوات للعداري والارامل الذين كان أبائهم وأزواجهم مشغولين في الجهاد . ولما مات ورثته بنات صهيون ، كما رثين الملك شاوول قدماً . ويقال أنه كان بارعاً في تفسير الروئي والاحلام.

كن متواضعاً لرئيسك: إتبعنا في ترجمتنا هذه ، رأى الأستاذ الأعظم ربي موسى بن ميمون، ولكن حفيده ربي دافيد هنا جيد ترجمها هكذا : "خفف يا إنسان ذاتك وصغر قيمتك أمام من هو أكبر منك ، أما ترجمتها الحرفية ، فهي هكذا : "كن خفيفاً للرأس".

متساهلاً مع من هم دونك: أثبتنا في هذه العبارة ، رأى الأستاذ الأعظم والترجمة الحرفية "كن سهلاً للرجاء".

وقابل الناس بسرور: أى ، كن بشوشاً لقصادك ، حتى يقبلوا كلامك.

المشنة السابعة عشر

ربى عقيبا قال: الضحك والخفة يقودان المرء للزنا.

ربى عقيبا قال: هو عقيبا بن يوسف ، ويقال أن أباه يوسف من ذرية سيسرا قائد جيش الملك يابين ، الذي حاربه دبورة النبيئة ، كما مر بك . فسيسرا عندما فر أمام باراق بن أبينوعام قائد الجيوش الإسرائيلية التجأ إلى مضرب يا عيل زوجة حير هقيني وافترسها فعلقت منه سيفاً وولدت ولداً نشأ على الدين الإسرائيلي ، قولد ذرية نتج منها يوسف أبو عقيبا.

ولد هذا العالم ٢٧٦٠ للخليقة ، وقرأ العلم على ربي اليعزر الاعظم وعلى نحوم إيش جمزو وعلى ربي نحونيا بن هعانا ، وبالأخص على ربي جليئيل وعمر مائة وعشرين عاماً ، على الأصح . ويقال إنه عمر مائة وأحد وأربعين عاماً ، ولكنهم لم يحصوا له الإحدى وعشرين سنة الأولى من عمره ، لأنه كان في أثنائها يشتغل برعاية الغنم.

وقد كان من المؤيدين للقائد الوطني الإسرائيلي باركوخبا ، الذي ثار على الرومانيين واستجمع حوله نخبة ما تبقى من الجيش الإسرائيلي وحارب جنود رومية ليخرجهم من اليهودية.

وكان عقيبا يقول عنه ، أنه المسيح المنتظر ، الذي تنبأ عنه أنبياء بنى إسرائيل ، وعلم بذلك تلامذته ومريديه وعددهم ٢٤ ألفاً.

وبعد خراب بتير لم يبق أحد من علماء بنى إسرائيل سواه ، وحظرت الحكومة الرومانية درس الناموس على الإسرائيليين ، فخاطر بحياته وعلم خمسة من نجباء الشبان وهم: ربي آشير وربى يهوذا وربى

يوسى ورى شمعون ورى العازار بن شمع ، فتنسبة عقيبا اذن للتلمود كنسبة عزرا الكاتب للتوراة.

وكان مشهوراً بذاكرته حتى لقبوه بالمخزن المحكم الأقفال ، فتمكن من درس كل اللغات التى كانت متداولة فى عصره.

أما المدرسة التى كان يرأسها ، فهى المدرسة الشهيرة "بنى براق" ، لأنها كانت فى مدينة "بنى براق" التى كانت فى نفس المنطقة القائمة عليها الآن قرية بني برق فى متصرفية القدس.

وقد كان رضى الأخلاق متواضعاً شديد الدين حار الايمان.

ويقال ، إنه تزوج بأرملة أحد قواد الرومانيين التى علقت بحبه وتهودت للتزوج منه ، وأن زوجته الأولى هى إحدى بنات كلباشبوع ، أكبر أغنياء الإسرائيليين فى ذلك الزمن.

وقد كان فى جملة قتلى أدريانوس العشرة.

الضحك: أى ، كثرة المزاح.

والخفة: أى ، عدم الرزانة فى معاشرة الناس ، وخصوصاً النساء منهم . وفى الأصل العبرانى "خفة الرأس".

يقودان المرء للزنا: أى ، يمهدان السبيل إليه.

المشنة الثامنة عشرة

هو أيضاً قال: المسوريت سياج الناموس. التعشير ، سياج الغنى. النذور ، سياج العفة. وسياج الحكمة ، الصمت.

هو أيضاً قال: الضمير عائد إلى ربي عقيبا.

المسوريت: أى ، مجموع ما حفظه الخلف عن السلف ، وبعبارة أخرى التلقين الذى يتلقنه التلامذة من أستاذتهم جيلاً بعد جيل.

سياج للناموس: أى ، حافظ له ، لأنه المرجع الذى يرجع إليه متى وقع خلاف بين أرباب الآراء.

التعشير: أى ، إفراز العشور على الأموال وتوزيعها على أرباب الحاجة ، كما ورد فى التوراة.

سياج الغنى: أى ، الضامن لاستمرار البركة فى ثروة الغنى ، فكأنه يقول ، إن الغنى الذى يفرز العشور على أمواله يثاب بحفظ ثروته.

النذور: أى الأقسام أو التعهدات.

سياج للعفة: أى ، أن المدمن للخمرة والنهم والحب للهو ، وما أشبه متى أراد الإقلاع عن الإفراط ، فما عليه إلا أن ينذر ذلك أو يقسم عليه أو يعاهد ربه على عزمه.

وسياج الحكمة: أى الحافظ لها.

الصمت: قيل ، من كثر لغطه كثر غلطه ، وهى حكمة لم تخلق بجديتها ، وقد يشابه هذا القول لما كررها الحكماء بكل لسان وفى كل زمان.

المشنة التاسعة عشر

هو أيضاً قال: ما أحب الإنسان ، الذى خلق على مثال ، وقد ظهر فضله ، لأنه خلق على مثال. كما قيل : على مثال الرب خلق الإنسان.

هو أيضاً قال: الضمير عائد إلى ربي عقيبا أيضاً.

ما أحب الإنسان: أى ، عزيز هو الإنسان هو عند الله.
الذى خلق على مثال: لأن التوراة لم تذكر لباقي المخلوقات تصميمًا سابقًا لخلقها ، كما سبق خلق الإنسان، إذ قال الله قبل ما خلقه (على ما روته التوراة فى سفر التكوين) " لنصنع إنسان على مثالنا" (تكوين ص ١ ع ٢٦).

وقد ظهر فضله: على باقى المخلوقات من حى ونام وجماد.
لأنه خلق على مثال : كرر الجملة بقصد تقرير أهميتها فى ذهن السامع.

كما قيل. فى سفر التكوين ص ٩ ع ٦.

المشنة العشرون

ما أحب بنى إسرائيل ، الذين تلقبوا بأبناء الرب، وقد ظهر فضلهم لأنهم تله بأبناء الرب. كما قيل : آباء أنتم للرب الهكم.

ما أحب بنى إسرائيل : أى ، ما أعظم قيمتهم عند الله.
الذين تلقبوا بأبناء الرب : أى ، الذين لقبهم الكتاب بهذا اللقب.

وقد ظهر فضلهم: أى ، تبرهنت أفضليتهم على العالمين.
لأنهم تلقبوا بأبناء الرب : كرر الجملة لتقريرها فى ذهن.

كما قيل ، فى سفر التثنية ص ١٤ ع ١.

وقائل المشنة هو نفس ربي عقيبا ، وقد وردت هذه المشنة ، والتي بعدها ذيلًا للمشنة التاسعة عشرة ، التى مرت بك فى النسخة

الأصلية ، ووردت منفصلة فى النسخة المنسوبة إلى ربي يهوذا هنا جيد ، فاتبعنا ترتيب هذه الأخيرة.

المشنة الحادية والعشرون

ما أحب إسرائيل الذين أعطيت لهم الاداة الثمينة وقد ظهر فضلهم. لنوالهم الاداة الثمينة. التى خلق بها العالم ، كما قيل : نصيبا طيبا أعطيت لكم ، فلا تتركوا ناموسى.

ما أحب إسرائيل: أى ، ما أعزهم عند الله.

الذين أعطيت لهم الاداة الثمينة : يقصد بالاداة الثمينة التوراة وما يتبعها.

التى خلق بها العالم: أى ، التى خلق العالم لأجلها.

كما قيل: فى الامثال ص ٤ عدد ٣.

المشنة الثانية والعشرون

كل شيء معلوم ، والحرية قد أعطيت وبالرحمة يدان العالم ، والحكم على اكثر العمل.

تحتوى هذه المشنة على مواضيع فلسفية دينية إسرائيلية مهمة ، وهى نسبة علم الله إلى أعمال البشر ، وكيفية دينونتهم بأعمالهم كما سيأتى بيانه، أما قائلها فهو نفس ربي عقيبا، بلا خلاف ، وأن لم يذكر اسمه فيها.

كل شيء معلوم: عند الله أى أن علم الله سابق لكل حوادث البشر وأعمالهم.

والحرية قد أعطيت: ويمكن ترجمة الجملة هكذا: والأذن قد أعطى. وقد قصد هذا العالم الحكيم من قوله، أن سابق علم الله، لا يمنع كون الإنسان حراً مختاراً فى أعماله وله أن يتبع طريق الخير، إن أراد أو يسلك سبيل الضلال، إذا تراءى له، لأن هذه الحرية هى التى توجب الأجر والجزاء، ولولاها لما، جازت الدينونة على الإنسان.

وبالرحمة يردان العالم: أى، أن الديان الأعظم، هو أميل للرحمة من الصرامة، لأنه يراعى الظروف التى أحاطت بالخطيئة وكأن هذا العالم قد شعر قدماً بالنتائج التى توصل إليها العلامة القانونى أرمبروزو والذى كتب الأبحاث المطولة فى المسئولية والوراثة. وقد عولنا فى ترجمة هذه الجملة على ما نعلمه من أميال الفلسفة الإسرائيلية بالترجمة الحرفية، فهى: "وبالطيب يدان العالم".

والحكم على أكثر العمل: والترجمة الحرفية هى: "والكل على قدر كثرة العمل"، ولذلك فسرنا بعض الشراح هكذا: أن الثواب يكون بقدر عدد الأعمال الصالحة، لا بقدر قيمتها وضربوا على ذلك مثلاً، أن الذى يجود بعشرة دراهم مرة واحدة، يكون ثوابه أقل من ثواب المحسن الذى يحسن بمثل ذلك المبلغ على عشر مرات.

وقد أطلعت حضرة صديقى العلامة الأستاذ ربه منديل كوهين على ترجمتى، ففضلها لأول وهلة، ثم بحث فى الكتب وأرانى أن الأستاذ الأعظم "راشى" قد سبقنا إليها.

المشنة الثالثة والعشرون

هو أيضاً قال: كل ضامن للكل. والحبالة مفرودة كل الاحياء. الحانوت مفتوحة، وصاحبها منتظر: والسجل مفتوح. واليد تكتب والحبالة يدورون فى كل يوم ويجبون من الإنسان، علم أم لم يعلم. ولديهم ما يستندون عليه. والحكم حكم العدل. والكل جاهز للوليمة.

إن هذه المشنة تشبه فى مواضيعها المشنة السابقة لها، فهى تبحث فى الأعمال والحساب والاقتصاد. وقد شبهت العالم بالتجارة وحانوت، والأحياء المتمتعين بملاذه بزبائن يستدينون من ذلك الحانوت فيدينهم صاحبه، لأن عنده الرهن الكافى على كل منهم.

هو أيضاً قال: الضمير عائد إلى ربه عقيبا.

كل ضامن للكل: أى، أن كل فرد من أفراد الأمة الإسرائيلية ضامن لكل مجموعها، فعليه إذا أن يرشد الضالين ويهتدى الزائغين ويعلم الجهلة، وإلا لحقه شيء من العقاب المخبوء لهم يوم القيامة. وقد فهم بعض الشراح الجملة نفسها هكذا: "قد اخذ الضمان على كل إنسان"، فقالوا أن المقصود من هذه الجملة، هو إتمام القول الوارد فى المشنة السابقة عن حرية الإنسان واختياره، وأن العالم قبلها يحذر الإنسان الحر التصرف، بأن حرية المطلقة من حيث العمل، هى مقيدة من حيث نتيجته، أى أن ضمانها قد أخذ منذ الأزل سلفاً.

والحبالة مفرودة: قصد بالحبالة هنا الموت.

أمام كل الاحياء: أى، أن الموت قد فرض على كل حى، لأنه النتيجة النهائية لكل حياة.

الخانوت مفتوحة: أى ، ملاذ الحياة ميسورة لكل إنسان ، وله الحرية فى اختيار ما يجوز له التمتع به وما لا يجوز.

وصاحبها منتظر : قصد بصاحب الخانوت هنا ، الله ، فقال انه لا يطالب المستدين حالا.

والسجل مفتوح : لتسجيل الأعمال على عاملها.

واليد تكتب: أى ، أن الإنسان نفسه يسجل عمله فيه بيده ، وهذا أساس الاعتقاد الوارد غير مرة فى التلمود ، أى أن روح الإنسان تصعد فى وقت نومه إلى السماء وتكتب أعمالها اليومية خيرها وشرها لتحاسب عليها بعد الوفاة.

والجباة يدورون فى كل يوم: أى ، رسل الإله الذين يرسلهم فى كل يوم للاقتصاص من الخاطئ ، كالحاكم الظالم والقتلة والأوبئة والآفات الحيوية.

ويجبون من الانسان: أى ينتقمون منه.

علم أم لم يعلم: أى قد تُعلم الخاطئ بالمصائب التى تنتابه ، ويدرك أنها قصاصه .

ولديهم: الضمير عائد إلى الجباة

ما يستندون عليه: أى ، المستندات المثبتة للدين على المديون ، وقد يكون المعنى المقصود من الجملة ، أن لدى الجباة من ممتلكات المديون ما يستطيعون أن يحصلوا منه مقدار الدين الذى يطالبون به.

والحكم حكم العدل : أى ، أن الحكم الذى يطبق القصاص على العمل هو حكم عادل.

والكل جاهز للوليمة : أى ، أن مصير الجميع من أبرار وأشرار إلى النعيم الخالد ، فالأبرار يتمتعون به بعد الوفاة مباشرة ، والأشرار بعد استيفائهم الجزاء الذى حكم به عليهم ، لأن القصاص الأبدى لم يفرض سوى على جرائم معدودة كالانتحار وتضليل الأمة وما أشبهه.

المشنة الرابعة والعشرون

ربى العازار بن عزاريا قال: إذا لم يكن ناموس فلا أدب ، وإن لم يكن أدب فلا ناموس. إذا لم تكن حكمة فلا مخافة الله ، وإذا لم تكن مخافة الله فلا حكمة.. إذا لم يكن عقل فلا إدراك. وإن لم يكن إدراك فلا عقل. إذا لم يكن طعام فلا درس ، وإن لم يكن درس فلا طعام.

ربى العازار بن عازريا: هو ابن عازار با الكاهن ، ومن سلالة عزرا الكاتب الشهير. وكان وجيهاً غنياً معدوداً بين أساطين العلماء ، وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، وقد انتخبوه مرة لرياسة الأمة ، بعد اتفاق العلماء على خلع ريان جمليل اليناوى ، ولما أذعن ربان جمائيل للعملاء أعادوا إليه الرياسة وبقي ربى العازار أيضاً معه بصفة رئيس ثان.

إذا لم يكن ناموس فلا أدب: أى ، أن الرجل الذى لم يتعلم التوراة أو مطلق العلم ، فلا أدب له لأنه يجهل حينئذ حده ولا يعرف ما له وما عليه.

وإن لم يكن أدب فلا ناموس: أى ، أن الرجل الذى لا يلزم حدود الأدب لا يستطيع أن يتلقن العلم من أساتذته.

إذا لم تكن حكمة فلا مخافة الله : أى ، أن الذى لا يعرف أحكام الشرع والواجبات التى يفرضها لا يستطيع أن يعلم كيف يرضى الله.

وإن لم تكن مخافة الله فلا حكمة : يشابه هذا القول ما قاله داود فى المزمور والذى نصه "رأس الحكمة مخافة الله".

إذا لم يكن عقل فلا إدراك : أى ، إذا لم يكن المرء واسع العقل متروياً متبصراً ، فهو لا يستطيع أن يدرك حقائق الأمور.

وأن لم يكن إدراك فلا عقل : أى ، من لم يعتن فى إدراك حقائق الأمور ، فلا تتسع درجة عقله.

إذا لم يكن طعام فلا درس : أى ، أن الفقير الذى لا يستطيع الحصول على قوته الضرورى فهو غير مكلف بصرف كل أوقاته بدرس الناموس ، بل عليه أن يزاوّل الأعمال التى تمكنه من الارتزاق بكد يمينه بلا سؤال أحد.

وقد قال لى صديقى العلامة ربى منديل تعليقاً على هذه المشنة ، أن المقصود من لفظة "خوخة" الواردة فى الأصل العبرانى ، هى مجموع ما يتعلمه المرء من أساتذته. ومن لفظة "بينه" ، مجموع ما استنبطه من المعلومات بواسطة ما تعلمه. ومن لفظة "دعت" ما أدركه هو بفراسته . أما نحن ، فقد ترجمنا اللفظة الأولى بالحكمة ، والثانية بالإدراك ، والثالثة بالعقل.

المشنة الخامسة والعشرون

هو أيضاً قال : من كان حكمته أعظم من أعماله فلاى شى هو يشبهه. يشبه شجرة كثيرة الأغصان قليلى الجذور. فمتى عصفت الريح اقتلعتها وقلبتها على وجهها. كما قيل ، ويكون كالوعر فى الغابة فلا ينتظر أن يأتية الخير ، بل يبقى موحشاً فى الفلا فى أرض مالحة لا تُسكن. أما من كانت أعماله أعظم من حكمته ، فهو كالشجرة القليلة الأغصان الكثيرة الجذور. فإذا هبت عليها كل أرياح العالم ، فهى لا تستطيع أن تزحزحها من مكانها ، كما قيل ، ويكون كشجرة مغروسة على مجارى المياه وجذورها مسترسلة فى الرطوبة ، فلا تخشى مَذهمة الحم وتكون أوراقها ريانة ولا تهتم فى سنى القحط ولا تكف عن إخراج الثمر.

هو أيضاً قال : الضمير عائد إلى ربى العازار بن عازاريا صاحب المشنة السابقة.

من كانت حكمته أعظم من أعماله الخ : أى ، من كان واسع العلم وهو فى نفس الوقت لا يزاوّل الأعمال الخيرية التى تأمره التوراة بعملها ولا يبادر إلى تنفيذ وصاياها بكل ما فى وسعه من الوسائل ، فهو يشبه شجرة كثيفة لا تثبتها فى الأرض الجذور القوية ، فهى لا تستطيع أن تقاوم هبوب الرياح ، بالطبع.

وقد شبه الأعمال بالجذور لأنها تثبت الإيمان فى نفس العامل وتبرهن عليه حسيّاً ، ولأن أجرها ثابت ، وشبه الحكمة بالأغصان ، لأن الحكمة تزين المرء كما تزين الأغصان الشجرة.

كما قيل : فى أسفار الأنبياء من التوراة.

أما من كانت أعماله الخ : أى ، من اهتم بفعل الخير والطاعة أكثر من اهتمامه بالعلم بشرط أن يقرر للدرس الوقت الكافى ، لأنه فى جملة الأعمال التى أوصى بها الناموس ، كما قيل فى مزامير داود وفى أسفار الانبياء.

المشنة السادسة والعشرون

ربى العازار بن حسما قال : الاعشاش ، وأبواب الطمث ، هى من أمهات القضايا الشرعية . التقويم ، والحسابات ، هى زينة للحكمة.

ربى العازار حسما : عالم من علماء التلمود المعتبرين . وقد لقب بابن حسما ، لأنه كان سكوتاً لا يقول إلا ما يجب قوله ، وقيل بل لأنه كان فى أول عمره أبكما ثم نطق ، لأن لفظة "حسما" فى اللغة الممزوجة التى يتألف منها التلمود ، تعنى السكوت وتعنى الخرس . وقد قال بعضهم أن ربى العازار هذا تلقب بابن حسما ، لأنه قال القول الفصل فى الأحكام المتعلقة بالأمر الوارد فى تشية الاشتراع الناهى عن كم فم الثور ، وهو يدرس الغلة . والبكم فى العبرانية يعبر عنه بلفظ "حسوم" ، وهو المصدر ، يقابله بالعبرانية المستعملة فى التلمود (حسما).

الاعشاش : تعنى هذه اللفظة أنواع القرايين التى تؤلف من أزواج من الحمام أو من اليمام .
وأبواب الطمث : أى أحكامه .

هى من أمهات القضايا الشرعية : أى ، أن درسها واجب وجوب درس القضاء والأحكام الأخرى .

التقويم : أى ، علم المواقيت والأعياد والمواسم وباقى العلوم الفلكية والجوية .

والحسابات : المقصود هنا ، حساب الجُمَّل ^(١) ، لمعرفة العدد الذى يتألف منه الاسم بجمع قيم حروفه الأبجدية .
هى زينة للحكمة : أى تكملة لها وتتمة .

أما المقصود من هذه المشنة ، فهو هذا . أن معرفة أحكام قرايين الطير وأحكام الطمث ، على رغم سهولتها وقلة تعقيدها ، فهى جزء من العلم الحقيقى ، وأن البراعة فى التقويم والفلك واستخراج الاستدلالات المختلفة بواسطة حساب الجُمَّل ، هى من الكماليات التى لا دخل لها فى العلم الحقيقى ، الذى فرض درسه شرعاً وإن كانت أصعب بما لا يقاس .

هذا هو المجلد الأول من ذلك الكتاب الذى كثرت بشأنه الأقاويل على غير سابق معرفة به .

(١) يطلق اللغويون العرب على الجيماطريا ، اسم "حساب الجُمَّل" ، وهو حساب مخصوص تستخدم فيه الحروف الهجائية أو الأبجدية للدلالة على الأرقام . ورتب العرب ، الحروف العربية فى مجموعات من ألفاظ توافق الترتيب العبرى : أبجد هوز حطى كلمن سغفص قرشت نخذ ضظغ . ولكل حرف من هذه الحروف مقابل عددي . وقد استخدم الشعراء العرب حساب الجُمَّل فى تاريخ الأحداث من ولادة أو ولاية أو وفاة .. إلخ . وأقدم من استخدم هذه الطريقة البابليون والآشوريون واليونان . وقد أصبحت "الجيماطريا" أو "حساب الجُمَّل" أحد الأساليب التى تدرس بها التوراه منذ القرن الثانى الميلادى ، وأدرجت من بين اثنين وثلاثين طريقة وضعها إيعيزر بن يوسى هجاليلى فى تفسير أسفار العهد القديم ، وهو إعطاء تفسير لكلمة أو عدة كلمات من خلال قيمة أحرفها العددية (المراجع) .

ها هو على علاقته مترجماً بقلم رجل لا يمنعه الإيمان عن المجاهرة بما
فى ذلك من استحسان واستهجان.

ولأجل فهم المقصود من لفظة "الحسابات" ، التى وضعناها ترجمة
للفظة "الجيماطري" ، الواردة فى الأصل ، نقول أن علماء التلمود قد
كلفوا منذ الازل بتطبيق سكناتهم وأفكارهم على أحكام التوراة فإن لم
يجدوا لآى شأن من الشئون الحيوية دليلاً صريحاً من التوراة أو من
أقوال السلف ، فهم يتوسلون بما يسمونه "هيفيش" ، أى تقارب
الألفاظ ، وبما يسمونه "جيماطريا" أى ، "حساب الجمل" .

انتهى الجزء الأول من التلمود والحمد لله أولاً وأخيراً.

فهرس المحتويات

رقم الصفحة

الموضوع

١ - تقديم د . عبد الله الشامى ... نظرة على مصادر

الفكر الدينى اليهودى

٣ - ٣٣

٢ - تقديم د . لىلى أبو المجد مقدمة تحليلية

٣٣ - ٤٦

٣ - كتاب التلمود للمترجم د . شعون مويال

٤٧ - ٢٠٦

هذا الكتاب

تحاشى اليهود ، على مر العصور وفي كافة المجتمعات التي عاشوا في كنفها ترجمة التلمود ، وبصفة خاصة ، إلى اللغة العربية. وهذه هي المرة الأولى التي يطلع فيها القارئ العربي ، على نص تلمودى مترجم للعربية ، وهو النص الذى يعرف بإسم "فصول الآباء" ، والذى قام بترجمته يهودى مصرى هو الدكتور شمعون مويال عام 1909. وقد حرصنا على نشره ، بعد أن قام بمراجعته والتقديم له الدكتور رشاد الشامى أستاذ العبرية بجامعة عين شمس . ونحن نرجو أن يكون نشر ترجمة هذا الجزء ، بداية لنشر المزيد من الأجزاء المترجمة للعربية ، باعتبار أن التلمود هو مفتاح رئيسى ، ليس لفهم العقلية اليهودية فحسب ، بل العقلية الاسرائيلية أيضاً .

الناشر

ISBN 977-338-097-1

